لجنة التأليف والترجمة والنشر

چهار مقاله

(المقالات الأربع)

في الكتابة والشعر والنجوم والطب

تأليف

النظامي العروضي السمرقندي

وعليه خلاصة حواشي العلامة

محمد بن عبد الوهاب القزويني

نقـــله إلى العربية

عبد الوهاب عزام و يحيى الخشاب

(الطبعة الأولى)

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

چهار مقاله

(المقالات الأربع)

في الكتابة والشعر والنجوم والطب

تأليف

النظامي العروضي السمرقندي

وعليه خلاصة حواشي العلامة

محمد بن عبد الوهاب القزويني

نقله إلى العربية

عبد الوهاب عزام و يحيى الخشاب

(الطبعة الأولى)

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا كتاب مجمع النوادر المعروف باسم « چهار مقاله » أى المقالات الأربع وهو من أقدم الكتب الفارسية التى عالجت جوانب من الحياة الأدبية والعلمية فى الجانب الشرقى من العالم الإسلامى منذ القرن الثالث الهجرى حتى منتصف القرن السادس .

وقد طبع هذا الكتاب فى « سلسلة ذكرى جب* » ، بعد أن حظى بعناية العالم المحقق الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزوينى . وحسب الكتاب وقرائه والباحثين فى موضوعاته أن يتناوله العلامة القزوينى على طريقته فى التحقيق والتدقيق ، والتصحيح والتعليق .

صحح الناشر الكتاب بعد أن قابل بين نسخه المخطوطة وكتب عليه حواشى أبانت عن الصواب فى روايات أخطأ فيها مؤلفه ، وأوضحت ما انبهم من الأسماء والحوادث التى ذكرت فيه ، وزادت فوائد ونوادر لا تقل قيمة عن الكتاب نفسه .

المقدمة الفارسية التى كتبها العلامة القزوينى لا تدع مقالا لقائل فقد اعتمدنا عليها وأخذنا منها ما يتصل بالكتاب ومؤلفه فى هذه المقدمة .

— ١ —

الكتاب

اجتمعت لكتاب چهار مقاله أمور جعلت له خطراً كبيراً بين كتب التاريخ والأدب . فهو من الكتب الفارسية القديمة ، ألف فى حدود سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ — ١١٥٦) ومعلوم أن الكتب والآثار الأدبية التى كتبت باللغة الفارسية قد ضاع معظمها فى الغارات التى

Gibb Memorial Series. (*)

شنها على إيران المغول والغز وغيرهم ولم يبق من هذه الكتب إلا القليل ومنها كتاب « چهار مقاله » ، الذى يعدّ من خير هذه الآثار وأقومها .

وأمر آخر تزيد به قيمة الكتاب هو اشتماله على كثير من المطالب التاريخية وتراجم لمشاهير الأعلام الذين لم يرد ذكرهم فى غيره من كتب الأدب والتاريخ .

وهو مهم أيضا فى إنشائه من حيث إيجاز اللفظ و إشباع المعنى وسلاسة الأسلوب وخلوه من المتعاطفات المترادفة والأسجاع الثقيلة والصناعة اللفظية المتكلفة التى جرى عليها أغلب الكتاب المتأخرين ، فهو يصلح مثلا يحتذى وأنموذجا يتبع لكتاب الفرس المحدثين .

والكتاب ، كما يدل اسمه ، أربع مقالات : فى بيان ما تتصف به الطوائف الأربع التى يحتاج إليها الملوك وهم الكتاب والشعراء والمنجمون والأطباء . فيذكر المصنف ما ينبغى أن يتوفر لكل طبقة من صفات ، ثم يعقب ذلك بما يقرب من عشر حكايات تناسب المقام .

وللمقالة الثانية ، فى الشعر ، مكانة خاصة لأنها تحوى أسماء كثير من شعراء إيران المتقدمين الذين عاصروا السامانيين والغزنويين والخانيين والديالمة والسلاجقة والغوريين ؛ كما أنها تحوى تراجم بعض مشاهيرهم مثل الرودكى والعنصرى والفرّخى والمعزى والفردوسى والأزرقى والرشيدى ومسعود سعد سلمان .

وامتازت المقالة الثالثة بحديث عن عمر الخيام ، وكان نظامى من معاصريه وقد رآه وسمع عنه .

***

عرفت قيمة « چهار مقاله » منذ صنفه نظامى العروضى وتداوله الكتاب لخطر موضوعه . وقد يسّر إيجازُه استنساخه فنقلت عنه معظم كتب التاريخ والأدب . وأقدم الكتب التى نقلت عنه « تاريخ طبرستان » لمحمد بن الحسن بن اسفنديار الذى ألف قرب سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ — ١٢١٧ م) أى بعد تأليف « چهار مقاله » بنحو ستين سنة[†] . ثم نقل عنه « تاريخ گزيده » لحمد الله المستوفى (٧٣٠ هـ ١٣٢٩ — ١٣٣٠ م) ، و « تذكرة الشعرا »

(†) نقل ابن اسفنديار الفصل الخاص بالفردوسى والسلطان محمود نقلا حرفيا ولكنه لم يذكر المصدر الذى نقل عنه .

لدولت شاه (٨٩٢ هـ ١٤٨٧ م) ، و « نگارستان » للقاضى أحمد الغفارى (٩٥٩ هـ ١٥٥٢ م) وغيرها .

* * *

واسم الكتاب « مجمع النوادر » ولكنه اشتهر باسم « چهار مقاله » لاشتماله على المقالات الأربع التى ذكرنا . وقد توهم بعض الكتاب* أن « مجمع النوادر » و « چهار مقاله » كتابان مختلفان من تأليف نظامى العروضى . وممّن وهم فى هذا الحاج خليفة** . والحقيقة أن الاسمين يطلقان على كتاب واحد أولهما علم موضوع للكتاب والثانى علم بالغلبة . ودليل ذلك أن حمد الله المستوفى فى كتابه « تاريخ گزيده » يذكر « مجمع النوادر » وحده وينقل عنه كثيراً ، كحكاية الرودكى والأمير نصر السامانى فى هراة وقصيدة الرودكى المشهورة :

ما يزال يهبّ علينا عَرف جيحون وما يزال يهب علينا عَرف الحبيب†

وحكاية تاش وما كان بن كاكى وجملة « أما ما كان فصار كاسمه والسلام†† » ، وسؤال الأمير نظامى العروضى أيوجد نظامى غيرك فقال على البديهة :

مولاى نحن فى الدنيا ثلاثة نظاميّين تدوّى الدنيا باسمنا††† .

ثم إن القاضى الغفارى يذكر فى مقدمة « نگارستان » ما يقرب من ثلاثين كتابا مشهورا فى الأدب والتاريخ والتراجم والمسالك والممالك وغيرها ويذكر من جملتها كتاب « مجمع النوادر » لنظامى العروضى ثم ينقل عدة حكايات منه كلها مذكورة فى « چهار مقاله » ، منها قصة رؤية المؤلف عمر الخيام فى بلخ ، وحكاية السلطان محمود مع أبى العباس خوارزمشاه

(*) الرازى فى كتابه « هفت اقليم » .

(**) فقد ذكر الاسمين فى موضعين من كتابه بصورة تفيد أنه ظن أنهما يطلقان على كتابين مختلفين . والمعروف أن حاجى خليفة لم يقصر حديثه على الكتب التى رآها بنفسه بل أدخل فى كتابه الكتب التى سمع عنها أيضاً ، ومن اليسير التفرقة بين الاثنين . يقول عن « چهار مقاله » : فارسى لنظام الدين أحمد ابن على العروضى السمرقندى الشاعر ، ذكر فيه أنه لا بد للملك من الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب ، فذكر لكل صنف مقالة . ويقول عن « مجمع النوادر » : فارسى لنظام الدين أبى الحسن أحمد بن عمر بن على بن المكى (كذا) العروضى السمرقندى .

(†) بوى جوى موليان آيد همى بوى يار مهربان آيد همى (انظر المقالة الثانية)

(††) انظر المقالة الأولى .

(†††) در جهان سه نظاميم اى شاه كه جهان ز ما بافغا نند (انظر المقالة الثانية)

ومن كان فى بلاطه من أهل العلم كأبى على بن سينا وأبى الريحان البيرونى وأبى الخير الخمار وغيرهم ، ومنها قصة الوزير نظام الملك الطوسى مع الحكيم الموصلى فى نيسابور . وهو يقول فى مطلع أغلب هذه الحكايات « جاء فى مجمع النوادر » أو « ذكر صاحب مجمع النوادر » أو « مسطور فى مجمع النوادر » . وهذا دليل قاطع على أن « مجمع النوادر » و « چهار مقاله » اسمان لكتاب واحد .

ويؤيد هذا أيضاً أن رضا قليخان يذكر فى مقدمة كتابه « مجمع الفصحا » كتاب « چهار مقاله » ضمن مصادره فيقول : « مجمع النوادر لنظامى العروضى المشهور بالسمرقندى الموسوم بچهار مقاله » وهذا صريح فى أن الاسمين لكتاب واحد .

* * *

لم يبيّن المؤلف تاريخ تأليف كتابه ، ولكن الظاهر أنه لم يتأخر عن سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ، السنة التى توفى فيها السلطان سنجر السلجوقى ، فإن الكتاب ألف أثناء حياة هذا السلطان . فالمؤلف يدعو له فيقول «أطال الله بقاءه وأدام إلى المعالى ارتقاءه» . ويذكره مرة أخرى مع السلطان علاء الدين الغورى ويقول « خلّد الله ملكهما وسلطانهما » . والظاهر أيضاً أن الكتاب لم يؤلف قبل سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦) لأنه يذكر فى الكتب التى ينبغى للكاتب قراءتها وحفظها ، « مقامات الحميدى »[†] وهذه المقامات ألفت سنة ١١٥٦/٥٥١ . فتاريخ تأليف الكتاب بين سنتى ٥٥١ و ٥٥٢ هجرية .

* * *

ومع ما للكتاب من القيمة العلمية والأدبية قد وقع صاحبه فى بعض الأغلاط التاريخية من خلط فى أسماء الأشخاص وتقديم وتأخير فى السنين وتهاون فى ضبط الوقائع . وقد صحح العلامة القزوينى هذا كله فى حواشيه .

(†) ص ١٣ طبعة جب التذكارية .

— ٢ —

المصنف

وأما المصنف نفسه فلا نجد فى التذاكر ما يعرّف به و بسيرته . وأقدم من كتب عنه العوفى فى كتابه « لباب الألباب » الذى ألف حوالى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) أى بعد تأليف « چهار مقاله » بما يقرب من ستين سنة . ومع قرب العهد بين صاحبي اللباب وچهار مقاله قد اقتصر العوفى فى ترجمة العروضى* على العبارات المسجعة ولم يذكر شيئاً عن حياته ، وقد عزا إليه خمس قطع من الشعر الضعيف لا تدل على شىء ؛ وحينما تحدث عن الرودكى فى موضع آخر ، ذكر بيتين من الشعر نسبهما لنظامى العروضى** :

يا من تطعن فى شعر الرودكى ، إن طعنك جهل وصغار

فإن من يقدر الشعر يعرف أن الرودكى ملك الأشعار† .

ثم جاء ذكر العروضى فى « تاريخ گزيده » لحمد الله المستوفى القزوينى ، وهو مؤلف فى سنة ١٣٣٢/٧٣٠ . قال إنه كان معاصراً لنظامى الگنجوى و إن من مصنفاته كتاب « مجمع النوادر » و إن له أشعارا جميلة ، ويقال إن السلطان سأله من غيرك يحمل اسم نظامى فقال الأبيات التى مطلعها :

مولاى نحن فى الدنيا ثلاثة نظاميين تدوّى الدنيا باسمنا .

وتحدث عنه دولتشاه صاحب « تذكرة الشعرا » المؤلفة سنة ١٤٨٦/٨٩٢ فقال إن نظامى العروضى كان مقربا من الملوك ، فاضلا ، لطيف الطبع ، وهو من تلاميذ المعزّى وكان مجيدا فى نظم الشعر ، وقد نظم قصة « ويس ورامين » . ويقال إن الشيخ الكبير نظامى الگنجوى نظم هذه القصة قبل « الخمسة »†† . ومن تصانيف العروضى كتاب « چهار

(*) ج ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ من طبعة Browne

(**) ج ٢ ص ٧ .

(†) اى آنكه طعن كردى در شعر رودكى — اين طعن كردن تو ز جهل است و كودكيست
كآن كس كه داند داند كه درجهان — صاحب قران شاعرى استاذ رودكيست

(††) إشارة إلى خمسة نظامى وهى المشهورة بالكنوز الخمسة (پنج گنج) وهى : مخزن الأسرار ، خسرو وشيرين ، ليلى والمجنون ، هفت پيكر واسكندر نامه .

مقاله » . ثم يصف دولتشاه هذا الكتاب بأنه « مفيد كل الإفادة فى آداب المعاشرة والحكمة العملية ومعرفة رسوم خدمة الملوك وغير ذلك » ، ويذكر بعد ذلك بيتا من منظومة « ويس ورامين » للعروضى وهو :

قد سمى آرش بصاحب القوس لأنه رمى سهما من آمل إلى مرو(†) .

ولكن دولتشاه عاد ، فى حديثه عن الكنجوى ، فنفى نسبة « ويس ورامين » إلى العروضى ورجح نسبتها إلى الكنجوى . قال «وقد نظم الشيخ قبل «الخمسة» وهو فى شبابه قصة « ويس ورامين » باسم السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ويقال إنها من نظم نظامى العروضى ، والصحيح أنها من نظم الشيخ الكبير نظامى فإن العروضى كان معاصراً لملكشاه ولا شك أن القصة نظمت باسم السلطان محمود وهو أقرب إلى عهد نظامى(††) » .

والمؤرخ الرابع الذى تحدث عن العروضى هو أحمد أمين الرازى فى كتابه «هفت إقليم» المؤلف سنة ١٠٠٢/١٥٩٣ . وهو يثنى على العروضى ويجعله من المبرزين فى نظم المثنوى ويقول إن له كتابى « مجمع النوادر » و «چهار مقاله» وهما منثوران ، وقد جعله نور الدين محمد العوفى فى تذكرته من شعراء السلطان طغرل بن أرسلان السلجوقى ، وهو ينسب نفسه إلى الغوريين فى «چهار مقاله» .. ثم يذكر صاحب « هفت إقليم » آخر حكاية فى المقالة الثالثة من « چهار مقاله » ويروى الأشعار التى ينسبها صاحب « لباب الألباب » إلى العروضى ويزيد عليها قطعة .

هذا هو ما ورد فى التذاكر الأربع ، وقد نقلت عنها الكتب الأخرى ، على أن ما ورد فى الكتب الأربعة لا يفيد كثيراً فى التعريف بالعروضى .

والحق أنه كان ينظم الشعر (ص ٤٠ — ٤٢) وأنه كتب « چهار مقاله » وهو كما قلنا من أحسن نماذج الإنشاء الفارسى . وأنه ناقش موضوع «الآثار العلويه» (ص ٥) فى كتاب لا ندرى اسمه . وكان العروضى ، فيما عدا النثر والشعر ، ماهرا فى فنى النجوم والطب ، ودليل

(†) از آن خوانند آرش را كمان گير   كه از آمل بمرو انداخت او تير

(††) قال القزوينى فى مقدمته : إن المؤرخين وأصحاب التذاكر يجمعون على أن « ويس ورامين » من نظم فخر الدين أسعد الكركانى وليست من عمل نظامى العروضى أو نظامى الكنجوى . وقد جمع الحاج خليفة بين القولين رفعاً للنزاع فنسب نظم « ويس ورامين » لفخرى الكركانى ولنظامى العروضى ، وهذا خطأ أفحش من خطأ دولتشاه (ص يـز من المقدمة ، وحاجى خليفة ج ٦ ص ٤٦٨ طبعة فلوجل Flügel) .

ذلك ما ورد فى حكايتين فى المقالتين الثالثة والرابعة* . وليس لدينا علم بسيرته وتاريخ مولده وسنة وفاته . ولكنا نجد فى ثنايا «چهار مقاله» ما يلقى بعض الضوء على سيرة الرجل. فالكتاب ألف باسم أحد أمراء الغوريين ، أبى الحسن حسام الدين** ، وكان العروضى من خواص ملوك هذه الأسرة . وقد نص على أنه كان فى الخامسة والأربعين من عمره حين التحق بخدمتهم† . وفى المقالة الثانية يعد العروضى نفسه من الشعراء الذين خلدوا اسم الملوك الغوريين†† .

ويبدو من العبارات الكثيرة التى تحدث فيها المصنف عن نفسه فى ثنايا كتابه أنه اشتهر فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى . وأنه ولد قبل سنة ٥٠٠ وعاش حتى سنة ٥٥٢ على الأقل وخلاصة هذه العبارات :

سمع فى سنة ٥٠٤/١١١٠ ، وكان فى سمرقند حيث ولد ، بعض روايات عن الرودكى من الدهقان « أبو رجا » (ص ٣٣) .

وكان فى مدينة بلخ سنة ٥٠٦/١١١٢ ، فى خدمة عمر الخيام ، وسمع فى مجلس الطرب تنبؤ الخيام بالمكان الذى يدفن فيه (ص ٦٣) .

وفى سنة ٥٠٩/١١١٥ كان فى هراة (ص ٤٤) .

وفى سنة ٥١٠/١١١٦ اتصل بالسلطان سنجر وكان مقيما عند حدود طوس ، وهناك اتصل بأمير الشعراء المعزى وقرأ عليه شعره فاستحسنه وشجعه (ص ٤٠ — ٤٣) .

وفى هذه الرحلة زار قبر الفردوسى (ص ٥١) . وفى هذه السنة نفسها نجده فى نيسابور (ص ٩) .

وفى سنة ٥١٢/١١١٨ كان فى نيسابور أيضاً (ص ٦٩) . وفى هذا البلد سمع عام ٥١٤/١١٢٠ من المعزى قصة السلطان محمود مع الفردوسى (٥٠ — ٥١) .

(*) ص ٦٥ — ٦٧ ، ٨٧ ، ٨٨ من « چهار مقاله » طبعة جب التذكارية .

(**) انظر الحواشى عن الغوريين أو آل شنسب .

(†) ص ٣ من النص الفارسى .

(††) ص ٢٨ من النص الفارسى .

وفى سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) ذهب إلى نيسابور وزار قبر الخيام ورأى بعينيه تحقق ما قاله قبل أربع وعشرين سنة (ص ٦٣).

وفى سنة ٥٤٧/ ١١٥٢ كان العروضى مرافقا للسلطان علاء الدين الغورى فى محاربة السلطان سنجر السلجوقى فى صحراء أوبة على حدود هراة حيث اختفى زمنا بعد هزيمة الغورية (ص ٦٥ — ٦٧، ٨٧ — ٨٨).

وقد رأينا من قبل أنه كتب كتابه بين سنتى ٥٥١ و ٥٥٢ هجرية. ولا يعرف عنه شىء بعد ذلك*.

— ٣ —

الحواشى

وصاحب الحواشى، محمد القزوينى، فى غنى عن التعريف. فهو العلامة المحقق الذى يعرفه مؤرخو الآداب والحياة العقلية الإسلامية بأبحاثه القيمة وتحقيقاته التاريخية العميقة الدقيقة التى مكنه منها رجوعه إلى المخطوطات المبعثرة فى مكاتب أوربا وآسيا وإلى الكتب القديمة والبحث فيها فى مثابرة وجد للكشف عن الحقيقة التى ينشدها. وسيجد القارئ العربى هذا المجهود الضخم الذى اضطلع به القزوينى فى حواشيه، وسيرى المؤرخون إلى أى حد كشف هذا العالم عن بعض القضايا الغامضة فأوضحها وجلاها.

وقد أقام القزوينى فى أوربا مدة طويلة واعتمد عليه المستشرقون فى نشر الكتب الفارسية القيمة. وزرناه فى باريس أكثر من مرة. وحدثه الدكتور عبد الوهاب عزام عن ترجمة چهار مقاله وحواشيه عليها إلى العربية فسره هذا وقال إنه كتب حواشى أخرى كثيرة بعد طبع الكتاب.

ولم يتيسر لنا الاطلاع على الحواشى الجديدة إذ لم تنشر حتى اليوم فيما نعلم ولعلنا نزيد بعض هذه الحواشى فى الطبعة الثانية لهذه الترجمة إن شاء الله.

(*) أرقام الصفحات المذكورة هنا تشير إلى النص الفارسى لطبعة جب التذكارية.

چهار مقاله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والشكر والثناء لذلك الملك الذى خلق عالم العود والمعاد بتوسط الملائكة الكروبيين والروحانيين ، وبرأ عالم الكون والفساد بتوسط ذلك العالم . ودبره بالأمر والنهى من الأنبياء والأولياء ، وحفظه بالسيف والقلم فى أيدى الملوك والوزراء .

والصلاة على سيد الكونين أكمل الأنبياء ، والسلام على أهل بيته وأصحابه أفضل الأولياء .

ثم الثناء على سلطان الوقت ، الملك العالم العادل المؤيد المظفر المنصور (حسام الدولة والدين نصرة الإسلام والمسلمين ، قامع الكفرة والمشركين قاهر الزنادقة والمتمردين عمدة الجيوش فى العالمين ، افتخار الملوك والسلاطين ، ظهير الأيام ، مجير الأنام ، عضد الخلافة ، جمال الملة جلال الأمة ، نظام العرب والعجم ، أصيل العالم ، شمس المعالى ، ملك الأمراء أبو الحسن على بن مسعود[1] نصير أمير المؤمنين)* .

جعل الله حياته على مرامه ، وأكثر الناس طوع سلطانه ، ونظام ذرية آدم بتدبيره واهتمامه . فهو اليوم أفضل سلاطين الوقت فى الأصل والنسب والرأى والتدبير ، والعدل والإنصاف ، والشجاعة والسخاوة ، وتزيين الملك ، وترتيب الولاية ، ورعاية الصديق ، وقهر العدو ، وحفظ الجيش وحراسة الرعية ، وتأمين المسالك ، وتسكين الممالك ، بالرأى السديد والعقل الرشيد ، والحزم القوى ، والعزم الماضى . فسلسلة آل شَنْسَب بجماله منضدة ومنظّمة ، ويد دولة هذه الأسرة بكماله مؤيدة ومسلّمة ، متعه الله وملوك أسرته بالمُلك والمِلك ، والتخت والبخت ، والصيت والظفر ، والأمر والنهى بمنه وعميم فضله .

فصل

مضى الناس منذ عهد بعيد ، ودرجوا على هذا الرسم القديم أن المؤلف فى فاتحة الكلام

(*) ما بين القوسين كتبه المؤلف بهذه العبارات العربية .

وديباجة الـكتاب يذكر ظرفاً من محامد المخدوم ، ويدعو قليلا للممدوح .

ولـكنى أنا العبد المخلص ، سأجعل فى هـذا الـكتاب ، مكان المدح والثناء على السلطان ، تذكيره بالنعم التى أنعم بها البارى تعالى وتقدس على هذا السلطان ابن السلطان لتعرض على رأيه السديد ، فيشكر هذه النعم ، فقد جاء فى الـكتاب غير المخلوق ، والـكلام غير المحدث : « لئن شكرتم لأزيدنكم »(†) فإن شكر العبد كيمياء إنعام الرب المنعم .

فليعلم هذا السلطان الـكبير والملك المعظم أنه لا يلقى اليوم على هذه الـكرة الغبراء ، تحت هذه المظلة الزرقاء ملك أكثر رفاهية ، من هذا السيد ، ولا كبير أظفر بمراده من هذا الملك ، فموهبة الشباب قائمة ، ونعمة الصحة ثابتة ، والأبوان فى نعمة الحياة ، والأخوة من اليمين واليسار فى طاعته . وأى أب كالسيد الملك المعظم ، المؤيد المظفر المنصـور فخر الدولة والدين كسرى إيران ، (ملك الجبال أطال الله بقاءه ، وأدام إلى المعالى ارتقاءه) فهو أعظم سـلاطين الوقت ، وأفضل ملوك العصر بالرأى والتدبير ، والعـلم والحلم ، والعدة والعدد ، والـكنوز والخزائن ، قد نصب نفسه مجناً دون أبنائه بعشرة آلاف فارس رامح حتى لا تهب الصبا شديدة ، على أحد من عبيده .

وفى الستر الرفيع والخدر المنيع أدام الله رفعتها داعية كل دعوة منهـا ، فى صميم السحر على السدة الإلهية ، ترد الجيش الجرار ، والجند الـكرار .

وأخ كالسيد ابن السيد (شمس الدولة والدين ، ضياء الإسلام والمسلمين عز نصره) الذى بلغ الغاية والنهاية فى خدمة هذا السيد أدام الله علوّه ، وهذا السيد والحمد لله ، لم يدخر وسعاً فى المجازاة والمـكافأة ، بل يرى الدنيا منيرة بوجهه ، ويمضى العمر حلواً بجماله .

وأخرى من النعم أكبر أن المنعم ذا الـكمال ، والواهب المنزه عن الزوال ، متعه بعمّ كسـيد العالمَ وسلطان الشرق (علاء الدين والدنيا أبو على الحسين بن الحسين اختيار أمير المؤمنين أدام الله عمره وخلد ملـكه) فى خمسين ألف دارع مجاهد قهروا جيوش العالم كلها وقهروا ملوك العصر أجمعين .

والله تبارك وتعالى يرفق كلاً بالآخر ، ويمتع بعضهم ببعض ، وينير العالم بآثارهم بمنه وجوده وكرمه .

(†) سورة ١٤ آية ٧ .

أول الكتاب

أراد العبد المخلص والخادم المتخصص أحمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى — وهو منذ خمس وأربعين سنة بخدمة هذا البيت موسوم ، وبرسم عبودية هذه الدولة مرقوم — أن يخدم المجلس السلطانى الأعلى أعلاه الله بكتاب مرتب على قوانين الحكمة بحجج قاطعة وبراهين ساطعة ، ويبين فيه ما السلطنة ، وما السلطان ومن أين هذا التشريف ولمن هذا الإكرام ، وهذا الحمد كيف يوخّى به ، وهذه المنة كيف تتلقّى ليكون ثانى سيد ولد آدم ، وثالث خلق العالم كما جاء فى الكتاب المحكم والكلام القديم نظم لآلئ هذه الأسماء فى سلك واحد ، وتجليتها فى سمط مفرد قوله : عز وجل « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »(†) فليس فى مدارج الموجودات ، ومعارج المعقولات بعد النبوة التى هى غاية مراتب الإنسانية ، مرتبة وراء المُلك وذلك الفضل من الله .

والله عز وعلا جعل سلطان الوقت فى هذه المنزلة ، وأوجب له هذه الرتبة ليسير على سنن الملوك الماضين ، ويرشد الرعايا إلى نهج القرون السالفة .

فصـــــل

ليعلم الرأى العالى أعلاه الله أن الموجودات لا تعدو اثنين : إما موجود وجوده بنفسه ، وإما موجود وجوده بغيره . فالموجود الذى وجوده بنفسه يسمى واجب الوجود ، وهو البارئ تقدس وتعالى فهو موجود بنفسه ، فقد كان أزلا إذ لم يكن محتاج غيره وهو دائم أبدا لأنه قائم بنفسه لا بغيره .

والموجود الذى وجوده بغيره يسمى ممكن الوجود . وممكن الوجود مثلنا . لأن وجودنا من المنىّ ، والمنىّ من الدم ، والدم من الغذاء ، والغذاء من الماء والأرض والشمس ، ووجود هذه من شىء آخر . وكل هذه لم تكن بالأمس ولن تكون غدا .

وإذا استقصى المتأمل وجد سلسلة الأسباب هذه تنتهى إلى سبب لم يكن له وجود بغيره ووجوده واجب بنفسه فهو خالق الأشياء كلها ، وكلها وجدت به ، وهى به قائمة .

(†) سورة ٤ آية ٦٢ .

وإذا تفكر الناظر قليلا فى هذا المقام تبين أن كل الموجودات وجود مشوب بالعدم وهو وجود متصل بدوام الأزل والأبد .

ولأن أصل المخلوقات العدم جاز أن تعود إلى العدم . وقد قال أولو البصيرة من الناس (كل شىء يرجع إلى أصله) ولا سيما فى عالم الكون والفساد . فنحن ، ممكنى الوجود ، أصلنا العدم ، وهو ، واجبَ الوجود ، عينه الوجود . وقد قال هو جل ثناؤه ورفع سناؤه فى الكلام المبين والحبل المتين : « كل شىء هالك إلا وجهه »[†] .

***

وينبغى أن يعلم أن هذا العالم الذى يقع فى خلال فلك القمر وفى دائرة هذه الكرة الأولى يسمى عالم الكون والفساد . وينبغى أن يُتصوّر أن فى مقعّر فلك القمر نارا وفلك القمر محيط بها ، وفى داخل كرة النار الهواء والنار محيطة به ، وفى داخل الهواء الماء والهواء محيط به ، وفى داخل الماء التراب والماء محيط به ، وفى وسط الأرض نقطة موهومة كل خط يمتد منها إلى فلك القمر يلاقى الآخر . وكلما قلنا « تحت » فإنما نريد هذه النقطة أو ما هو إليها أقرب . وكلما قلنا « فوق » أردنا الفلك الأقصى أو ما هو أقرب إليه . وهو فلك فوق فلك البروج . وليس وراءه شىء والعالم الجسمانى ينتهى إليه ، أى هو درع له .

والله سبحانه وتعالى حين أراد بحكمته البالغة أن يخلق فى هذا العالم المعادن والنبات خلق الكواكب ولا سيما الشمس والقمر ، وربط كون هذه وفسادها بحركات تلك . وخاصية الشمس أن تُحمى الأشياء بالعكس (بالإشعاع) حين تلاقيها وبواسطة الحرارة تجذب إليها . فقد أحمت الماء بالملاقاة وبالحرارة جذبته مدة طويلة حتى انكشف ربع الأرض بسبب كثرة البخار الذى صعد من هذا الربع وارتفع .

وطبع الماء أن يقبل التحجر ، كما يرى فى بعض الأمكنة ويدرك برأى العين ، فلذا ظهرت الجبال من الماء بحرارة الشمس ، وصارت الأرض مرتفعة قليلا فى هذا الجزء وانحدر الماء عنها فيبست على مثال ما يدرك بالعين . فسمى هذا الربع ، الربع المكشوف بهذا السبب . ويسمى الربع المسكون أيضا لأن للحيوانات فيه مسكنا .

(†) سورة ٢٨ آية ٨٨ .

فصـــل

ولما ظهرت آثار هذه الكواكب فى أقطار هذه العناصر وانعكست مع هذه النقطة الموهومة ظهرت هذه الجمادات من بين الماء والتراب بمعونة الهواء والنار كالجبال والمعادن والسحاب والبَرَد والمطر والرعد والبرق والكواكب المنقضّة وذوات الذؤابة* والنيازك والعصيّ والهالة والحريق والصاعقة والزلزلة والعيون المختلفة كما بيّنا فى « الآثار العلوية » ولا يتسع هذا المختصر للبسط والشرح .

ولما مضى زمان وتواترت أدوار الفلك ، ونضج مزاج العالم السفلى ، وبلغت نوبة الانفعال هذه الفُرجةَ التى بين الماء والهواء ، ظهر عالم النبات . ثم خلق الله تبارك وتعالى لهذا الجوهر الذى ظهر منه النبات أربعة خدّام وثلاث قوى . فأول الخدام الأربعة أن يجذب إليه كل ما يلائمه ، وهذا يسمى الجاذبة ، والثانى أن يحفظ كل ما جذبت إليه الجاذبة وهذا يسمى الماسكة . والثالث أن يهضم هذا المجذوب ويصيّره ملائما لحاله حتى يصير مشابها له ، وهذا يسمى الهاضمة . والرابع أن يدفع ما لا يلائمه ، وهذا يسمى الدافعة .

وأما القوى الثلاث فإحداها قوة تنميه بنشر الغذاء فى داخله نشرا متناسبا متساويا ، والثانية قوة تصاحب هذا الغذاء ليبلغ الأطراف ، والثالثة أنه إذا بلغ الكمال وشرع يتناقص ظهرت فيه قوة وأعطته البذر حتى إذا فنى فى هذا العالم بقى ما ينوب عنه فيصان نظام العالم من الاختلال ولا ينقطع النوع ، وهذه تسمى القوة المولّدة .

فهذا العالم يزيد على عالم الجماد بهذه المعانى التى ذكرت . وقد اقتضت حكمة الخالق البالغة أن يتصل هذان العالمان أحدهما بالآخر على الترادف والتوالى ، فترقى الطين ، وهو أول شىء فى عالم الجماد ، وانتقل من رتبة إلى أشرف منها حتى صار مرجانا ، وهو آخر عالم الجماد ، واتصل هذا بأول شىء من عالم النبات ، وأول عالم النبات الشوك وآخره التمر والعنب اللذان تشبها بعالم الحيوان ، فهذا يطلب الفحل ليثمر وذاك يفرّ من العدوّ ، فإن الكرم يفر من العشَقة وهى نبات إذا التف بأغصان الكرم يبس ، فيهرب الغصن منه .

(*) الكواكب المنقضة وذات الذؤابة ، من عبارات الأصل ، وذو الذؤابة هو ما نسميه المذنَّب .

فليس فى عالم النبات أشرف من الكرم والنخل لهذه العلة وهى أنهما تشبها بالعالم الذى فوقهما ، ونزعا إلى الخروج من دائرة عالمهما وترقيا إلى المستوى الأشرف .

فصـــل

ولما كمل هذا العالم وأثرت آباء العالم العلوى فى أمهات العالم السفلى ، و بلغت النوبة فرجة الهواء والنار نشأ ولد ألطف ، وظهر عالم الحيوان ، ومعه القوى التى للنبات وزاد عليها قوتين . قوة الإدراك وتسمى المدركة ، وبها يدرك الحيوان الأشياء ، والثانية القوة التى بها يتحرك الحيوان ، فيتجه إلى ما يلائمه ، ويفر مما ينافره وتسمى القوة المحركة .

والقوة المدركة تتشعب إلى عشرة فروع ؛ خمسة تسمى الحواس الظاهرة ، وخمسة تسمى الحواس الباطنة . فالحواس الظاهرة كاللمس والذوق والبصر والسمع والشم .

فأما قوة اللمس فهى قوة منتشرة فى لحم الحيوان وجلده فإذا مسه شىء أحسته الأعصاب وأدركته من اليبوسة والرطوبة ، والحرارة والبرودة ، والصلابة واللين ، والخشونة والنعومة .

وأما الذوق فقوة مرتبة فى العصب المنتشر على سطح اللسان تدرك الطعام المتحلل من الأجرام التى تماسه . فتميز بين الحلو والمر والحريف والحامض وأمثالها .

وأما السمع فقوة مرتبة فى العصب المتفرق الذى فى سطح الصماخ تدرك الصوت الذى يصل إليه من تموج هواء يضغط بين متقارعين ، أعنى جسمين يقرع أحدهما الآخر ، فيتموج الهواء من تقارعهما ويحدث الصوت فيؤديه إلى هواء فى تجويف الصماخ ويماسه فيتصل بهذا العصب فيكون السمع .

وأما البصر فقوة مرتبة فى العصبة المجوفة تدرك الصورة التى تنطبع فى الرطوبة الجليدية من الأشباح والأجسام الملونة بتوسط جسم شفاف بينه و بين سطوح الأجسام الصقيلة .

وأما الشم فقوة مرتبة فى زيادة خارجة من مقدم الدماغ مثل حلمة الثدى تدرك ما يوصل إليها الهواء المستنشق من رائحة تخالطه أو البخار الذى يجلبه الهواء أو ينطبع فيه باستحالته من جسم ذى رائحة .

فصـــل

وأما الحواس الباطنة فبعضها تدرك صور المحسوسات و بعضها تدرك معانى المحسوسات فأولاها الحس المشترك وهو قوة مرتّبة فى التجويف الأول من الدماغ قابلة بنفسها جملة الصور التى تقبلها الحواس الظاهرة وتنطبع فيها لتؤديها إلى هذه القوة . و إنما يكون المحسوس محسوساً حين تقبله .

والثانية الخيـال وهى قوة مرتبة فى آخر تجويف مقدّم الدماغ تحفظ ما يقبـله الحس المشترك من الحواس الظاهرة فيبقى فيها بعد غيبة المحسوسات .

والثالثة القوة المتخيلة — وحينما تذكر مع النفس الحيوانية تسمّى متخيـلة ، وحينما تذكر مع النفس الإنسانية تسمى المفكرة — وهى قوة مرتبة فى التجويف الأوسـط من الدماغ . وعملها أن تركب الجزئيات التى فى الخيال بعضها مع بعض وتفرق بين بعضها و بعض باختيار الفكر .

والرابعة قوة الوهم . وهى قوة مرتّبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ . وعملها أن تدرك المعانى غير المحسوسة التى تكون فى المحسوسات الجزئية . كالقوة التى يميز بها الحمل بين أمه والذئب ، والطفل بين الرسن المرقش والثعبان .

والخامسة القوة الحافظة ، وتسمى الذاكرة أيضاً . وهى قوة مرتبة فى التجويف الآخر من الدماغ . وهى تحفظ ما يدركه الوهم من المعانى غير المحسوسة . ونسبتها إلى قوة الوهم كنسبة قوة الخيال إلى الحسّ المشترك ولـكن هذه تحفظ المعانى وتلك تحفظ الصور .

وكل هؤلاء خادمات النفس الحيوانية . وهى جوهر منبعه القلب . وحينما يعمـل فى القلب يسمّى الروح الحيوانى . وحينما يعمل فى الدماغ يسمى الروح النفسانى . وحينما يعمل فى الـكبد يسمى الروح الطبيعىّ ، وهو بخار لطيف ينبعث من الدم ويسرى فى أعلى الشرايين ، وهو فى الضوء كالشمس .

***

وكل حيوان فيه القوتان المدركة والمتحركة وهـذه القوى العشر المتشعبة منهما يسمى

حيوانا كاملا . وكل ما نقصه بعضها ناقص مثل النملة لا عين لها ، والثعبان الذى لا أذن له ويسمى الثعبان الأصمّ . ولا أنقص من الخراطين وهى دودة حمراء تكون فى طين النهر وتسمّى « آ كلة الطين[†] » ، وفيما وراء النهر تسمى «غالْ كرْمه»[٢] . فهى أول الحيوان ، وآخره النَسناس ، وهو حيوان فى فيافى تركستان (منتصب القامة أَلِفىّ القدّ عريض الأظفار) ويحب الإنسان كثيراً فكلما رأى إنساناً جاء إلى عرض الطريق وأدام النظر إليه وإذا رأى إنساناً منفرداً أخذه . ويقال إنه يلقح منـه فهو بعد الإنسان أشرف الحيوان ، لأنه أشبه الآدمى فى أشياء : الأول القامة المنتصبة والثانى عرض الأظفار ، والثالث شعر الرأس .

حكاية

سمعت من أبى الرضا بن عبد السلام النيسابورى فى نيسابور فى المسجد الجامع سنة عشر وخمسمائة[††] قال :

كنا نذهب إلى طمغاج[٣] فى قافلة فيهـا بضعة آلاف جمل وبينما نسير فى يوم حارّ رأينا على الرمل امرأة قائمة عارية الرأس والبدن فى غاية الجمال ، لهـا قدّ كالسرو ووجه كالقمر وشعر طويل ، وهى تديم النظر إلينا . وقد كلمناها كثيراً فلم تجب . فلما قصدنا نحوها فرّت . وبلغ من عدوها فى فرارها أن حصانا لم يدركها قط .

وكان المكارون فى القافلة من الترك فقالوا إنها إنسان وحشىّ يسمى النسناس .

وينبغى أن يعلم أنه أشرف الحيوان بهذه الأشياء الثلاثة التى ذكرت .

* * *

ولمـا زادت لطافة المزاج على كر الدهور ومرّ الأيام وبلغت النوبة الفرجة التى بين العناصر والأفلاك نشأ الإنسان . وقد جمع كل ما فى عالم الجماد والنبات والحيوان وزاد عليها قبول المعقولات . وصار بالعقل ملكا على كل الحيوانات وتصرّف فيها كلها ؛ فاتخذ من عالم الجماد الذهب والفضة والجواهر لزينته . وصنع من الحديد والزنك والنحاس والرصاص والقصدير أوانيه وآلاته .

(†) كل خواره .   (††) ١١١٦ — ١١١٧ .

ومن النبات أُكُلا ولباساً وفراشاً ، واتخـذ من عالم الحيوان مركباً وحُمولة . واتخذ من العوالم الثلاثة أدوية وعالج بها نفسه . وقد تيسر له كل هذا التفوق بما عرف المعقولات . وبتوسط المعقولات عرف الله . وإنما عرف الله بما عرف نفسـه (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) .

ثم هذا العالم إذاً ثلاثة أقسام : قسم قريب من الحيوان كسكان الصحارى والجبال الذين لا ترتقى هممهم فوق تدبير المعاش بجلب المنفعة ودفع المضرة.

وقسم أهل البـلاد والمدائن الذين لهم التمدّن والتعاون واستنباط الحرف والصناعات . وعلومهم مقصورة على تدبير الشركة التى بينهم ليبقى النوع .

والاسم الثالث هم الذين فرغوا من هـذا كله . وعملهم ليلا ونهار وسرًّا وجهارا أن يفكروا ما نحن ؟ وكيف وُجدنا ؟ ومن الذى أنشأنا ؟ أعنى الباحثين عن حقائق الأشياء والمتأملين فى مجيئهم وذهابهم : كيف جئنا وأين نذهب .

وهذا القسم نوعان أيضاً : نوع يبلغون كنه مطلوبهم بالتعلم والتلقف والتكلف والقراءة والـكتابة . وهم يسمون الحكماء . ونوع يبلغون منتهى هذه الفكرة بغير معلّم ودون كتابة وأولئك يسمّون الأنبياء .

وخصائص النبى ثلاث : الأولى أن يعلم العلوم غير معلَّم . والثانية أن يخبر عن الماضى والمستقبل لا من طريق المثال والقياس . والثالثة أن لنفسه قوة على أن ينزع من كل جسم يشاء صورته و يبدّل بها صورة أخرى . وهو لا يستطيع هـذا إلا أن تكون له مشابهة بعالم الملائكة . فليس فى عالم الإنسان أكمل منه . وأمره فى مصالح العالم نافذ لأن عنـده كل ما عندهم وزيادة ليست عندهم وهى اتصاله بعالم الملائكة . وهـذه الزيادة تسمى بالإجمال النبوّة ، وبالتفصيل كما بيّنا .

وما دام هذا الإنسان حياً يبين للأمة مصالح الدارين بأمر البارى عز اسمـه و بواسطة الملائكة . فإذا توجه إلى العالم الآخر بانحلال الطبيعة ترك من إشارات البارى عز اسمه ومن عباراته هو دستوراً يقوم مقامه .

ولا بد له من نائب فى كل حين ليقيم شرعه وسنته . وهذا الشخص ينبغى أن يكون أفضل الجماعة وأكمل أهل الوقت ليحيي هذه الشريعة ويُمضى هذه السنة ، ويسمى الإمام. وهذا الإمام لا يستطيع أن يذهب إلى آفاق المشرق والمغرب والشمال والجنوب ليرعى القاصى والدانى ، ويبلغ أمره العاقل والجاهل . فلا بد له من نوّاب يقومون مقامه فى أطراف العالم. وليس لكل منهم القوة القاهرة التى تنفذ أمره . فلا بد من سائس ولا غنى عن قاهر. وهذا السائس والقاهر يسمى ملكا وتسمى هذه النيابة الملك . فالملك نائب الإمام ، والإمام نائب النبي ، والنبي نائب الله عز وجل . وما أحسن ما قال الفردوسى فى هذا المعنى :

« اعلم أن النبوة والملك جوهران فى خاتم واحد »* .

وقد قال سيد ولد آدم : « الدين والملك توأمان » . فهما فى الشكل والمعنى لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص .

فينتج من هذا أنه ليس بعد النبوة عبء أثقل من الملك ولا عمل أقوى من الملك ، فلزم أن يكون حوله جماعة ، يرجع إلى رأيهم ومشورتهم وتدبيرهم الحل والعقد فى العالم ، والصلاح والفساد بين عباد الله . وينبغى أن يكون كل واحد منهم أفضل أهل الوقت وأكملهم .

ثم الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب من خواصّ الملوك ، ولا غنى للملك عنهم . فقوام الملك بالكاتب ، وتخليد الاسم بالشاعر ، ونظام الأمور بالمنجم ، وصحة البدن بالطبيب . وهذه الأعمال الأربعة الشاقة والعلوم الشريفة من فروع علم الحكمة ، الكتابة والشعر من فروع علم المنطق ، والتنجيم من فروع العلم الرياضى ، والطب من فروع العلم الطبيعى .

فهذا الكتاب مشتمل على أربع مقالات :

الأولى ، فى ماهية الكتابة وصفة الكاتب البليغ الكامل .

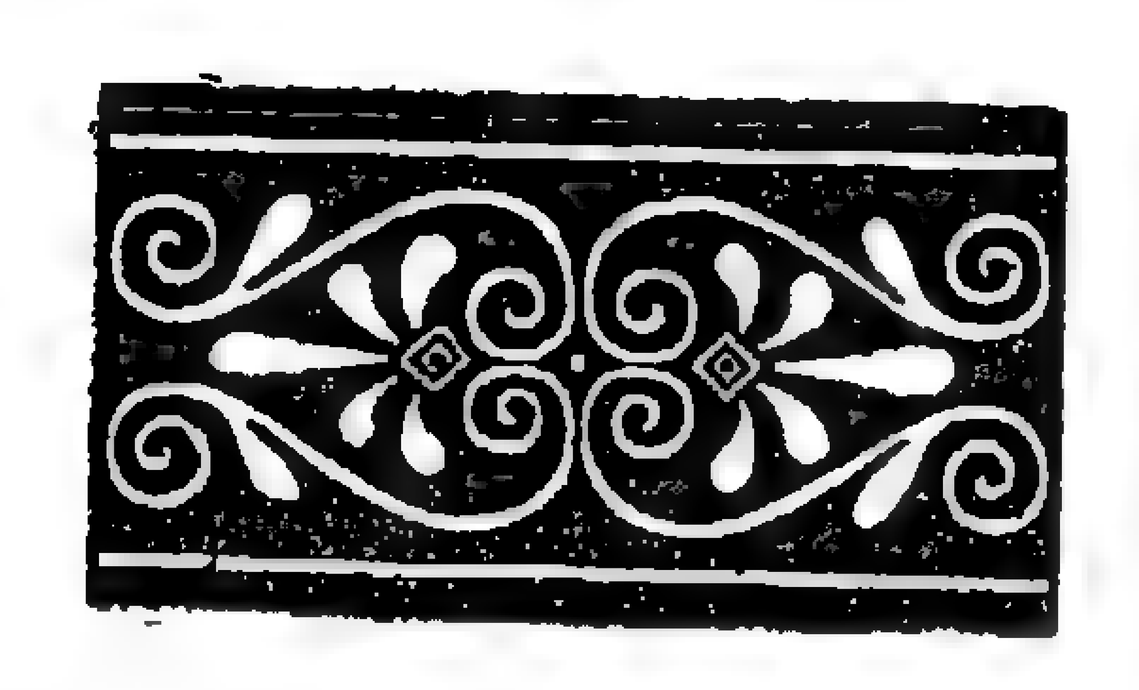
والثانية ، فى ماهية الشعر وصلاحية الشاعر .

والثالثة ، فى ماهية علم النجوم وتمكن المنجم فى هذا العلم .

(*) چنان دان كه شاهى وپيغمبرى دو گوهر بود دريك انگشترى

والرابعة ، فى ماهية علم الطب وهدى الطبيب وصفته .

فقد أوردنا فى رأس كل مقالة ما يليق بهذا الكتاب من الحكمة وأتبعناه بعشر حكايات[٤] طريفة من نوادر هذا الباب وبدائع هذه المقالة وقعت لهذه الطبقة ، ليتبين للملك ويعلم أن الكتابة ليست أمراً أمما ، وأن الشعر ليس شغلا يسيراً ، وأن علم النجوم علم ضرورى ، وأن الطب صفة لازمة . وأن الملك العاقل لا مناص له من هؤلاء الأشخاص الأربعة : الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب .



المقالة الأولى

فى ماهية الكتابة وصفة الكاتب الكامل وما يتعلق بهذا

الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطابية و بلاغية ، ينتفع بها فى المخاطبات بين الناس على سبيل المحاورة والمشاورة والمخاصمة ، فى المدح والذم ، والاحتيال والاستعطاف والإغراء ، وتكبير الأعمال ، وتصغير الأمور ، والتصرف فى وجوه الاعتذار والعتاب ، وفى إحكام العلائق ، والتذكير بالسوابق ، وترتيب الكلام وتنظيمه فى كل واقعة على الوجه الأولى والمنهج الأحرى .

فينبغى أن يكون الكاتب كريم الأصل ، شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، ثاقب الرأى ، وأن ينال الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر من الأدب وثمراته ، و ينبغى ألا يكون بعيداً من القياسات المنطقية ، غريباً عنها ، وأن يعرف مراتب أبناء الزمان ومقادير أهل العصر ، وألا يشتغل بحطام الدنيا وزخارفها ، ولا يلتفت إلى التحسين والتقبيح من أصحاب الأغراض وأولى الإغماض ولا يغتر بهم .

وأن يصون عرض مخدومه فى مقام الترسل عن المنازل الدنية ، والمواضع الخاملة ، ولا يشتد فى أثناء الكتابة ، وسياق الترسل على أرباب الحرمة وذوى الحشمة ، و إن كان بين المخدوم والمخاطب خصومة وجب أن يصون قلمه ولا يقع فى عرض المخاطب إلا من جاوز الحد ، وخرج عن التصوّن ، فقد قيل : (واحدة بواحدة والبادى أظلم) .

و ينبغى أن يلتزم الطريق الأوسط فى الألقاب ، و يكتب إلى كل إنسان ما يلائم أصله ونسبه ومُلكه وولايته وعسكره وخزائنه إلا من شدد فى هذا وتكبر وجاوز الحد وزاد فى الانبساط إلى الدرجة التى لا يعدها العقل موافقة للكتابة وملائمة للمراسلة . فيجوز للكاتب ولا حرج عليه أن يأخذ القلم و يمضى قدماً ، و يبلغ فى هذه السبيل أقصى الغاية ، ومنتهى النهاية ، فإن أكمل الناس وأفضلهم صلوات الله وسلامه عليه يقول « التكبر مع المتكبر صدقة » وعليه ألا يدع غباراً ينال مخدومه فى ميدان المكاتبة من هواء المراسلة .

وينبغى أن يلزم فى سياق الكلام نهجاً يجعل الألفاظ تابعة للمعانى ، ويوجز ويقصر الكلام فقد قال فصحاء العرب : خير الكلام ما قل ودل . وحينما جاءت المعانى فى أثر الألفاظ طال الكلام ، ودُعى الكاتب مكثاراً (والمكثار مهذار) .

ولا يبلغ كلام الكاتب هذه الدرجة حتى ينال من كل علم نصيباً ، ويأخذ عن كل أستاذ نكتة ، ويسمع من كل حكيم لطيفة ، ويقتبس من كل أدب طُرفة . فعليه أن يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب ، وكلمات العجم ، ومطالعة كتب السلف ، والاضطلاع على صحف الخلف ، مثل :

ترسل الصاحب[١] والصابى[٢] وقابوس[٣] وألفاظ الحمادى والأمامى وقدامة بن جعفر[٤] ومقامات البديع والحريرى وحميد[٥] ، وتوقيعات البلعمى[٦] وأحمد بن حسن[٧] وأبو نصر الكندُرى[٨] ، ورسائل محمد عبده[٩] وعبد الحميد[١٠] وسيد الرؤساء[١١] ، ومجالس محمد بن منصور ، وابن عبادى[١٢] وابن النشابة العلوى .

ومن دواوين العرب : ديوان المتنبى والأبيوردى[١٣] والغزّى[١٤] . ومن شعر العجم : أشعار الرودكى ومثنوى الفردوسى ومدائح المنصرى .

فكل واحد ممن عددت نسيج وحده فى صناعته ، ووحد وقته . وكل كاتب يحصّل هذه الكتب ويديم مطالعتها يشحذ خاطره ، ويصقل ذهنه ، وينير طبعه ، ويسمو كلامه ويستحق اسم الكاتب .

فأما معرفته القرآن فقد يخرج بآية من عُهدة ولاية كما فعل الإسكافى .

الحكاية الأولى

كان الإسكافى[١٥] من كتّاب آل سامان رحمهم الله ، وقد أجاد هذه الصناعة ، وبلغ ذروتها وأحسن الخروج من مضايقها . وكان يحرر فى ديوان رسائل نوح بن منصور[١٦] ، ولكنهم لم يعرفوا قدره ، ولم يقدروا فضله . فذهب من بخارى إلى هراة عند البتكين .. وكان ألبتكين تركيا عاقلا فطنا ، فأكرمه وفوّض إليه ديوان رسائله وحسنت حاله .

ولما ظهر الشبان فى الحضرة واستخفوا بالقدماء احتملهم ألبتكين حينا ثم انتهى أمره إلى العصيان بما أصابه من الاستخفاف بإغراء جماعة من المحدثين . فكتب الأمير نوح من بخارى إلى زابلستان ليأتى سبكتكين بالجيش ، ويأتى أصحاب سيمجور من نيسابور فيقاتلوا ألبتكين . وكانت حرب شديدة معروفة ، وواقعة فظيعة مشهورة .

فلما بلغت تلك الجيوش هراة أرسل الأمير نوح علىّ بن محتاج الكاشانى ، وكان حاجب بابه ، إلى ألبتكين برسالة كالماء والنار مضمونها وعيد ، وسياقها تهديد فلم يدع مجالا للصلح ولا سبيلا للمسالمة ، كما يكتب فى مثل هذه الواقعة ، وتلك الداهية سيد ضجر قاس إلى عبد عاص . وكانت الرسالة تفيض بأن سنأتى وتأسر وتقتل .

فلما بلّغ الحاجب أبو الحسين على بن محتاج الكاشانى الكتاب ، وأدى الرسالة ولم ينقص منها شيئا زاد ألم ألبتكين وهاج وقال : أنا عبد أبيه ، ولكن هذا السيد حينما تحوّل إلى دار البقاء لم يستخلفه علىّ بل استخلفنى عليه . وإن لزمنى فى الظاهر أن أكون فى طاعته فالقضية على خلاف هذا عند التحقيق ، لأنى فى مراحل الشيب ، وهو فى منازل الشباب . والذين أغروه بهذا هم ناقضو هذه الدولة لا ناصحوها ، وهادمو هذه الأسرة لا خادموها .

وفى شدة الغضب قال للإسكافى إذا كتبت جواب الرسالة فلا تدخر وسعا فى الاستخفاف . وأريد أن تكتب الجواب على ظهر الرسالة .

فكتب الإسكافىّ الجواب على البديهة ، وكتب فى أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين »(١٧) .

فلما بلغت الرسالة أمير خراسان نوح بن منصور وقرأها تعجب كثيرا ، وتحيّر رؤساء الدولة وعض الكتاب أناملهم .

ولما انقضى أمر ألبتكين اختفى الإسكافى واستمرّ فى خوف وفزع إلى أن أرسل نوح إليه ودعاه وفوّض إليه الكتابة فارتفع أمره ، وعلت مكانته بين أرباب الأقلام وذاع صيته .

ولو لم يحسن معرفة القرآن لم يهتد إلى هذه الآية فى تلك الواقعة . ولم يعلُ أمره إلى هذه الدرجة .

الحكاية الثانية

علت مكانة الإسكافى فتمكن فى خدمة الأمير نوح بن منصور. وعصى ما كان ابن كا كوى فى الرى وقُهستان[١٨] ، وخرج من ربقة الطاعة . وبعث عمّالا إلى خَوار وسِمْنَك ، واستولى على بعض مُدن قومس ولم يبال بالسامانيين .

وكان ما كان رجلا جريئا حازما فخاف نوح بن منصور وشُغل بالتفكير فى أمره . وولّى « تاش » القائد حربه فى سبعة آلاف فارس . وأمره أن يذهب إليه ، ويطفئ هذه الفتنة ، ويكفيه هذا الأمر الصعب على الوجه الذى يرى فيه المصلحة .

وكان تاش عاقلا ، سديد الرأى ، حُوّلا قُلّبا ، مظفرا فى الحروب . ماهمّ بأمر فرجع عنه خائبا ، ولم يُهزم فى حرب قط . وقد بقى لملك بنى سامان ، رونق عظيم ، ولأمرهم نضارة تامة طول حياته .

وقلق الأمير لهذه الواقعة ، واضطرب لها قلبه . فأرسل إلى الإسكافى وخلا به وقال إنى مشفق من هذا الأمر العظيم فإن ما كان رجل شجاع وله مع الرجولة والشجاعة كفاية وسخاء . وقليل من أمثاله عُرف بين الديلم (ندر فى الديالمة مثله) فينبغى أن تذهب مع تاش ، وتذكره بكل ما يغفل عنه من أمر الجيش فى هذه الواقعة . وسأقيم أنا فى نيسابور ليشتد بى أزر الجيش ، وينكسر قلب العدوّ . ويجب أن يأتينى كل يوم رسول بملطّفة[١٩] من رسائلك . وتثبت فى هذه الملطفة خلاصة ما يقع ، لتسلو به نفسى . قال الإسكافى سمعا وطاعة . وفى الغد نشر تاش راياته ، ودق طبوله ونصل من بخارى على المقدمة وعبر جيحون فى سبعة آلاف فارس ، وتبعه الأمير فى بقية الجيش إلى نيسابور . فخلع على تاش والجند . وتقدم تاش حتى بيهق وجاوزها إلى قومس ، وتوجّه شطر الرّى فى عزم قوى ، وحزم كامل .

وكان ما كان قد نزل على أبواب الرى فى عشرة آلاف محارب دارع ، واستند إلى الرى حتى جاء تاش فجاوز المدينة ونزل بإزائه ، وترددت بينهما الرسل فلم يتفقا على شىء فقد غرّ ما كان هذا الجيش الهائل الذى جمعه من كل مكان .

وصمم الفريقان على الحرب . وكان تاش ذئبا مُسناً تمرس بقيادة الجيوش أربعين سنة ، وشهد وقائع كثيرة . فأحكم التدبير حتى إذا التقى الجمعان تقدم فى القلب أبطال ما وراء النهر وخراسان وحارب نصف جيش ما كان ، وكف النصف الآخر عن الحرب ، وقتل ما كان .

ولما فرغ تاش من القتل والأخذ والأسر توجه إلى الإسكافى وقال لا بد أن نرسل حمامة ونرسل بعدها نجّابا ، ولكن عليك أن تجمل الوقائع فى جملة واحدة تبين عن كل أحوالنا ، وتخف على الحمامة ونبلغ بها ما نريد .

فأخذ الإسكافى رقعة مقدار إصبعين وكتب : « أمّا ما كان فصار كاسمه والسلام » . أراد بما حرف النفى و بكان الفعل الماضى . « ومعناه بالفارسية : ما كان چون نام خويش شد يعنى نيست شد » .

فلما بلغت الحمامة الأمير نوح بن منصور لم يعجب من هذا الفتح كما تعجب من هذا اللفظ . وزاد فى الإحسان إلى الإسكافى وقال لا يدرك هذه النكت إلا رجل فارغ القلب .

الحكاية الثالثة

كل صناعة لها بالفكر تعلق يحتاج صاحبها أن يكون فارغ القلب مرفّها و إلا طاشت سهام فكره ولم تجتمع على هدف الصواب لأنه لا يلائم بين الكلمات إلا باجتماع خاطره .
حكى أن أحد كتاب خلفاء بنى العباس رضى الله عنهم كان يكتب رسالة إلى والى مصر وكان قد جمع خاطره واستغرق فى بحر الفكر وشغِل بتأليف كلام كالدر الثمين والماء المعين .

فدخلت عليه جاريته بغتة وقالت نفذ الدقيق . فاضطرب طبعه ، وتفرق خاطره حتى انقطع سياق الكلام و بلغ من اضطرابه أن كتب فى الرساله : « نفذ الدقيق » وأتم الرسالة و بعث بها إلى الخليفة وهو لا يشعر بهذه الكلمة التى كتب .

فلما أخذ الخليفة الرسالة وطالعها حتى بلغ هذه الكلمة تحيّر ولم يستطع أن يفهمها على وجه من الوجوه لشدة غرابتها فأرسل إلى الكاتب وسأله عنها فخجل وصدقه الخبر فى هذه

الواقعة . فتعجب الخليفة كثيرا وقال : إن لأول هذه الرسالة على آخرها رجحانا كرجحان « قل هو الله أحد » على « تبت يدا أبى لهب » ، حرام أن يشغل فكر بليغ مثلك بضوضاء الحاجات .

وبالغ فى الإحسان إليه حتى لم تستقر فى أذنه من بعد مثل هذه الكلمة . فلا جرم استطاع أن يجمع معانى الكونين فى لفظين .

الحكاية الرابعة

كان الصاحب الكافى اسماعيل بن عباد الرازى وزير شاهنشاه . وكان فاضلا كاملا وترسله وشعره ، على هذه الدعوى ، شاهدا عدل وقاضيا صدق . وكان الصاحب عدلىّ المذهب . وأصحاب العدل يتشددون فى التقوى والتنسك ويجيزون أن يخلد المؤمن فى جهنم فى شعيرة . وكان أكثر عماله وخدمه وحشمه على مذهبه .

وكان فى قم قاضٍ من قِبَله . وكان للصاحب اعتقاد راسخ فى نسكه وتقواه . والأخبار عنه تتوالى بخلاف ما يعتقد الصاحبُ فلا يصدقها حتى شهد اثنان من ثقات أهل قم أن القاضى أخذ خمسمائة دينار رشوة فى خصومة كانت بين فلان وفلان . فأنكر الصاحب هذا إنكارا شديداً من وجهين ، جرأة القاضى وضعف دينه ، وكثرة الرشوة . وأخذ القلم فوراً وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها القاضى بقمّ ، قد عزلناك فقم .

ويعلم الفضلاء ويعرف البلغاء أن هذه الكلمات فى أى مرتبة فى باب الإيجاز والفصاحة . لا عجب أن يكتب الفصحاء والبلغاء هذه الكلمة على القلوب وينقشوها فى الأرواح منذ ذلك اليوم .

الحكاية الخامسة

لمغان مدينة فى ديار السند من أعمال غزنة . وبينها وبين الكفار اليوم جبل عال . وأهلها فى خوف دائم من غارة الكفار وبياتهم ، ولكن اللمغانيين رجال أقوياء شجعان

وأهل كسب وفيهم مع الجلادة لجاجة عظيمة لا يحجمون أن يشكوا عاملا ببيضة أو منّ من التبن بل بأقل من هـذا يسوّغون لأنفسهم أن يأتوا إلى غزنة ويقيموا شهرا أو شهرين ولا يرجعوا حتى ينالوا ما يريدون . وقصارى القول أن لهم فى اللجاجة مهارة ، وعلى الإصرار صبر .

وقد بيتهم الكفار ليلة فأخربوا وأتلفوا ، وقد كانو قوما يتمرغون فى غير تراب* .

فلما وقعت هذه الواقعة اجتمع جماعة من أعيانهم وتوجهوا إلى غزنة ومزّقوا ثيابهم وحسروا عن رءوسهم ودخلوا سوق غزنة ناحبين وذهبوا إلى قصر السلطان وبكوا وناحوا . وحدثوا بما أصابهم أحاديث تبكى الحجر .

ولم يكن قد عرف عنهم هناك هذه الشدة واللجاجة والتزوير والتمويه . فرثى لهم الرئيس الكبير أحمد بن الحسن الميمندى ، ووهب لهم خراج هذه السنة ، وأمنهم من الحيف . وقال ارجعوا وجدّوا كثيراً ، وأنفقوا قليلا لتعودوا كما كنتم أول العام القابل .

فرجع اللمغانيون فى فرح عظيم ، واستبشار كثير . وبقوا هـذه السنة مرفّهين ، ولم يبذلوا حتى الماء لأحد . ولما انتهت السنة رجعت هذه الجماعة ورفعوا قصتهم إلى الرئيس . وخلاصتها أن السيد الرئيس الكبير عمّر عام أول ولايتنا بالرحمة والعطف وحفظها بحياطته وحمايته . وعاد أهل لمغان بكرمه وعطفه كما كانوا واستطاعوا أن يقيموا بهذا الثغر . ولكنهم لا زالت أحوالهم مختلة ويخشون ، إن طلب الخراج هذا العام ، أن يستأصل بعضهم ويرجع أثر هذا الخلل إلى الخزانة المعمورة . فتلطف بهم الرئيس أحمد بن الحسن وحط عنهم مال السنة الثانية . فاستغنى أهل لمغان فى هاتين السنتين . ولم يرضهم هذا فطمعوا فى السنة الثالثة أن يوهب لهم الخراج أيضاً . فرجعت هذه الجماعة إلى الديوان وعرضوا قصتهم . وعرف الناس كلهم أن اللمغانيين مبطلون فكتب الرئيس الكبير على ظهر القصة :

« الخراج خُراج أداؤه دواؤه »

فسار هذا الكلام مثلا منذ عهد هذا الرئيس ، وضرب فى مواطن كثيرة . طيب الله ثراه .

(*) (بى خاك مراغه كردندى .) ، والظاهر أنه كناية عن شدة المكر .

الحكاية السادسة

ظهر فى عهد دولة آل عباس رضى الله عنهم سادة عظام . وأمر البرامكة معروف مشهور وقد عرف مبلغ صلاتهم وهباتهم . ولكن ذو الرياستين[٢١] الحسن بن سهل وأخوه الفضل بلغا السماء وانتهى أمرهما إلى أن خطب المأمون بنت الفضل له وكانت جارية كاملة الجمال . وليس لها فى الفضل مثال .

وقد استقر الرأى على أن يذهب المأمون إلى دار العروس ويقيم بها شهراً ثم يرجع إلى داره بالعروس . وفى اليوم الذى ضرب للذهاب أراد الخليفة على المعتاد أن يلبس أحسن ثيابه — وكان المأمون يديم لبس السواد . فظن الناس أنه يلبسه لأنه شعار العباسيين حتى سأله يوما يحيى بن أكثم لماذا يفضل أمير المؤمنين الثياب السود . قال المأمون للقاضى : سود الثياب لباس الرجال والأحياء . فما تزف امرأة فى ثياب سوداء . ولا يكفن ميت فى ثوب أسود . فتعجب يحيى من هذا الجواب . فأراد المأمون ذلك اليوم أن ينظر ثياب الخزائن فلم يعجبه شىء من ألف قباء أطلس ومعدنى وملكى ونسيج وممزج ومقراضى وأكسون[٢٢] . ولبس السواد وركب إلى دار العروس .

وكان الفضل قد زين داره زينة حيرت الكبراء . وجمع نفائس تقصر الأنفاس عن وصفها . ولما بلغ المأمون باب الدار رأى سترا معلقاً أحسن من ربيع الصين ، وأنفس من شعار الدين . نقشه يعلق بالقلوب ولونه يمتزج بالأرواح . فالتفت إلى الندماء وقال : لو اخترت ما اخترت من ألف القباء لاستحييت منه هنا ، الحمد لله على أن اقتصرت على هذا السواد .

ومما تكلفه الفضل ذلك اليوم أن المأمون حين توسط الدار أتى بطبق مملوء بقطع من الشمع على هيئة اللؤلؤ كل واحدة فى حجم البندقة . وفيها رقعة كتب عليها اسم ضيعة . فنثر ما فى الطبق تحت قدم المأمون . فكل من أخذ من رجال المأمون قطعة من هذا الشمع أرسل إليه قبالة هذه الضيعة .

فلما أتى المأمون بيت العروس رأى بيتاً مجصصاً منقشاً . عليه إزار صينى أكثر رونقاً من المشرق حين تنفس الصبح ، وأجمل من البستان حين يتفتح الورد . وقد استوعب البيتَ حصير من نسج الذهب ، رصعت بالدر والعقيق والفيروز ووضعت على هذا النمط

خمس حشايا جلست عليها دمية أغلى من العمر والحياة ، وأطيب من الشباب والصحة . قامة يقر لها سرو غاتفر بالعبودية ، وعارض تقر له الشمس المضيئة بالسيادة ، شعرها غيرة المسك والعنبر ، وعينها حسد الجزع والعبهر . وقامت كالسرو مائسة وتقدمت إلى المأمون ، وحيته كثيراً ، واعتذرت إليه ، وأخذت بيده فأجلسته فى صدر المسند ووقفت أمامه للخدمة .

فأمرها المأمون أن تقعد فجثت ، وطأطأت رأسها ، ورمت البساط بطرفها .

فتولَّه المأمون . وكان قد وهبها قلبه فوهبها الروح معه . ومدّ يده إلى قبائه وأخرج ثمانى عشرة لؤلؤة كل واحدة كبيضة عصفور أضوأ من كواكب السماء ، وأكثر رونقاً من ثنايا الحسناء ، ومن المشترى وزحل أحسن تدويراً ، بل أعظم نوراً . ونثرها فتدحرجت على البساط واستمرت حركتها لتدويرها واستواء البساط ، ولم تسكن فلم تلتفت العروس إلى هذه الجواهر ولم ترفع رأسها . فزاد شغف المأمون ومد يده وشرع يباسطها وهمّ بعناقها . فغلبها الحياء . وبلغ من تأثر هذه العروس الرقيقة أن عرض لها ما يعرض للنساء ؛ واحمرت وجنتاها من الخجل والحياء وقالت فوراً : يا أمير المؤمنين ، «أتى أمر الله فلا تستعجلوه*» .

فقبض المأمون يده . وكاد يذهل من فصاحة هذه الآية ، والتلطف فى إيرادها فى هذه الحادثة . فلم يستطع أن يصرف بصره عنها ، ولبث فى هذا البيت ثمانية عشر يوماً ، ولم يشتغل إلا بها .

وارتفع أمر الفضل وبلغ ما بلغ .

الحكاية السابعة

وأما فى زماننا فإن أمير المؤمنين المسترشد بالله(٢٣) ابن المستظهر بالله من خلفاء بنى العباس ، طيب الله تربته ، ورفع فى الجنان مرتبته خرج من بغداد فى جيش مهيأ ، وأبهة عظيمة ومال لاينفد ، وسلاح لا يعد متوجهاً إلى خراسان لوحشة كانت من سلطان العالم سنجر وكان هذا من مكر أصحاب الأغراض وتمويه أهل الشر وتزويرهم .

فلما بلغ كرمانشاهان خطب يوم الجمعة خطبة تجاوزت أوج الشمس فى الفصاحة وانتهت إلى العرش وعليين . وأعرب فيها عن ضيق صدره وخيبة رجائه شاكياً من آل

(*) سورة ١٦ ، آية ١ .

سلجوق . وقد أقرّ فصحاء العرب و بلغاء العجم أن أحداً بعد الصحابة رضوان الله عليهم — وهم تلاميذ صاحب الرسالة وورثة جوامع الكلم — لم ينظم مثل هذه الفقرات فصاحة وجزالة.

قال أمير المؤمنين المسترشد بالله :

فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق فبغوا علينا « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »* .

الحكاية الثامنة

وقعت حرب على أبواب سمرقند بين كورخان الخطائى(٢٤) وسلطان العالَم سنجر فهزم جيش المسلمين هزيمة منكرة ، واستولى كورخان على ما وراء النهر . بعد أن قُتل إمام الشرق حسام الدين أنار الله برهانه ووسّع عليه رضوانه .

ثم ولّى كورخان على بخارى أتتكين ابن الأمير بيابانى وابن أخى أتسز(٢٦) ملك خوارزم . ولما عزم على الرجوع أوصى به إلى الأستاذ الإمام تاج الإسلام أحمد بن عبد العزيز ، وكان إمام بخارى وابن برهان(٢٧) ، وأمره أن يصدر فى أعماله كلها عن إشارته ، ولا يعمل شيئا بغير أمره ، ولا يتصرف فى أمر إلا فى حضوره .

ورحل كورخان عائدا إلى برسخان .

ولم يكن لعدله نهاية ، ولا لنفاذ أمره حدّ . والحق أن حقيقة الملك لا تعدو هذين .

ولما خلا الجو لأتتكين ظلم الناس ، وشرع يصادر أهل بخارى . فذهبت طائفة من البخاريين وفدا إلى برسخان(٢٨) وتظلموا . فلما سمع كورخان ظلامتهم كتب إلى أتتكين على طريقة أهل الإسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يعلم أتتكين أنه إن تكن المسافة بيننا بعيدة فرضانا وسخطنا منه قريب . ليفعل أتتكين ما يأمر به أحمد . وليأمر أحمد بما أمر به محمد والسلام » .

وقد تفكرنا مرارا وتأملنا فإذا شرح هذه الرسالة ألف مجلد بل أكثر . ومضمونها بيّن واضح كل الوضوح ، لا يحتاج إلى شرح . وقلما رأيت مثلها .

(*) سورة ٥٧ آية ١٦ .

الحكاية التاسعة

غاية فصاحة القرآن إيجاز اللفظ و إعجاز المعنى . وكلما تيسر للفصحاء والبلغاء تضمينا منه أدهش السامعين ، وأقام قيامة العقلاء . وهذا دليل واضح ، وبرهان قاطع على أن هذا الكلام لم تجر به أنفاس مخلوق ، ولم يحدثه فم ولا لسان ، وأن رقم القِدم مثبت على ناصية عباراته و إشاراته .

حكى أن أحد المسلمين كان يقرأ هذه الآية أمام الوليد بن المغيرة : « وقيل يا أرض أبلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودىّ وقيل بعداً للقوم الظالمين* » . فقال الوليد : والله إن عليه لطلاوة ، و إن له لحلاوة ، و إن أعلاه لمثمر ، و إن أسفله لمُغدق . وما هو قول البشر .

فإن كان الأعداء قد بلغوا هذا المقام فى ميادين الإنصاف ، فانظر ما يبلغ الأصدقاء . والسلام .

الحكاية العاشرة

ومن سنن ملوك العصر وجبابرة الزمان الأول أن يتفاخروا بالعدل والفضل ويتنافسوا فيهما . وكانوا كلما أرسلوا رسولا زوّدوه بالحكم والألغاز والرموز . وكان الملك يستعين بأرباب العقل والتمييز ، وأولى الرأى والتدبير ، يعقدون مجلساً بعد مجلس حتى يتفقوا على أجوبة هذه المسائل وتتضح هذه الألغاز والرموز ، وحينئذ يأذنون للرسول فى العودة .

وكانت هذه العادة متبعة إلى زمان السلطان العادل يمين الدولة والدين محمود بن سبكتكين رحمه الله .

ولما جاء السلاجقة بعده وكانوا بداة لا علم عندهم بأخبار الملوك ومآثرهم درست فى عهدهم أكثر رسوم الملك ، وانطمس كثير من ضروريات السلطان ، ومن هذا ديوان البريد فقس عليه غيره .

وقد روى أن السلطان يمين الدولة محموداً رحمه الله أرسل يوماً رسولا إلى بغراخان (٢٩) فيما وراء النهر . وأثبت فى الرسالة التى بعث بها هذا الفصل :

(*) سورة ١١ آية ٤٤ .

قال الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »* . وقد اتفق أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق على أن المراد التقوى من الجهل . فليس نقصان لأرواح الناس أسوأ من نقصان الجهل ، وأدنأ من قلة العلم ، والكلام القديم يشهد بصحة هذه القضية وصدق هذا الخبر : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »** ، فنحن نريد من أئمة ماوراء النهر وعلماء الشرق وأفاضل الحضرة الخاقانية أن يبينوا لنا ضروريات هذه المسائل :

ما النبوة ، وما الولاية ، وما الدين ، وما الإسلام ، وما الإيمان ، وما الإحسان ، وما التقوى ، وما الأمر بالمعروف ، وما النهي عن المنكر ، وما الصراط ، وما الميزان ، وما الرحمة ، وما الشفقة ، وما العدل ، وما الفضل ؟

فلما بلغت هذه الرسالة حضرة بغراخان واطلع على مضمونها ومكنونها ، دعا أئمة ما وراء النهر من كل صوب ، وفاوضهم في هذا المعنى . فالتزم بعض كبار أئمة ما وراء النهر أن يؤلف كل منهم في هذا الباب كتاباً ويبينوا أجوبة هذه المسائل في فصول الكتاب وسألوا النظرة أربعة أشهر . وكان في هذه المهلة أنواع من الضرر أقواها نفقات الخزانة للرسل والوفود وفي تعهد الأئمة .

فقال محمد بن عبده الكاتب (٣٠) ، وكان كاتب بغراخان ، وله في العلم تعمق ، وفي الفضل تنوّق ، وفي النظم والنثر تبحّر ، وكان أحد فضلاء الإسلام وبلغائه : « أنا أجيب هذه الأسئلة في كلمتين إجابة إذا اطلع عليها أفاضل الإسلام ، وأماثل المشرق رضوا بها ، وأقرّوا بحسنها ، ثم أخذ القلم وكتب في حاشية المسائل على طريقة الفتوى :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله » .

فعض أئمة ما وراء النهر جميعا أناملهم تعجّبا وتحيّروا وقالوا : « هذا جواب كامل وهذا لفظ شامل » . وتهلل الخاقان العظيم إذ كفاه كاتبه ولم يحتج إلى الأئمة .

وحينما بلغ الجواب غزنة ، وقع الإجماع على استحسانه .

فينتج من هذه المقدمات أن الكاتب العاقل ، والأديب الفاضل جمالٌ للملك ، وأعظم رفعة للملك . وبعد فنتم هذه المقالة بهذا الخطاب والسلام .

(*) ٤٩ (١٣) .
(**) ٥٨ (١١) .

المقالة الثانية

فى ماهية الشعر ، وصلاحية الشاعر

الشعر صناعة بها الشاعر يؤلف المقدمات الموهمة ، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيراً والكبير صغيراً ، ويرد الحسن فى زى القبيح ، ويجلو القبيح فى صورة الحسن . ويثير بالإيهام القوى الغضبية والشهوانية فيحدث بهذا الإيهام للطباع انقباض وانبساط ، وتنشأ فى العالم الأمور العظام كما روى .

الحكاية الأولى

سئل أحمد بن عبد الله الخجستانى[1] : كنت رجلا مكاريا فكيف نلت أمارة خراسان . قال كنت فى خجستان من بادغيس أقرأ يوما ديوان حنظلة البادغيسى فبلغت هذين البيتين[2] :

إذا كانت العظمة بين فكَّى الأسد فخاطر وخذها من بين فكيه*

فإما أن تنال العظمة والعز والنعمة والجاه ، و إما أن تلق ، كالرجال ، الموت وجها لوجه .

فطمحت نفسى فما استطاعت أن ترضى بالحال التى كنت فيها . فبعت الحُمُر واشتريت فرساً ، ورحلت عن وطنى ولحقت بعلىّ بن الليث أخى يعقوب بن الليث وعمرو بن الليث . وكان بازى دولة الصفاريين يطير فى ذروة أوج عِلّيين ، وكان على الأخ الأصغر وكان ليعقوب وعمرو عليه إقبال عظيم . ولما ذهب يعقوب من خراسان إلى غزنة أرجعنى علىّ بن الليث من رباط سنگين ، ووجّهنى إلى خراسان لشحنة الإقطاعات وكنت جمعت من ذلك الجيش على الطريق مائة فارس ، وكان لى عشرون فارساً من قبل .

وكان من إقطاعات على بن الليث كَرُوخ هراة[3] ، وخواف نيسابور . ولما بلغت كروخ

(*) مهترى گر بكام شير در است شو خطر كن ز كام شير بجوى
يا بزرگى وعزّ ونعمت وجاه يا چو مردانت مرگ روياروى

أظهرت منشور التولية وما حصلتُه فرقتُه على العسكر . فصار فرسانى ثلاثمائة . ولما بلغت خواف[٤] وعرضت المنشور لم يقبل رؤساؤها وقالوا لا نحتاج إلى شحنة بأكثر من عشرة رجال . فاجتمع رأيى على أن أخلع طاعة الصفار بين فأغرت على خواف وسرت منها إلى قرية بُشت[٥] ثم إلى بيهق[٦] . واجتمع على ألفا فارس فتوجهت تلقاء نيسابور واستوليت عليها . فارتفع شأنى وما زال يرتفع حتى استخلصت لنفسى خراسان كلها .

وأصل هذا كله هذان البيتان من الشعر .

ويقول السلاّمى[٧] فى تاريخه إنه بلغ من أمر أحمد بن عبد الله أنه وهب فى ليلة واحدة بنيسابور ثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة فرس وألف ثوب . وهو اليوم فى التاريخ من الملوك القاهرين . وسبب هذا بيتان من الشعر . وفى مثال هذا كثير بين العرب والعجم . ولكنا اقتصرنا على هذا .

فلا غنى للملك عن الشاعر المجيد يخلّد اسمه ، ويبقى ذكره فى الدواوين والكتب . لأن الملك إذا نزل به القضاء لم يبق من جيشه وماله وخزائنه شىء ولكن يبقى اسمه خالدا بشعر الشعراء . يقول الشريف المجلّدى الجرجانى :

ما الذى بقى من نعيم آل ساسان وآل سامان ؟ إنما بقى مدائح الرودكى وأغانى باربد * وقصصه** .

وأسامى ملوك العصر وسادات الزمان خلدت بشعر جماعة لهم نظم رائع وشعر شائع . كما بقيت أسامى آل سامان بالأستاذ أبى عبد الله جعفر بن محمد الرودكى ، وأبى العباس الربنجَنى ، وأبى المثل البخارى ، وأبى اسحق الجويبارى ، وأبى الحسن الأُغْجى ، والطحاوى ، والخبّازى النيشابورى ، وأبى الحسن الكسائى .

وأما أسامى ملوك آل ناصر الدين† فقد بقيت بأمثال العنصرى ، والعسجدى ، والفرّخى ، والبهرامى ، والزينتى ، وبزرجمهر القاينى ، والمظفرى ، والمنشورى ، والمنوجهرى ، والمسعودى ،

(*) المغنى المشهور الذى ظهر فى بلاط كسرى برويز .

(**) از آن چندان نعيم اين جهانى ... كه ماند از آل ساسان وآل سامان
ثناى رودكى ماندست ومدحت ... نواى باربد ماندست ودستان

(†) يعنى آل سبكتكين .

والقصارامی ، وأبی حنیفة الأسكاف ، والراشدی ، وأبی الفرج الرونی ، ومسعود بن سعد بن سلمان ، ومحمد الناصر ، والشاه بورجا ، وأحمد بن خلف ، وعثمان المختاری ، ومجدود السنائی .

وأما أسامی آل خاقان فقد بقیت باللؤلؤی ، والكلابی ، والنجیبی الفرغانی ، وعمعق البخاری ، والرشیدی السمرقندی ، ونجّار الساغرجی ، وعلی البانیذی ، وابن درغوش ، وعلی السپهری ، والجوهری ، والسغدی ، وابن تیشه ، وعلی الشطرنجی .

وأما أسامی آل بویه فقد بقیت بالأستاذ المنطقی ، والكیاغضائری ، وبُندار .

وأما أسامی آل سلجوق فبقیت بفرّخی الجرجانی ، ولامعی الدهستانی ، وجعفر الهمدانی ودرفیروز الفخری ، و برهانی ، والأمیر معزّی وأبی المعالی الرازی ، وعمید الكمالی ، وشهابی .

وأما أسامی ملوك طبرستان فبقیت بقَمَری الجرجانی ، ورافعی النیسابوری ، وكفائی الكنجی ، وكوسه الفالی ، وابن كله .

وأسامی ملوك الغور آل شنْسَب خلد الله ملكهم بقیت بأبی القاسم الرفیعی ، وأبی بكر الجوهری ، وأقل العباد نظامی العروضی ، وعلی الصوفی .

ودواوین هذه الجماعة ناطقة بالكمال والجمال والعُدة والعِدّة ، والعدل والبذل ، والأصل والفضل ، والرأی والتدبیر والتأیید والتأثیر لهؤلاء الملوك الماضین والسادة الغابرین (نور الله مضاجعهم ووسّع علیهم مواضعهم) .

كم عظیم ، نعموا بنعم الملوك ، وأفاضوا الهبات ، وأعطوا هؤلاء الشعراء المفلقین والیوم عفت منهم الآثار ، ولم یبق من خَدَمهم وحَشَمهم دیّار . وكم بنوا من جواسق مزخرفة وأنشأوا من حدائق مزدهرة ، وقد سوّیت الیوم بها الأرض ، وصارت قفارا یبابا . یقول المنصف :

كم بنی محمـــــود من قصور تطاول القمر علواً ،
لا ترى منها لبنة واحدة وإنما بقی مدیح العنصری* .

وملك العالم علاء الدنیا والدین[8] أبو علی الحسین بن الحسین اختیار أمیر المؤمنین

(*) بسا كاخا كه محمودش بنا كرد — كه از رفعت همی بامه مرا كرد
نبینی زآن همه یك خشت برپای — مدیح عنصری ما ندست برجای

أطال الله عمره ونصر رايته توجه إلى غزنة ليثأر لهذين الأميرين الشهيد شهريار والملك حميد ، وفرّ أمامه السلطان بهرامشاه ، فحمله الحزن على هذين الشهيدين ، وكان الغزنويون استخفوا بهما وسفهوا عليهما ، على أن يأمر بنهب غزنة ، وأخرب عمارات محمود ومسعود وإبراهيم واشترى مدائحهم بالذهب ، وخبأها فى الخزائن ولم يجرؤ أحد فى هذا العسكر أو هذه المدينة أن يسمّى أحدهم سلطانا . على حين كان الملك نفسه يقرأ فى الشاهنامة ما قال أبو القاسم الفردوسى :

أول ما ينطق به الطفل الرضيع فى مهده « محمود » .

تتمثل فى جسمه صولة الفيل ، وفى روحه علم جبريل ، وفى كفه مطر الربيع ، وفى قلبه نهر النيل .

مَلك العالم «محمود» ، ذو العزة القعساء الذى جمع بين الذئب والحمل على مورد الماء * .

وأرباب العقول يعلمون أنه لم تبق هناك حشمة محمود ، ولكن حرمة الفردوسى ونظمه . ولو علم محمود ما ترك هذا الرجل الحرّ محروما آيسا .

فصل

فى صفة الشاعر وشعره

ينبغى أن يكون الشاعر (سليم الفطرة ، عظيم الفكرة ، صحيح الطبع ، جيّد الروية ، رقيق النظر) متنوعا فى أنواع العلوم ، آخذا بأطراف الرسوم ، لأن كل علم يتصل بالشعر كما يتصل الشعر بكل علم .

وينبغى أن يكون الشاعر منطيقا فى مجلس المحاورة ، طلق الوجه فى مجلس المعاشرة . وينبغى أن يكون شعره من الجودة بحيث يكون فى صحائف الزمان مسطورا ، وعلى ألسنة الأحرار مذكورا . يكتب فى السفائن ويقرأ فى المدائن . وخير ما فى الشعر تخليد الاسم ، ولا يبلغ هذا المقصد ما لم يبق مسطورا مقروءاً .

وإذا لم يبلغ الشعر هذه الدرجة لم يبق أثره ، ومات قبل قائله وكيف يخلّد غيره إن لم يخلد نفسه .

(*) چو کودک لب از شیر مادر بشست — ز گهواره محمود گوید نخست
بتن زنده پیل وبجان جبرئيل — بکف ابر بهمن بدل رود نيل
جهاندار محمود شاه بزرگ — بآبشخور آرد همى ميش وگرگ

ولا يبلغ الشاعر هذه المنزلة إلا أن يحفظ فى عنفوان الشباب وريّق العمر عشرين ألف بيت من أشعار المتقدمين ويجعل نصب عينه عشرة آلاف كلمة من آثار المتأخرين، ويديم القراءة فى دواوين الأئمة، ويلتقط منها ليعلم كيف تصرفوا فى مضايق القول، ودقائق الكلام حتى يرتسم فى طبعه صور الشعر وطرائقه ، ويتجلى له مزايا الشعر ونقائصه فيرتقى قوله ، ويعلو طبعه .

فإذا رسخ طبعه فى نظم الشعر وانقاد له الكلام عمد إلى علم الشعر وقرأ العروض ، وألمّ بتصانيف الأستاذ أبى الحسن السرخسى البهرامى مثل غاية العروضين وكنز القافية، وقرأ نقد المعانى والألفاظ والسرقات والتراجم وأنواع هذه العلوم على أستاذ يحذقها، ليكون جديرا بالأستاذية ويظهر إسمه على صحيفة الزمان مع أسماء الأساتذة الآخرين الذين ذكرنا أسماءهم، حتى يستطيع أن يوفى الممدوح حق نعمه، بتخليد اسمه .

وعلى السلطان أن يربّى مثل هذا الشاعر ليتهيأ لخدمته، ويذيع اسمه فى مدائحه .

فإن لم يبلغ الشاعر هذه الدرجة لم يجدر بالالتفات إليه ، وإضاعة المال لديه لا سيا إذا كان شيخا .

وقد تأملت فى هذا الباب فلم أجد فى العالم كله أسوأ من الشاعر الهرم، ولا أضيع من المال الذى يهدى إليه .

وأما الشاب المستقيم الطبع فإن كان شعره رديئا فهو مرجوّ أن يكون حسنا . ويجب فى شرعة المروءة تربيته ويُفترض تعهده، ويلزم تفقده .

وليس أحسن فى صحبة الملوك من حسن البديهة، فإن بالبديهة ينبسط السلطان، ويزهو مجلسه، ويبلغ الشاعر مقصوده .

ولم ينل أحد ما ناله الرودكى من آل سامان بالبديهة والارتجال .

الحكاية الثانية

حكى أن نصر بن أحمد — الذى كان واسطة عقد آل سامان، وبلغت دولتهم فى أيامه أوجها، واستكملت أسباب التمتع، ووسائل العلوّ، من خزائن مملوءة، وعسكر جرّار، وعبيد

مطيعين — كان يشتو بدار الملك بخارى ، و يصيف فى سمرقند أو بمدينة من مدائن خراسان .

ووقع الاختيار على بادغيس من أعمال هراة فى ر بيع إحدى السنين . و بادغيس أطيب مراعى خراسان والعراق ، فيها زهاء ألف قناة فيها الماء والمرعى، فى كل واحدة كفاية جيش .

فلما رعت الدواب وا كتنزت واشتدت ، وصلحت للميدان والحرب، توجه نصر بن أحمد تلقاء هراة ونزل فى مَرغ سپيد على أبوابها ، وضُرب الخيَم هناك . وكان الوقت ر بيعا وقد هبّت الشمال ، ونضجت فوا كه مالِن وكَروخ التى لا يلقى مثلها فى كثير من البلاد و إن وجدت لم تبلغ هذه الكثرة .

فاستراح الجيش ، وسكن إلى هواء طيب ، وماء بارد ، وقوت وافر ، وفاكهة كثيرة ، ورياحين شتى ، ونعم الجند وتمتعوا بالربيع والصيف .

ولما جاء الخريف ونضج العنب ، وازدهر الشاهسفَرم والحَماحِم والأقحوان أخذوا حقهم من نعيم الشباب ، وأعطوا عنفوان الشباب نصيبه . وطال الخريف ، ولم يشتد البرد ، ونضج العنب شديد الحلاوة . وفى سواد هراة مائة وعشرون لونا من الأعناب كل واحد ألطف من الآخر وألذ . ومنها صنفان لا يوجدان فى جهة أخرى من الربع المسكون : البرنيان والكَلِنجَرى . رقيق القشرة ، صغير البذرة ، كثير الماء كأن ليس فيه أجزاء أرضية . و يبلغ العنقود من الكلنجرى خمسة أمنان والحبة خمسة دراهم ، أسود كالقار ، وحلو كالسكر يسهل الإكثار من أكله لما فيه من مائية .

وكل أنواع الفوا كه الأخرى جيّد .

فلما رأى الأمير نصر بن أحمد الخريف وثمراته أعجبه جدّا . وأخذ النرجس يزهر ؛ وألقى الكشمش فى مالن واستخرجوا المنقّى* وعلّقت المناقيد ، وملأوا بها الخزائن . وانتقل الأمير والجند إلى قريتى غوره ودرواز فرأوا دورا كل واحدة كالجنة العليا ، ولكلّ منها حديقة و بستان أمامها ، فى مهبّ الشمال ، فأمضوا الشتاء هناك ، وأخذ النارنج يُجلب من جهات سجستان والترنج من نواحى مازندران . فقضوا شتاء طيبا جدّا .

فلما جاء الربيع أرسلت الخيل إلى بادغيس ، وضرب المعسكر فى مالِن بين نهرين .

(*) المنقى : هو الزبيب الذى أخرج بذره .

فلما دخل الصيف نضجت الفواكه . فقال الأمير نصر بن أحمد أين نذهب فى الصيف ؟ لا مقام أطيب مما هنا ، نرحل فى الخريف . ولما دخل الخريف قال نتمتع بخريف هراة ونرحل . وهكذا أخرّ الرحيل من فصل إلى فصل (أحال فصلا إلى فصل) حتى أتى على هذا أربع سنين ، إذ كانت دولة السامانيين فى عنفوانها ، والمملكة عامرة والملك بغير منازع ، والجند مطيع ، والوقت مساعد ، والبخت موافق . ولكن مع هذا كله ملّ الجند ، واشتاقوا إلى ديارهم . ورأوا الملك ساكنا إلى المقام ، قد تمكن هوى هراة من رأسه ، وعشق هراة فى قلبه ، يشبهها فى حديثه بجنة عدن ، بل يفضلها عليها ، ويراها أجمل من ربيع الصين . فعلموا أنه يريد أن يمضى الصيف بها .

فتوجه قادة الجند ، وأعيان المملكة إلى الأستاذ أبى عبد الله الرودكى . ولم يكن فى ندماء السلطان أعظم جاها منه ولا أنفذ قولا ، قالوا نهدى إليك خمسة آلاف دينار إذا وضعت لحنا يحرّك السلطان من هذه الأرض . فإن قلوبنا قد أفعمها الشوق إلى أولادنا ، وأرواحنا بلغت الحلقوم حنينا إلى بخارى .

فقبل الرودكى ، إذ كان قد جسّ نبض الأمير ، وعرف مزاجه وعلم أنه لا يؤثر فيه بالنثر فعمد إلى الشعر فنظم قصيدة ودخل على الأمير حين الصبوح ، وجلس مكانه . فلما فرغ المطربون أخذ هو الرباب وشرع ينشد هذه القصيدة فى نغمة العشاق :

ما يزال يهب علينا عرف جيحون (٩) وما يزال يهب علينا عرف الحبيب

ثم انتقل إلى نغمة أهدأ وأنشد :

إن رمل جيحون (آموى) وطريقه الوعر لا يزال تحت أقدامى كالحرير

ولا يزال ماؤه ، من فرط شوقه لوجه الحبيب ، يعلو حتى يبلغ وسط حصاننا . فلتسعد بخارى ولتطل حياتها ، وليحيا الأمير ولا زال سعيدا .

إن الأمير القمر وبخارى السماء ، والقمر لا يزال يرنو للسماء

إن الأمير السرو وبخارى البستان ، والسرو لا يزال متجها نحو البستان*.

(*) بوى جوى موليان آيد همي بوى يار مهربان آيد همى
ريگ آموى ودرشتى راه او زير پايم پرنيان آيد همى
آب جيحون از نشاط روى دوست خنگ مارا تاميان آيد همي =

فلما بلغ الرودكى هـذا البيت بلغ تأثر الأمير أن نزل عن التخت وأسرع غير منتعل فركب فرس النوبة وتوجّه شطر بخارى حتى حمل وراءه المَوزَج والفاشية * فرسخين إلى بروته . وهناك لبسهما . ولم يعرّج على مكان حتى بخارى .

وضاعف الجند للرودكى خمسة الألاف دينار .

وسمعت فى سمرقند سنة أربع وخمسمائة** من الدهقان أبى رجاء أحمد بن عبد الصمد العابدى قال حدث جدّى أبو رجاء أن الرودكى لما رجع إلى سمرقند هذه المرة كانت أمتعته محمولة على أربعمائة جمل .

والحق أن هذا الرجل العظيم كان جديرا بهذا فإن أحدا لم يعارض هذه القصيدة حتى اليوم . ولم ير الشعراء فى طاقتهم الخروج من هذه المضايق .

وممن عرفوا بين العجم بعذوبة القول ولطف الطبع أمير الشعراء المعزى الذى بلغ شعره الغاية فى الطلاوة والنضارة ، والنهاية فى العذوبة والسلاسة . وقد سأله زين الملك أبو سعد هندو بن محمد بن هندو الأصفهانى (١٠) أن يعارض هذه القصيدة . قال لا أقدر . فألحّ عليه فنظم أبياتا منها هذا البيت :

يجىء الآن رستم من ما زندران ، ويجى الآن زين الملك من إصفهان†

وكل عاقل يعرف أى فرق بين هذا الكلام وذاك الكلام . ومن يستطيع أن يقول بهذه العذوبة التى تبدو فى قوله مادحا فى هذه القصيدة :

يبقى ما أفاء الشعر من الثناء والمديح ، ولو أصاب الفقر الخزانة†† .

وفى هذا البيت سبعة من محاسن الصنعة : المطابقة ، والتضاد ، والمردّف ، و بيان المساواة ، والعذوبة ، والفصاحة ، والجزالة (١١) .

وكل أستاذ متبحر فى علم الشعر إذا تفكر قليلا علم أنى فى هذا مصيب والسلام .

= مير ماهست وبخارى آسمان ماه سوى آسمان آيد همى

مير سرواست وبخارى بوستان سرو سوى بوستان آيد همى

(*) جلد رقيق مزين يوضع فوق الخف .

(**) ١١١٠ — ١١١١م .

(†) رستم ازمازندران آيد همى زين ملك أز إصفهان آيد همى

(††) آفرين ومدح سود آيد همى گر بگنج اندر زيان آيد همى

الحكاية الثالثة

عشق السلطان يمين الدولة محمود لأياز التركى معروف مشهور . ويقال إنه لم يكن وسيما جدًا ولكن كان أسمر الوجه مليحه رشيقا ، ظريفا عاقلا رزينا ، عارفا بآداب الخدمة ، وكان فى هذا نادرة زمانه .

وهذه الأوصاف هى التى تبعث العشق ، وتؤكد المودة . وكان السلطان يمين الدولة محمود رجلا دينًا تقيًا . وقد جاهد نفسه كثيرا فى عشق أياز فلم يخرج عن جادة الشرع ومنهج المروءة قيد خطوة .

وكان فى مجلس المنادمة ليلة فلما أثر فيه الشراب ، وعمل العشق ، نظر إلى أياز فرأى عنبرا يضطرب على وجه قمر ، ورأى سنبلا يتثنى على صفحة الشمس ، تشابك الدرع وتتابع حلقات السلسلة ، فى كل حلقة ألف فؤاد وفى كل حلقة مائة ألف روح .

فاختطف العشق زمام الاصطبار من يده . وبرز محتسب « آمنا وصدقنا » وقام أمام السلطان يمين الدولة وقال حذار يا محمود ! لا تخلط العشق بالفسق ، ولا تمزج الحق بالباطل ، فإن بهذه الزلة تضطرب عليك ولاية العشق وتسقط من جنة العشق كما سقط أبوك وتقع فى عناء دنيا الفسوق .

وكان سمع إقباله حديدا فسمع هذا النداء ، وخشى ألا يثبت جيش صبره لجند طرر أياز ، فأخرج سكينا وقال لأياز هيّا فاقطع طرّتيك . فحياه أياز وأخذ السكين من يده وقال من أين أقطع . قال من النصف . فثنى أياز طرته وقدّر وامتثل . ووضع طرفى طرتيه أمام محمود .

فيقال إن هذا الامتثال صار سبباً آخر للعشق . فطلب محمود ذهبا وجوهرا وأعطى أياز أكثر مما عوّده ، وغلبه السكر فنام .

فلما هبّ عليه نسيم السحر قام فجلس على سرير الملك وتذكر ما فعل فدعا أياز ورأى طرتيه مقطوعتين . فأغار جيش الندم فى قلبه واستولى خمار العربدة على رأسه . فكان ينام ويقوم . ولم يجرؤ أحد من المقرّبين أن يسأله ماذا به ، حتى توجّه الحاجب علىّ القريب (١٢) ، وهو حاجبه الكبير ، إلى العنصرى وقال ادخل إلى السلطان ، وأره نفسك واحتل حتى

تطيب نفسه . فامتثل العنصرى أمر الحاجب الكبير ودخل على السلطان وحيّا .

فرفع السلطان رأسه إليه وقال : يا عنصرى كنت أفكر فيك الساعة . أنت ترى ما وقع فقل فى هذا المعنى قولا مناسبا .

فحياه العنصرى وقال على البديهة :

لم تعيب قطع طرة الحبيب ولم تقعد وتقوم مهموما ؟

ألا فاطرب وانشط واشرب فإن زينة السرو فى شذبه* .

فسر السلطان يمين الدولة محمود من هذين البيتين كل السرور ، وأمر أن يؤتى بالجواهر فملأ فمه بالجوهر ثلاث مرات ، ودعا بالمطربين ، وشربوا ذلك اليوم إلى الليل على هذين البيتين . وانصرف هذا الداهية مسرورا بهذين البيتين . والسلام .

وينبغى أن يعلم أن البديهة ركن من أعلى أركان الشعر وعلى الشاعر أن يروض طبعه حتى يستطيع أن يثير المعانى بديهة فإن البديهة تخرج الفضة من خزائنها ، وملاءمة الحال تطيب نفس السلطان .

وهذا كله واجب مراعاةً لنفس المخدوم وطبع الممدوح ، وأكثر ما أصاب الشعراء من الصلات العظيمة كان بالبديهة ومراعاة الحال .

الحكاية الرابعة

كان الفرّخى من سجستان . وهو ابن جولوغ غلام الأمير خلف بانو(١٣) . وكان جيّد الطبع يحسن قرض الشعر ، ويضرب على الرباب .

وكان فى خدمة أحد دهاقين سجستان . وكان هذا الدهقان يعطيه كل عام من الغلة مائتى مكيال كل واحد خمسة أمنان ، ومائة درهم نوحىّ من الفضة . وكان فى هذا كفايته . ولكنه تزوج امرأة من موالى خلف أيضا فكثرت نفقاته ، وزادت تبعاته . فأصابته فاقة ولم يكن فى سجستان أحد يُقصد إلا الأمراء . فرفع الفرخىّ قصّته إلى الدهقان أن قد زاد

(*) كى عيب سر زلف بت از كاستن است | چه جاى بغم نشستن وخاستن است
جاى طرب ونشاط وى خواستن است | كاراستن سرو ز پيراستن است

الخرج فلو زاد الدهقان كرماً غلتى إلى ثلاثمائة مكيال ، والفضة إلى مائة وخمسين لعل هذا يفى بحاجاتى .

فوقع الدهقان على ظهر القصة أن هذا القدر لا يُضن به عليك ولا سبيل إلى الزيادة .

فلما قرأ فرخى هذا يئس وأخذ يسأل الصادر والوارد لعله يجد فى أطراف العالم وأكنافه ممدوحا يقصد إليه ليصيب خيرا عنده ، حتى أخبر أن الأمير أبا المظفر الصاغانى (١٤) فى صاغان يحسن إلى الشعراء ، ويفيض على هذه الجماعة الصلات والجوائز الفاخرة وأنه لا ندّ له اليوم من ملوك العصر وأمراء الوقت فى هذا الباب .

فنظم قصيدة فى مدح الأمير أبى المظفر :

غادرت سيستان مع قافلة الحلة ، لا بساً حُلة غزلها من القلب ونسيجها من الروح (*) .

وهى فى الحق قصيدة حسنة أجاد فيها وصف الشعر كل الإجادة و بذ الشعراء فى المدح ، ثم تزود وتوجّه تلقاء صاغان فبلغ الحضرة أوان الربيع وكان الأمير فى الموسم (**) .

وسمعت أنه كان عنده ثمانية عشرة ألف حِجرة أصيلة وراء كل واحدة مهرها . وكان يذهب كل سنة ويَسم المِهار .

وكان العميد أسعد وكيل الأمير فى الحضرة ، يهيىء الأنزال ليحملها إلى الأمير . فذهب فرخى إليه وأنشده قصيدة ، وعرض عليه قصيدة الأمير . وكان العميد أسعد رجلا فاضلا محبّا للشعراء فرأى لفرّخى شعرا سلسا بيّن العذوبة ، بارع الصنعة . ورأى فرّخى سجزيّا لارواء له ، يلبس جبة ممزقة ، ويضع عمامة كبيرة ، وفى رجليه نعلان غليظان جدّا . وشعره فى السماء السابعة .

فلم يصدق أن هذا الشعر يلائم هذا السجزى . فقال على سبيل الامتحان : الأمير فى الموسم وأنا ذاهب إليه ومستصحبك إلى الموسم وهو بقعة جميلة جداً « ترى مرجا أخضر مترامى الأكناف (†) » ، تملؤه الخيام والمصابيح كالنجوم وينبعث من كل خيمة نغمات العود ، والندماء جالسون يشربون ويتمتعون . وفى ساحة الأمير نار موقدة كالجبل والمهار

(*) با كاروان حِلة برفتم ز سيستان با حلهٔ تنيده ز دل بافته زجان

(**) فى الأصل داغگاه : مكان الوسم أى وسم الحيوان بالـ . فترجمناها باسم المكان من وسم .

(†) جهانى در جهانى سبزه بينى .

تومَم . والأمير آخذ القدح بيد والوهق بالأخرى . يشرب الشراب ، ويهب الخيل .

فأنشىء قصيدة تناسب الوقت ، وصف الموسم لا ستصحبك إلى الأمير . .

فانصرف فرّخى تلك الليلة وأنشأ قصيدة رائعة ، فلما أصبح توجه بالقصيدة إلى العميد أسعد . وهى :

منذ غطى المرج وجهه بوشاح أخضر ،
وا كتست قمم الجبال قوس قزح من حرير ،
تضوعت الأرض بالمسك كنافة الغزال ،
وتلألأ ورق الصفصاف لا يحصى كريش الببغاء ،
وصباح الأمس هاجت الريح نفحات الربيع ،
حبذا ريح الشمال ويا طيب نسيم الموسم .
وكأنما الريح بطيب المسك عطرت أكمامها ،
وتزيت حافة البستان بأجمل الدمى ،
وتزين « النسترن » بقلادة من لؤلؤ ،
والأرغوان تحلى بقرط من لعل أحمر ،
وعلت كأس الكمت أغصان الورود ،
وتدلت من شجيرات الجميز أيد ببنان ،
وا كتسى البستان ألوانا وضياء و بلونها تحلت الأغصان .
بكت السحب لآلىء قد جرت فى الأرض ماء ، *

(*)

چون پرند نیلگون بر روی پوشد مرغزار — پرنیان هفت رنگ اندر سر آرد کوهسار
خاك راچون ناف آهو مشك زايد بى قياس — بيدرا چون پر طوطى برگ رويد بى شمار
دوش صبحدم بوى بهار آورد باد — حبذا باد شمال وخرما بوى بهار
باد گوئى مشك سوده دارد اندر آستين — باغ گوئى لعبتان جلوه دارد بركنار
نسترن لؤلوى بيضا دارد اندر مرسله — ارغوان لعل بدخشى دارد اندر گوشوار
تا برآن جامهاى سرخ مُل برشاخ گل — پنجهاى دست مردم سر فرو كرد از چنار
باغ بو قلمون لباس وشاخ بو قلمون نماى — آب مرواريد گون وابر مرواريد بار

وكأن الملك العادل قد حباها بالخلع ،
و بلغت الأرض من السعادة ذروة
وقف الدهر حيالها فرحا بل حائرا من أمرها .
وترى المرج الأخضر مترامى الأكناف كأطباق السماء
وصفوفا من خيام كالقلاع المتراصة .
ثمل العاشق من خمر وحب فى الخباء ،
وحيثما الخضرة محبوب سعيد بحبيب .
وعلا صوت الرباب المذب بالخضرة مشوب ،
فطغى على صوت السقاة يديرون كؤوس راح ،
ثمل العشاق من قبلات وعناق ،
وترنحت الحسان من دلال وعتاب ،
وتغنى المطرب النشوان لا يحفل بنائم من خمار .
باب كسرى قد أضاء أسفل الجبل بنار ،
هى شمس بل لواء كسرى من ديباج أصفر .
ذهب يلمع عن بعدٍ وفيه من حياة
وفرة قد لا تدانيها الفتوة والشباب .
هذه مكواة خيله عود مرجان أم ياقوت
تلمس النار فتشبه حبَّ رمان نضيد . *

(*)

راست پنداری که خلعتهای رنگین یافتند / باغهای پر نگار از داغگاه شهریار
داغگاه شهریار اکنون چنان خرم بود / کاندرو از خرّمی خیره بماند روزگار
سبزه اندر سبزه بینی چون سپهر اندر سپهر / خیمه اندر خیمه چون سیمین حصار اندر حصار
هرکجا خیمه است خفته عاشقی با دوست مست / هرکجا سبزه است شادان یاری از دیداریار
سبزها با بانگ چنگ مطربان چرب دست / خیمها با بانگ نوش ساقیان می گسار
عاشقان بوس وکنار ونیکوان ناز وعتاب / مطربان رود وسرود وخفتگان خواب وخمار
بردر پرده سراي خسرو پیروز بخت / ازپی داغ آتشی افروخته خورشید وار
برکشیده آتشی چون مطرد دیبای زرد / گرم چون طبع جوان وزرد چون زرعیار
داغها چون شاخهای بسدّ یاقوت رنگ / هریکی چون نار دانه گشته اندر زیر نار

وصفوف من شباب لم يذوقوا النوم من فرط النشاط ،
وصفوف من خيول فى انتظار .
ها كم كسرى السعيد على ظهر الجواد عبار البحار
قد أمسك القوس كاسفنديار
يتثنى ويتمايل مثل طرر الحسان ،
ولكنه كعهد الصداقة المجربة فى استقامته .
هو الأمير العادل أبو المظفر شاه مع حاشيته .
سعيد ، مجدود ، موفق ، قادر .
كل ما يقع من صيد فى أنشوطته
يكتب اسمه فوق جبينه وذراعه ووجهه .
ولكنه إذ يسم الخيل يهب الهبات
يهدى الشعراء خيلا باللجام ويعطى الزوّار خيلا فى الحبال*.

فلما سمع الرئيس أسعد هذه القصيدة تحيّر إذ لم يكن سمع مثلها قط . فترك أعماله كلها ، وأركب الفرّخى وتوجّه تلقاء الأمير . وبلغ الأميرَ حين الغروب وقال : « يا مولاى ! أتيتك بشاعر لم يُرَ مثله منذ عيّب الدقيقىّ الترابُ† . »

وقصّ ما جرى . فأذن الأمير للفرّخى . فلما دخل خدم†† فمدّ الأمير يده ، وقرّب مكانه وسأله ولاطفه ووعده إحسانه .

وبعد أن دارت الكؤوس مرات قام الفرخى وأنشد هذه القصيدة بصوت حزين حسن :

(*)

ريدگان خواب ناديده مصاف اندر مصاف — مركبان داغ ناكرده قطار اندر قطار
خسرو فرخ سير برباره' دريا گذر — باكمند اندر ميان دشت چون اسفنديار
همچو زلف نيكوان مروگيسو تاب خورده — همچو عهد دوستان سال خورده استوار
مير عادل بو المظفر شاه با پيوستگان — شادمان وشادخوار وكامران وكامكار
هركرا اندر كمند شست بازى در فكند — گشت نامش برسرين وشانه ورويش نگار
هرچه زين سو داغ كرد از سوى ديگر هديه داد — شاعران را با لگام وزائرانرا با فسار

(†) فى الأصل : « منذ وضع الدقيق وجهه فى نقاب التراب » . وهذا كناية عن الموت .
(††) حيا الأمير على الطريقة المتادة إذ ذاك .

غادرت سجستان مع قافلة الحلة

فلما أتمها وكان الأمير عارفا بالشعر ويقرضه كذلك أكثر تعجبه من هذه القصيدة. فقال العميد أسعد : يا مولاى انتظر لترى خيراً منها . فسكت الفرّخى وصمت إلى أن بلغ سكر الأمير غايته . فقام وأنشد تلك القصيدة . قصيدة الموسم . فتحير الأمير والتفت إلى الفرّخى فى هذه الحيرة وقال :

حُشِدِ ألف مهر كلها خَتْلِيّة غرّاء[١٥] محجّلة الأربع . والأمر إليك أنت رجل سجزى وعيّار فما استطعت أن تمسكه فأمسك فهو لك .

وكان الشراب قد غلب عليه وأثر فيه كل التأثير . فخرج ونزع عمامته من فوق رأسه وألقى بنفسه وسط القطعان . واستقبل قطيعا وأخرجها إلى جهة أخرى من الصحراء ، وأجراها يميناً وشمالا وكل ناحية فلم يستطع أخذ واحد منها ثم ظهر فى طرف المعسكر رباط خرب فدخلت المهار هذا الرباط وكان الفرخى قد بلغ منه النصب مبلغه . فوضع عمامته تحت رأسه فى دهليز الرباط وغلبه النوم من فرط السكر والتعب .

وعدت المهار فإذا هى اثنان وأربعون وأخبر الأمير الخبر فضحك كثيرا وتعجب وقال رجل مجدود سيعلو أمره ، أحرسوه والمهار وأيقظونى حين يستيقظ . فامتثلوا أمر الملك .

وقام الفرخى مطلع شمس الغد وكان الأمير قد قام . فصلى وجلس للناس ، ولاطف الفرخى : وسلمت إليه كل تلك المهار وأمر له بفرس مع عدة خاصة ، وخيمتين وثلاثة بغال وخمس جوار وثياب للباس والفرش . . وعلا أمر الفرخى فى خدمته ، وصار ذا أبهة تامة .

ثم ذهب إلى خدمة السلطان يمين الدولة محمود ولما رآه السلطان محمود فى زينته نظر إليه بهذه العين ، وبلغ من أمره أنه كان يركب خلفه عشرون غلاما بمناطق الفضة .

الحكاية الخامسة

أرتبع ملك الإسلام سنجر بن ملك شاه (أطال الله بقاءه وأدام إلى المعالى ارتقاءه) سنة عشر وخمسمائة * فى برية تروق[١٦] فى حدود طوس وأمضى هناك شهرين . ووصلت من

(*) ١١١٦ — ١١١٧ م .

هراة إلى هذه الحضرة على سبيل الانتجاع وكنت معدما ، لا مال ولا زاد ، فأنشأت قصيدة ، وتوجهت إلى أمير الشعراء أستعينه .

ورأى شعرى واختبرنى فى أنواع منه ، فأعجبته فأكرمنى وقضى حقى .

وكنت يوما عنده استزيد الزمان وأشكو ، فعطف علىّ وقال قد تعبتَ فى هذا العلم ، و بلغت غايته ولا بد له من أثر ، وكذلك كانت حالى ، وما ضاع شعر جيد قط ، وسيكون لك فى هذه الصناعة حظ ، فشعرك سلس عذب ، آخذ فى الترقى ، فاصبر ، وسترى لهذا العلم حسنات . و إن جار عليك الزمان أول الأمر فسيواتيك من بعد .

كان أبى ، أمير الشعراء البرهانى رحمه الله قد انتقل من عالم الفناء إلى عالم البقاء فى قزوين أول دولة ملكشاه ، وأوصى بى السلطان بهذا البيت من تلك القطعة الرائعة :

لقد انتهيت و إن ابنى لخلف صدق لى استودعه الله والملك * .

تحوّل إلى ما كان لأبى من وظيفة وصلات[١٧] ، وأصبحت شاعر ملكشاه ، وقضيت فى خدمة سلطان الزمان سنة لم أستطع رؤيته خلالها إلا من بعيد ، ولم أحصل من الصلات والوظيفة على مَنٍّ أو درهم واحد . وزادت نفقاتى ، وأثقل القرض كاهلى ، وتعقد الأمر . وكان الوزير الكبير نظام الملك رحمه الله لا يميل إلى الشعر لأنه لم يكن يحسنه ، وما عُنى بأحد غير الأئمة والمتصوفة .

وفى يوم كان غداته غرة رمضان ، ولم يكن لدى لنفقة هذا الشهر والعيد دانق ، ذهبت وأنا ضيق الصدر إلى علاء الدولة الأمير على فَرَامَرز[١٨] ، وهو أمير ، محب للشعر ، ونديم السلطان الخاص وصهره . كان ذا مهابة ، جرئيا ، وهو يشغل منصبا رفيعا فى تلك الدولة ، وكان يرعانى . فقلت : أطال الله عمر الأمير ليس كل عمل قدر عليه الأب يقدر عليه الابن ، وليس ما تيسر للوالد ميسرا للابن . لقد كان والدى رجلا جلدا شهما ، وكان موسعاً عليه فى الرزق من هذه الصناعة (الشعر) ، وكان سيد العالم السلطان الشهيد الپ ارسلان يقدّره ، فما كان منه لا يتأتى إلىّ ، فإن لى حياء يمنع ، وقد زاده طبع دقيق . وقد خدمت سنة ، واستدنت ألف دينار وما مُنحت دانقاً . وأود الإذن لى بالعودة إلى نيسابور فأقضى ما علىّ من دين وأنفق مما يتبقى ، وأدعو للدولة القاهرة .

(*) من رفتم وفرزند من آمد خلف صدق　　اورا بخـدا وبخداوند سپردم

فقال الأمير علي : لقد صدقت، وقد قصرنا جميعا ولن نفعل بعد ذلك . سيخرج السلطان فى صلاة المغرب لرؤية الهلال فعليك أن تكون حاضرا هناك حتى نرى ما يجود به الحظ . ثم أمر لى فى الحال بمائة دينار لنفقات شهر رمضان ، فاحضروا لى على الفور كيساً به مائة دينار ، فعدت مسرورا وأوصيت بشراء ما يلزم لهذا الشهر . وذهبت إلى باب مخيم السلطان وقت صلاة العصر ، فكان من الصدف أن يصل علاء الدولة فى هذا الوقت نفسه لخيمته . فقال حسنا فعلت وقد أتيت فى الوقت المناسب ، ثم نزل ودخل عند السلطان . وخرج السلطان من مخيمه ساعة الغروب وفى يده القوس ، وكان علاء الدولة على يمينه . فهطعت وحييت : وقد أتم الأمير على أفضاله عليّ . وشغلوا برؤية الهلال ، وكان السلطان أول من رآه فكان سروره عظيما ؛ فقال لى علاء الدولة : قل شيئا يا ابن البرهانى فى هذا الهلال الجديد فقلت هذين البيتين على الفور :

أيها القمر ، أنك كحاجب الحبيب ، أو أنت كقوس الملك .

أو أنت كنعل الفرس من الذهب الخالص . أو كأنك القرط فى أذن الفلك * .

فلما أنشدت هذا الشعر استحسنه الأمير على كثيرا ، وقال السلطان إذهب للاسطبل وخذ الحصان الذى تريد . وكنا فى هذه الساعة قُرب الاسطبل . فأشار الأمير على إلى حصان فأحضروه وأعطوه لخدمى ، وكان يقوّم بثلاثمائة دينار نيسابورى . وذهب السلطان إلى المصلى فصليت معه المغرب ، ثم ذهبنا إلى المائدة . فقال الأمير على ونحن جلوس عليها : يا ابن البرهانى إنك لم تقل شيئا فيما أفاض عليك سلطان الدنيا من التشريف . قل على الفور « دو بيت » . فنهضت وأديت التحية وقلت هذا الدو بيت كما اتفق :

حين رأى السلطان النار مشتعلة فى خاطرى

رفعنى من الأرض فوق القمر .

وحين سمع منى لحنا عذبا كالماء

وهبنى حصانا من خيله يسابق الريح ** .

(*) اى ماه چو ابروان يارى گوئى — يانى چو كمان شهر يارى گوئى
نعلى زده از زرّ عيارى گوئى — در گوش سپهر گو شوارى گوئى

(**) چون آتش خاطر مرا شاه بديد — از خاك مرا بر زبرماه كشيد
چون آب يكى ترانه از من بشنيد — چون باد يكى مركب خاصم بخشيد

فلما أنشدت هذا الدوبيت استحسنه علاء الدولة كثيراً ، ووهبنى السلطان ، من أجل استحسانه إياه ، ألف دينار . ثم قال علاء الدولة إن وظيفته وصلاته لم تصله وسألازم الوزير (نظام الدولة) غدا حتى يأمر بصرف وظيفته من الخزانة ويجعل صلته على إصفهان . فقال السلطان «لعلك فاعل هذا فليس للآخرين هذه الحسبة ، ثم نادوه بلقبي» . وكان لقب السلطان معز الدنيا والدين ، فنادانى الأمير على بالأستاذ معزى ، فقال السلطان بل الأمير معزى . وقد كان من أمر هذا العظيم الرفيع النسب أن أمر لى فى اليوم التالى وقت صلاة الظهر بألف دينار و بوظيفة ألف ومائتى دينار كما أمر بإعطائى ألف مَنٍّ غلةً .

ولما مضى شهر رمضان دعانى إلى الحضرة وجعلنى من ندماء السلطان و بدأ حظى فى الترقى . وقد استمر هذا الأمير يُعنى بى و إن كل ما أنا فيه اليوم هو من رعايته . الله تبارك وتعالى ينير قبره بأنوار رحمته بمنّه وفضله .

الحكاية السادسة

كان آل سلجوق جميعا يحبون الشعر . ولكن لم يكن منهم من أحبه أكثر من طغانشاه بن الب ارسلان[١٩] . وقد كانت محاوراته ومجالسه كلها مع الشعراء ، وكذلك كان ندماؤه جميعا من الشعراء ، مثل الأمير أبى عبد الله القرشى وأبى بكر الأزرق[٢٠] وأبى منصور بن يوسف وشجاعى النسوى وأحمد البديهى وحقيق ونسيمى ، وهؤلاء كانوا فى خدمته . والغادون والرائحون كثيرون ، كلهم مرزوق منه ومحظوظ .

وكان الأمير يلعب ذات يوم النرد مع البديهى ، وكان اللعب على عشرة آلاف وقد أوشك على الانتهاء . كان عند الأمير حجران فى بيت « الشيش » ولأحمد البديهى حجران فى بيت « اليك » واللعب للأمير ، فاحتاط كثيرا ثم رمى ليأتى « بالدُش » ، فجاء الزهر « هبيك » ، فغضب غضبا شديدا وخرج عن طبعه ، وحق له هذا . وقد اشتد به الغضب فكان يمسك السيف كل لحظة ، وارتعد الندماء كالورق على الشجر . فقد كان أميرا وحدثا ومغمورا محرجاً .

فنهض أبو بكر الأزرق واقترب من المطربين وأنشد هذا الدوبيت :

إذا طلب الملك « دوش » يأتى « المبيك » .
حتى لا تظن أن الزهر لا يعدل .
فإن هذه « الضربة » التى ضربها هى مقصد الملك ،
جاءت إلى الخدمة ساجدة على الأرض * .

حينما كنت فى هراة سنة ٥٠٩ ** حكى لى أبو منصور بن يوسف أن الأمير طغانشاه قد سُرّ بهذا الدوبيت وعاوده النشاط فَقَبّل عينى الأزرقى . ثم طلب الذهب ، خمسمائة دينار ، وأخذ يملأ به فمه فلم يبق منه غير قطعة واحدة . وهكذا عاد إليه مرحه فوهب . وسبب هذا كله دوبيت واحد ، رحم الله تبارك وتعالى الاثنين بمنه وكرمه .

الحكاية السابعة

رفع رجل ذو غرض فى شهور سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة(٢١) † قصة إلى السلطان ابراهيم بأن ابنه الأمير سيف الدولة محمود قد اعتزم على الذهاب إلى العراق والالتحاق بخدمة ملكشاه ؛ فأغار هذا صدر السلطان ، فكان أن أمر بالقبض عليه فجأة وقيده ، وأرسله إلى القلعة ، كما قُيِّد ندماؤه وأُرسلوا إلى القلاع . وكان من هؤلاء مسعود بن سعد بن سلمان الذى أرسل إلى قلعة ناى فى وجيرستان(٢٢) . فأرسل هذا إلى السلطان «دوبيت» قال فيه :

أيها الملك ، قد كان ينبغى أن يقع ملكشاه فى أسرك حتى يحك قيدك قدميه
أما من أنجبه سعد بن سلمان فإنه لن يضر مُلكك ولو كان سماً †† .

وقد رفع على الخاص هذا الدوبيت إلى السلطان فلم يتأثر به . ويعرف أرباب العقل وأصحاب الإنصاف أى درجة بلغت حبسيات مسعود علواً ولأى مرتبة سمت فصاحة ،

(*) يقصد أن « الفش » قد جاء كما أراد الأمير إلا أنه احتراما للأمير قد وضع وجهه على الأرض فظهر « المبيك » .

گرشاه دوشش خواست دويك زخم افتاد — تاظن نبرى كم كعبتين داد نداد
آن زخم كه كرد رأى شاهنشه ياد — در خدمت شاه روى برخاك نهاد

(**) ١١١٥ م

(†) ١٠٧٩ — ١٠٨٠ م

(††) در بندِ تو اى شاه ملكشه بايد — تا بند تو پاى تاجدارى سايد
آن كس كه زپشت سعد سلمان آيد — گر زهر شود ملك ترا نگزايد

وأنه ليحدث أحيانا وأنا أقرأ أشعاره أن يقف شعر جسدى ، كما يحدث أحيانا أن يفيض الدمع من عينى . وقد قرئت هذه الأشعار كلها على السلطان واستمع لهـا فلم يتأثر فى أى موضع منها[٢٣] . ثم مات وترك هذا الرجل الحر فى السجن . وقد دامت فترة سجنه اثنتى عشرة سنة بسبب تقربه إلى سيف الدولة ، كما طال حبسه ثمانى سنوات أيام السلطان مسعود ابن ابراهيم بسبب تقربه إلى أبى نصر الفارسى[٢٤] . ولم يستمع إلى الـكثير من القصائد الغراء والدرر النفيسة التى أبدعها طبعه الوقاد . وبعد ثمانى سنوات أخرجه من السجن ثقة الملك طاهر بن على مُشكان[٢٥] .

وقد أمضى هذا الرجل الحر كل عمره ، فى دولتهم ، سجينا و بقيت هذه الوصمة لهذه الأسرة الـكبيرة . وأنا حائر هنا فعلى أى وجه أحمل هذا الأمر أعلى ثبات الرأى أم على غفلة الطبع أم على قسوة القلب أم على الحقد . ومهما يكن فإنه ليس حسنا . ولم أر عاقلا يحمد لتلك الدولة هذا الحزم والاحتياط . وقد سمعت من سلطان العالم غياث الدنيا والدين محمد ابن ملـكشاه ، عند باب همدان فى حربه مع الأمير شهاب الدين قُتُلْمُش الب غازى الذى كان زوج أخته[٢٦] ، طيب الله تربتهما ورفع فى الجنان رتبتهما ، أن حبس الخصم علامة على الحقد لأن الأمر لا يعدو واحدا من اثنين إما أن يكون الخصم مصلحا أو مفسدا ، فإذا كان مصلحا فحبسه ظلم وإذا كان مفسدا فتركه على قيد الحياة ظلم أيضا . وفى الجملة فقد انقضى ما لقى مسعود وستبقى هذه الوصمة إلى يوم القيامة .

الحكاية الثامنة

كان مُلك الخاقانيين[٢٧] أيام السلطان خضر بن ابراهيم[٢٨] عظيم الشأن وبلغ حسن سياستهم ومهابتهم الأوج — وكان هذا السلطان عاقلا عادلا ، وكان زينة الملك فيما وراء النهر ، وقد سلمت له تركستان — وكان مستريحا تماما من ناحية خراسان ، فقد توطدت بينه و بينها صلات النسب والصداقة واستقر بينهما العهد والميثاق . ومن جملة عظمة ملـكه أنه كان حين يركب ، يتقدم حصانه سبعمائة مجن من الذهب والفضة عدا الأسلحة الأخرى . وكان صديقا عظيما للشعراء ، فـكان فى خدمته الأستاذ الرشيدى ، والأمير عَمْعَق ونجيبى الفَرغانى

ونجار الساغرجي ، وعلى البانيذى ، وابن دَرْغُوش ، وابن الأسفراييني ، وعلى السپهرى ، وكانوا ينالون منــه صلات ثمينة ويأخذون منه تشريفات غالية . وكان الأمير عمعق أمير الشعراء ، وكان له من هــذه الدولة حظ كامل وثراء عظيم ، من الغلمان الترك والجوارى الحسان والخيل المُجَلّية والأدوات الذهبية والأكسية الفاخرة وغيرها كثير من الناطق والصامت . وكان عظيم الاحترام فى مجلس الملك ، فكان من الضرورى أن يُلزم بخدمته الشعراء الآخرون ، فطمع فى أن يخدمه الأستاذ الرشيدى ، كما يفعل الآخرون ، ولـكنه لم يفعل . فقد كان الرشيدى على صغره عالما فى تلك الصناعة . وكانت ممدوحته الست زينب بينما كان جميع حرم خضر خان تحت إمرته . وكان مقربا جدا من السلطان ، الذى كان يثنى عليه ويقر بفضله ، حتى ارتفع شأن الرشيدى وصار سيد الشعراء وأصبح للسلطان اعتقاد فيه وأجزل له الصلات . فذات يوم ، فى غيبة الرشيدى ، سأل السلطان عمعق قائلا : « كيف ترى شعر عبد السيد الرشيدى » . فقال عمعق : « شعر فى غاية الجودة منقى ومنقح ، ولـكن يلزمه بعض الملح » . ولم يمض على ذلك كثير من الوقت حتى دخل الرشيدى وأدى الخدمة وطلب الجلوس . فاستقدمه السلطان ، وقال له ، قاصداً الإيقاع بينهما كما هى عادة السلاطين : « سألت أمير الشعراء كيف شعر الرشيدى فقال : إنه حسن ولـكن بلا ملح ، فعليك أن تقول بيتين فى هذا المعنى» . فأدى الرشيدى الخدمة ثم جاء إلى مكانه وجلس وقال هذه القطعة على البديهة :

لقد عبت شعرى بأن لا ملح فيه ، وقد يكون هذا جائزا
إن شعرى كالسكر والشهد ، فالملح لا يصلح لهما ،
أما شعرك فلفت وباقلاء ، فالملح يلزمك أيها الخبيث* .

فلما عرض هذا الشعر سر الملك سرورا عظيما . والعادة فى ما وراء النهر ، فى مجالس الملك ، والمجالس الأخرى ، أن يضعوا الذهب والفضة فى الأطباق ، ويسمونها سيم طاقا

(*) شعر هاى مرا به بى نمكى عيب كرد روا بود شايد
شعر من همچو شكر وشهدست وندرين دو نمك نكو نايد
شلغم وباقليست گفته تو نمك اي قلتبان ترا بايد

أو جفت . وقد وُضع فى مجلس خضرخان أربعة أطباق بها الذهب الأحمر من أجل العطاء ، فى كل منهما مائتان وخمسون دينارا ، وكان يهب منها بقبضة يده . وقد أمر بما فى هذه الأطباق الأربعة للرشيدى . وأظهر له غاية الاحترام . واشتهر . لأنه كما أن الممدوح يعرف بشعر الشاعر الجيد ، فكذلك يعرف الشاعر بصلة الملك القيمة ، فإن هذين المعنيين متلازمان .

الحكاية التاسعة

الأستاذ أبو القاسم الفردوسى من دهاقين طوس ، من قرية تسمى باژ[٢٩] من ناحية طبران[٣٠] . وهى قرية كبيرة تخرج ألف رجل . وكان للفردوسى شوكة عظيمة فى قريته ، وكان فى غنى عن أمثاله بما تغله ضياعه . وكانت له بنت واحدة فكان ينظم الشاهنامة وكل أمله أن يعد جهاز هذه البنت من صلة ذلك الكتاب ، فاشتغل به خمسا وعشرين سنة حتى أتمه ، والحق أنه لم يترك شيئاً وأنه بلغ بالكلام إلى سماء العليين وأوصله فى العُذوبة إلى ماء معين . وأى طبع تهيأ له هذه القدرة ليصل بالكلام إلى الدرجة التى أوصله الفردوسى إليها فى كتابه الذى كتبه زال إلى سام بن نريمان فى ما زندران بشأن طلب الزواج من روذبة ابنة ملك كابل :

ثم أمر بكتابة خطاب إلى سام ملؤه المديح والدعاء والسلام .
فاستفتح بذكر الله الذى أمر بالعدل وعدَل .
ومنه إلى سام بن نيرم ، رب السيف والدرع والخوذة ، دعاء .
إنه صارع الخيل وقت المعركة وآكل الرخ فى الموقعة .
إنه مثير الريح وقت الحرب وناثر الدم من السحاب الأسود .
إنه فضل فى فضل بالشجاعة ، وقد رفعت رقبته رأسه عزةً * .

(*) يكى نامه فرمود نزديك سام — سرا سر درود ونويد وخرام
نخست از جهان آفرين ياد كرد — كه هم داد فرمود وهم داد كرد
وزو باد بر سام نيرم درود — خداوند شمشير وكوپال وخود
چماننده‌ٔ چرمه هنگام گرد — چرانندهٔ كركس اندر نبرد
فزايندهٔ باد آوردگاه — فشاننده‌ٔ خون ز ابر سياه
بمردى هنر بر هنر ساخته — سرش از هنر گردن افراخته

وأنا لم أر فى كلام العجم مثل هذه الفصاحة وكذلك فى كثير من كلام العرب . ولما اتم الفردوسى الشاهنامة كان نساخه أبا على الديلمى وكان راويه أبادلف ووشكرحىّ (حسين) بن قتيبة الذى كان عامل طوس وله على الفردوسى أيادٍ ، وهو يذكر أسماء هؤلاء الثلاثة :

ولعلى الديلمى وأبى دلف ، بين أكابر المدينة ، نصيب موفور* .

ولم يكن حظى منهم إلا أحسنت . لقد تحطمت قوتى تحت قولهم أحسنت .

وحسين بن قتيبة ذلك الحر الذى لم يبغ منى الكلم بغير جزاء .

لم أكن اعبأ بالخراج أصله وفرعه ، وكنت أتقلب فى رغد ورفاهية** .

وكان حى (حسين) بن قتيبة عامل طوس . وقد رأى من واجبه أن يضع عن الفردوسى الخراج ، لا جرم أن يبقى اسمه حتى يوم القيامة ، ويقرأه الملوك . ثم كتب على الديلمى الشاهنامة فى سبعة مجلدات . وأخذ الفردوسى أبا دلف وتوجه تلقاء الحضرة فى غزنة ، وتوسل بالرئيس الكبير أحمد بن الحسن الكاتب فقبلها . وكان السلطان محمود يعرف له أياديه ، ولكن الرئيس الكبير كان له منافسون يدأبون على الإيقاع به والغض من قدره . فسأل محمود هذه الجماعة ماذا نعطى الفردوسى ؟ قالوا : خمسين ألف درهم ، بل هذا كثير . لأنه راجل رافضى ومعتزلى . وهذا البيت دليل على اعتزاله فهو يقول :

إنك لن ترى الخالق بعينيك ، فلا تجهدهما† .

(*) فى هذه الأبيات تقديم وتأخير ، ونحن نذكر القطعة كلها حتى يبين المعنى :
حينما مضى على خمس وستون سنة زدت همى وتصبى ، وشقيت بتاريخ الملوك ونحس كوكبى . والكبراء والأحرار أولو العلم كتبوه جميعا مجانا وهم ينظرون الىّ من بعيد كأنى كنت أجيرهم . ولم يكن حظى منهم إلا أحسنت . لقد تحطمت قوتى تحت قولهم أحسنت . زمّوا رؤوس البدر العتيقة ، وانقبض صدرى المنور . ولكن لعلى الديلمى ، بين أكابر المدينة ، نصيب موفور ، ذلك الرجل ذو البصيرة يسر عملى وسنى نجاحى . وأبو نصر الوراق كذلك نال بهذا الكتاب من الكبراء شيئاً كثيراً . وحسين ابن قتيب ذلك الحر الذى لم يبغ منى الكلم بغير جزاء ، كان منه الطعام واللباس والفضة والذهب وبه تحركت يدى وقدمى ، مستريحا من الخراج أصله وفرعه متقلبا فى رغد ورفاهية . الشاهنامة ج ٢ ص ٢٧٥ هامش (عزام بك) .

(**)
ازين نامه از نامداران شهر — على ديلم وبو دلف راست بهر
نيامد جز احسنتشان بهره ام — بكفت اندر احسنتشان زهره ام
حىّ قتيبه است از آزادگان — كه از من نخواهد سخن رايكان
نيم آگه از اصل وفرع خراج — همي غلطم اندر ميان دواج

(†)
به بينندگان آفريننده را — نبينى مرنجان دو بيننده را

وهذه الأبيات دليل على رفضه فإنه قال :

« إن الحكيم يرى هذه الدنيا بحرا ثارت بموجه ريح عاصف ، فيه سبعون سفينة قد نشرت شرعها ، بينهن سفينة كالعروس ، مجلوة فى زينتها كعين الديك . وفيها محمد وعلى وأهل بيت النبى والوصى . فإن كنت ترجو الدار الآخرة فتبوأ مكانك عند النبى والوصى . فإن أصابك من هـذا شر فإثمه علىّ . ذلك مذهبى وطريقتى . عليه ولدت وعليه أموت . وما أنا إلا تراب قدم حيدر»* .

وكان السلطان محمود رجلا متعصبا فعملت فيه هذه السعاية وأصغى إليها ، فأرسل إلى الفردوسى عشرين ألف درهم . فاغتم جدا وذهب إلى الحمام ثم خرج وشرب فقاعا ، وقسّم هذه الفضة بين الحمامى والفقاعى . وكان يعلم سطوة محمود ففارق غزنة بليل ، ونزل بهراة فى دكان اسمٰعيل الورّاق والد الأزرقى (الشاعر) ، وتوارى فى داره ستة أشهر حتى بلغ طلاب السلطان طوسا وعادوا .

فلما أمن الفردوسى توجه من هراة إلى طوس ، وحمل الشاهنامة وسار إلى طبرستان ، إلى الأصبهبذ شهريار[٣١] الذى كان ملك طبرستان ، من آل باوند . وهى أسرة عظيمة يتصل نسبها بيزدجرد بن شهريار فكتب فى الديباجة مائة بيت فى هجاء محمود . وقرأها على شهريار وقال : « سأحوّل هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك . فإن هذا الكتاب كله أخبار أجدادك ومآثرهم » . فتلطف شهريار وأكرمه وقال : «يا أستاذ إن محمودا قد حُمل على هذا ، ولم يُعرض عليه كتابك كما ينبغى وسُعى بك . ثم أنت رجل شيعى . وكل من تولى آل النبى لم تستقم له أمور الدنيا إذ لم تستقم لهم أنفسهم . ومحمود ملكى . فدع الشاهنامة باسمه ، واعطنى الهجاء لأغسله ، وأعطيك شيئا يسيرا . سيدعوك محمود ويسترضيك . ولا يضيع جهد كتاب

(*) خردمند گیتی چو دریا نهاد — برانگیخته موج ازو تند باد
چو هفتاد کشتی درو ساخته — همه بادبانها بر افراخته
میانه یکی خوب کشتی عروس — بر آراسته همچو چشم خروس
پیمبر بدو اندرون با علی — همه أهل بیت نبی ووصی
اگر خلد خواهی بدیگر سرای — بنزد نبی ووصی گیر جای
گرت زین بد آید گناه منست — چنین دان واین راه راه منست
برین زادم وهم برین بگذرم — یقین دان که خاك پی حیدرم .

مثل هذا» . وفى اليوم الثانى أرسل إليه مائة ألف درهم وقال : اشتريت كل بيت بألف درهم ، فأعطنى مائة البيت هذه ، وارض عن محمود . فأرسل الفردوسى الأبيات فأمر (شهريار) بغسلها ، وغسل الفردوسى مسودتها أيضا . وضاع الهجاء و بقيت منه هذه الأبيات الستة .

« لقد قالوا طاعنين : إن هذا المنطيق شابَ على حب النبي وعلى .
ولئن حكيتُ لهم حبي لأحمين مائة مثل محمود .
إن ابن الأمة لا يرجى خيره ولو كان أبوه ملكا .
حتّام أطيل الكلام فى هذا ، وهو كالبحر لا أعرف له قرارا ؟
لم يكن للملك قدرة على الخير ، وإلا لرفعنى على العرش .
ولم يكن عظيم الأصل فلم يحسن أن يستمع أسماء العظماء * »

والحق أن شهريار قدم إلى محمود يدا عظيمة وقد عرف له محمود حقه .

وقد سمعت سنة ٥١٤ ** فى نيسابور من الأمير المعزى أنه سمع من الأمير عبد الرازق بطوس أن محمودا كان فى الهند مرة ، و بينا هو عائد منها إلى غزنة عرض له ثائر فى قلعة حصينة . وكان منزل محمود فى اليوم الثانى عند باب هذه القلعة . فأرسل إليه رسولا أن ائت غدا ، وقدّم الطاعة ، واخدم حضرتنا ، والبس التشريف ، وارجع . فلما كان الغد ركب محمود . و بينا الرئيس الكبير † يسير عن يمينه إذ عاد الرسول وأقبل شطر السلطان . فقال السلطان للرئيس الكبير : ماذا يكون الجواب ؟ فأنشد الرئيس بيت الفردوسى هذا :

إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا والجرز والميدان وأفرا سياب †† .

قال محمود : لمن هذا البيت الذى تنبعث الشجاعة منه ؟ قال للمسكين أبى القاسم

(*) مرا غمز كردند كان پر سخن — بمهر نبي وعلى شد كهن
اگر مهر شان من حكايت كنم — چو محمود را صد حمايت كنم
پرستار زاده نيايد بكار — وگر چند باشد پدر شهريار
ازين در سخن چند رانم همى — چو دريا كرانه ندانم همى
به نيكى نبد شاه را دستگاه — وگرنه مرا بر نشاندى بگاه
چو اندر تبارش بزرگى نبود — ندانست نام بزرگان شنود

(**) ١١٢٠ — ١١٢١ .

(†) لقب الشيخ الأجل شمس الكفاة أحمد بن الحسن الميمندى وزير السلطان محمود .

(††) اگر جز بكام من آيد جواب — من وگرز وميدان وافراسياب

الفردوسى الذى احتمل العناء خمسا وعشرين سنة وأتم هـذا الـكتاب وما جنى أية ثمرة . قال محمود : احسنتَ بمـا ذكرتنى ، فقد آسفنى أن يُحرم عطائى هذا الرجل الحر . ذكّرنى فى غزنة لأرسل إليه شيئا . فلما جاء الرئيس غزنة ذكّر محمودا . فقال السلطان : مر لأبى القاسم الفردوسى بستين ألف دينار ، يعطاها نيلجا ، وتحمل على الإبل السلطانية إلى طوس ، ويعتذر إليه . ومضت سنون والرئيس فى شغل بهذا . ثم أنجز الأمر وحمل الإبل . ووصل النيلج سالما إلى طبران . و بينا الإبل تدخل من باب رودبار كانت جنازة الفردوسى تخرج من باب رزان . وكان فى ذلك الوقت ، فى طبرستان ، واعظ متعصب فقال أنا لا أجيز حمل جنازة الفردوسى إلى قرافة المسلمين ، فإنه كان رافضيا ، وأطال الناس التحدث إلى هذا العالم ولـكن حديثهم لم يجد معه شيئا . وكان للفردوسى حديقة عند هذه البوابة فدفنوه بها ، وهو فيها اليوم . وقد زرت تلك المقبرة سنة ٥١٠ *

ويقولون إن الفردوسى خَلّف بنتا عظيمة النفس أرادوا أن يسلموا إليها هبة السلطان فأبت وقالت : لا حاجة بى إليها . فـكتب صاحب البريد إلى السلطان وعُرض الأمر عليه فأمر بأن يخرج ذلك العالم من طبران لما بدا منه من فضول ، وأن يطرد من بيته وأن يعطى المال إلى الشيخ أبى بكر بن اسحق الـكرامى (٣٢) ليعمر به رباط چاهه فى حدود طوس ، على طريق مرو ونيسابور . فلما بلغ الأمر طوسا امتثلوه . و بناء رباط چاهه من هذا المال .

الحكاية العاشرة

لما كنت فى خدمة السلطان ملك الجبال (٣٣) نور الله مضجعه ورفع فى الجنان موضعه ، وكان عظيم الثقة بى وكان يبدى همة عالية فى رعايتى ، كان من بين من وفد على الحضرة يوم عيد الفطر من علماء وأبناء عظماء مدينة بلخ عمرها الله ، الأمير العميد صفى الدين أبو بكر محمد بن الحسين الروانشاهى ، وهو شاب (فاضل مفضل وكاتب مجيد ومستوف صالح) وله من الأدب وثمراته نصيب ، وهو محبب إلى القلوب ، تمدحه الألسن . ولم أكن فى هذه الأثناء ماثلا بالخدمة .

(*) ١١١٦ — ١١١٧ .

وقد اتفق أن قال الملك فى هذا المجلس نادوا النظامى . فقال الأمير العميد صفى الدين : « هل النظامى هنا ؟ » فقيل له « نعم » . وقد حسب أنه النظامى المنيرى ، فقال له : نعم إنه شاعر مجيد ورجل مشهور . فلما جاء الفراش ونادانى تنعلت ودخلت ثم أديت الخدمة وجلست فى مكانى ، فلما درات الكؤوس مرات قال الأمير العميد إن نظامى لم يجئ . فقال ملك الجبال : جاء ، ها هو جالس هناك . فقال الأمير العميد : لم أقصد هذا النظامى إنه رجل آخر وأما هذا فأنا لا أعرفه . وحينئذ رأيت الملك وقد تغير والتفت إلىّ فى الحال وقال : هناك نظامى غيرك ؟ فقلت نعم يا مولاى ، يوجد نظاميان أحدهما السمرقندى ويسمونه نظامى المنيرى والآخر النيسابورى ويسمونه نظامى الأثيرى ، وأما أنا فيسموننى نظامى العروضى . فقال : أأنت الأفضل أم هما .

وقد أدرك الأمير العميد أنه أساء التعبير ورأى الملك متغيرا فقال : أيها الملك إن هذين النظاميين عربيدان وهما يعكران صفو المجالس بعربدتهما فيفسدانها . فقال الملك متلطفا : « انتظر حتى ترى هذا وقد شرب خمسة كؤوس من الخمر المثلثة وأفسد المجلس . ولكن أى هؤلاء الثلاثة أشعر ؟ » . فقال الأمير العميد : لقد رأيت ذينك الإثنين وأعرفهما حق المعرفة ولكن لم أر هذا ولا سمعت شعره فلو قال فى هذا المعنى الذى ذكرنا بيتين فأرى طبعه وأسمع شعره فإنى أحكم أى هؤلاء الثلاثة أفضل ؟

فالتفت الملك إلىّ وقال : هيا يا نظامى ولا تخجلنا ، وأنشد ما طلب الأمير العميد . وكنت أثناء خدمتى للملك فياض الطبع وهاج الخاطر ، وكنت من إكرامه وإنعامه علىّ أنشد الشعر بالبديهة ، فأمسكت القلم وقلت هذه الأبيات الخمسة ولما تدر الكوس مرتين :

مولاى نحن فى الدنيا ثلاثة نظاميين تدوى الدنيا باسمنا ،
أنا فى ورساد(٣٤) أمام عرش ملكى والآخران فى مرو أمام السلطان ،
والحقيقة أن كلا منّا ، مفخرة خراسان اليوم .
ومع أنهما يقولان شعرا رقيقا كالروح ، ومع أنهما يعرفان فن القول كالحكمة
فأنا الشراب إذا تمكنت منهما نزلا عن صناعتهما * .

(*) در جهان سه نظاميم اى شاه   كه جهانى ز ما بافغانند =

فلما أنشدت هذه الأبيات تقـدم الأمير العميد صفى الدين بالخدمة ثم قال : أيها الملك دع النظاميين الآخرين فإنى لم أعهد فى أحد من شعراء ما وراء النهر وخراسان والعراق هذا الطبع الذى يمكنه من ارتجال مثل هذه الأبيات الخمسة وخاصة بهذه المتانة والجزالة والعذوبة ، فإنها مقرونة بعذب الألفاظ ومشحونة بالمعانى الجديدة ، فلتسعد يا نظامى فليس لك على وجه البسيطة نظير . إن له يا مولاى طبعا لطيفا وخاطرا قويا وفضلا تاما . وإن إقبال الملك وهمته ، رفعهما الله ، قد زاداه فصيراه نادرة زمانه ، وسوف يتقدم فإنه شاب والمستقبل له .

فتهلل وجه الملك المعظم وظهرت بشاشة طبعه وأثنى علىّ فقال : لقد وهبتك (خمس *) منجم رصاص ورساد من هذا العيد حتى عيد الأضحى فأرسل عاملا . ففعلت وبعثت اسحق اليهودى . وكان ذلك فى تمام الصيف وهو موسم العمل وفيه يكثر إذابة المعدن حتى أنه جمع فى سبعين يوما اثنى عشر ألف منّ من ذلك الخمس * الذى مُنحت . وارتفع تقدير الملك لى ألف مرة . نوّر الله تبارك وتعالى قبره العزيز (بشمع رضاه) وفرّح روحه الشريف (بجمع الغناء) بمنّه وكرمه .

=

من بورساد پیش تخت شهم — وآن دو در مرو پیش سلطانند
بحقیقت که در سخن امروز — هر یکی مفخر خراسانند
گرچه همچون روان سخن گویند — ورچه همچون خرد سخن دانند
من شرابم که شان چو دریابم — هر دو از کار خود فرو مانند

(*) زدنا هـذه الـكلمة « خمس » هنا حتى يتسق النص . ولعلّ النسّاخ نسوها . أما القزوينى فقد ذهب فى حواشيه ص ١٩٢ إلى أن المقصود من الجملة « درمدت هفتاد روز دوازده هزار من سرب از آن خمس بدين دعا گوى رسيد » غير مفهوم ، وقال إما أن تقرأ « در ازاء خمس » باعتبار النظامى من آل النبي (صلعم) وأنه مستحق للخمس . وإما أن تقرأ « بدون خمس » أى بعد إخراج الخمس نتج اثنا عشر ألف من . وربما كان المقصود أن السلطان وهبه خمس انتاج المنجم ، ولذا زدنا كلمة الخمس ووضعناها بين قوسين .

المقالة الثالثة

فى علم النجوم

يقول أبو الريحان البيرونى[1] فى الباب الأول من كتاب « التفهيم فى صناعة التنجيم[2] » :
« لا يسمى الرجل منجما ما لم يُحط بأربعة علوم ، الأول الهندسة والثانى الحساب والثالث الهيأة والرابع الأحكام » .

أما الهندسة فهى صناعة يعرف بها أصول أوضاع الخطوط وأشكال السطوح والجسمات والنسبة الكلية بين المعايير وما يقدر بها ونسبة هذه إلى الأوضاع والأشكال . وقد اشتمل على أصول هذا العلم كتاب « أوقليدس النجار » الذى نقحه ثابت بن قرّة* .

والحساب صناعة يعرف بها أحوال أنواع الأعداد وخصائص كل منها بذاته ، ونسبة الأعداد إلى بعضها وتوالدها ، ثم فروع الحساب من تنصيف وتضعيف وضرب وقسمة وجمع وتفريق وجبر ومقابلة . وقد اشتمل على أصوله كتاب « أرثماطيقى » وعلى فروعه « تكملة أبى منصور البغدادى[3] » أو « صدباب[4] » (مائة باب) للسجزى .

والهيأة علم يعرف به أحوال أجزاء العالمين العلوى والسفلى وأشكالها وأوضاعهما ، ونسبة كل منهما إلى الآخر ، وما بينهما من المقادير والأبعاد ، وأحوال حركات الكواكب والأفلاك ، وتعديل الكرات وقطع الدوائر التى تتم بها هذه الحركات . وقد اشتمل على هذا العلم كتاب «المجسطى» ، وأحسن تفاسيره وشروحه «تفسير النيريزى[5]» و « مجسطى الشفا** » ؛ وأما فروع هذا العلم فهى علم الزيجات وعلم التقاويم .

والأحكام علم من فروع العلم الطبيعى وأساسه التخمين ، والمقصود به الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض و بقياس الدرَج والبروج ، على مجرى الحوادث التى تفيض عن حركاتها ، من أحوال أدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحاويل

(*) ولد سنة ٨٣٦/٢٢١ وتوفى سنة ٩٠١/٢٨٨ .
(**) أى كتاب الشفا لابن سينا .

والتسايير والاختيارات والمسائل . ويشتمل عليه ، حسب ما ذكرنا ، تصانيف أبي معشر البلخي[٦] ، وأحمد بن عبد الجليل السجزى[٧] ، وأبي الريحان البيرونى ، وكوشيار الجيلى[٨] .

وإذاً ينبغى أن يكون المنجم طيب النفس ، زكى الخَلْق ، رضى الخُلُق . كما أن العته والجنون والكهانة من شرائط هذا العلم ، ومن لوازم هذه الصناعة . وينبغى أن يكون طالع المنجم الذى يريد أن ينبئ بالأحكام فى سهم الغيب ، أو فى مكان ملائم منه . ومن توفر له برج سهم الغيب كان مسعوداً ، وكان مكانه محمودا ، ووقع ما يقول قريبا من الصواب . ومن شرائط المنجم أن يذكر « مجمل أصول كوشيار[٩] » ، وأن يداوم قراءة « كار مهتر[١٠] » ، وأن ينظر فى « قانون المسعودى[١١] » و « جامع شاهى » حتى تبقى معلوماته وتصوراته حاضرة .

الحكاية الأولى

كان يعقوب بن اسحق الكندى[١٢] يهوديا ، ولكنه كان فيلسوف زمانه ، وحكيم عصره ، وكان مقربا عند المأمون . وقد دخل عليه يوما فاتخذ لنفسه مجلسا أعلى من مجلس أحد أئمة الإسلام ، فقال هذا : « إنك رجل ذمى فكيف تتخذ مكانا أعلى من مكان أئمة الإسلام » . فأجاب يعقوب : « لأنى أعلم ما تعلم ، وأنت تجهل ما أعلم » . وكان هذا الإمام يعرف أن ليعقوب علما بالنجوم ، ويجهل مدى علمه بغيرها فقال : « سأكتب شيئاً على قصاصة من الورق فإن خبّرت به سلمتُ بما قلت » . ثم تراهنا على أن يقدم الإمام رداء ، وأن يقدم يعقوب بغلة بعدّتها تقوّم بألف دينار ، وكانت واقفة على باب القصر . وطلب الإمام دواة وورقة فكتب على جانب منها ، ثم وضعها تحت بساط الخليفة وقال : « أحدس » . فطلب يعقوب بن اسحق لوحا ، ثم نهض وأخذ الارتفاع وأعد الطالع ، ثم رسم الزايجة على اللوح وقوّم الكواكب وثبتها فى البروج ، ثم استكمل شرائط الخَبْء والضمير * وقال : « يا أمير المؤمنين قد كُتب على هذه الورقة شيء كان

(*) شرح البيرونى هذين الاصطلاحين فى كتابه « التفهيم .. » فقال : الخبْء هو ما أخفى فى قبضة اليد . والضمير ما أضمره الرجل وأدركه المنجم بالسؤال . وكثيراً ما يخطئ المنجم فى الحدس فيهما ، والخطأ فيهما أكثر من الصواب (الورقة ١٥٧ ب من نسخة المتحف البريطانى . حواشى القزوينى ص ٢٠٦ — ٢٠٧) .

نباتا فصار حيوانا » . فمدّ المأمون يده تحت البساط وأمسك الورقة فأخرجها ، وكان الإمام قد كتب عليها : « عصا موسى » . فتعجب المأمون تعجباً عظيما كما دهش الإمام ، فأخذ يعقوب الرداء فشقه نصفين أمام المأمون . وقال : « سأتخذ منه جور بين » .

ذاعت هذه القصة فى بغداد ، ومنها سرت فانتشرت فى العراق وخراسان ، فأخذ فقيه من فقهاء بلخ ، وكان فيه تعصب العلماء ، سكينا فخبأها فى كتاب للنجوم ، كى يذهب إلى بغداد ويحضر درس يعقوب ، ويبدأ تعلم النجوم ، ثم ينتهز الفرصة فيغتاله . وسافر بهذا العزم من بلد إلى بلد حتى بلغ بغداد ، فذهب إلى الحمام ثم خرج منه لابسا ثوبا جديدا ، ووضع الكتاب فى كمه ، وتوجه إلى بيت يعقوب . فلما بلغ الباب ، وجد خيلا كثيرة عليها عدد من الذهب ، منها ما هو لبنى هاشم وما هو لعظماء القوم وأعيان بغداد . فتقدم ودخل ومضى فى حلقة الدرس نحو يعقوب فأثنى ثم قال : « أريد أن أقرأ شيئاً فى علم النجوم على مولانا » . فقال يعقوب : « بل جئتَ من المشرق لقتلى لا لقراءة النجوم ، ولكنك ستندم على هذا . وستقرأ النجوم وستبلغ الكمال فى هذا العلم وتكون من كبار المنجمين فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم » . فتعجب جميع العظماء الحاضرين من هذا الكلام ، واعترف أبو معشر ، وأخرج السكين من الكتاب فحطمها ورمى بها ، ثم ثنى ركبتيه ، وأكب على التعلم خمسة عشر عاما حتى بلغ فى علم النجوم ما بلغ .

الحكاية الثانية

يحكى أن يمين الدولة السلطان محمود بن ناصر الدين * كان جالساً على سطح جوسق ذى أربعة أبواب فى حديقة هزار درخت أو (ألف شجرة) بمدينة غزنين ، فالتفت إلى أبى الريحان البيرونى وقال : « أخبرنى من أى هذه الأبواب الأربعة سأخرج ؟ قل واكتب اختيارك على ورقة ثم ضع الورقة تحت بساطى » ، وكانت هذه الأبواب كلها تؤدى إلى الطريق ؛ فطلب أبو الريحان الاسطرلاب وأخذ الارتفاع وأعد الطالع وتفكر ساعة ثم كتب على الورقة ووضعها تحت البساط . وقال محمود « أحكمتَ » . قال . نعم . فأمر محمود

(*) محمود الغزنوى الذى حكم من ٣٨٨/٩٩٨ — ٤٢١/١٠٣٠ .

بإحضار عامل ومعه فأس ومسحاة لفتح باب خامس فى الجدار الشرقى ثم خرج من هذا الباب وأمر بإحضار الورقة فإذا أبو الريحان قد كتب عليها «إن الخروج لا يكون من أحد هذه الأبواب الأربعة بل سيفتح باب فى الجدار الشرقى ومنه يكون الخروج» .

فلما قرأ السلطان محمود هذا الكلام غضب ، وأمر بإلقاء أبى الريحان فى ساحة القصر ، فألقوه ، ولكنه وقع على شبكة معلقة فى الطابق الأوسط فانشقت وهوى البيرونى فى رفق إلى الأرض فلم يصب جسمه بِرض . وقال السلطان أحضروه فصمدوا به إليه فقال له : « يا أبا الريحان إنك لم تحط علماً بما جرى لك » ، فقال : « بل كنت أعلم به يا مولاى » . قال : فما دليلك ؟ فنادى غلامه وأخذ منه التقويم فاستخرج منه تحويله فكان مكتوباً فى أحكام ذلك اليوم « إنه سيلقى بى من مكان عال ولكنى أبلغ الأرض بسلام وأنهض معافى » . فلم يرق هذا الكلام لمحمود أيضاً وازداد غضبه وقال : احملوه إلى القلعة واحبسوه. فحبسوه فى قلعة غزنين فلبث فيها ستة أشهر .

الحكاية الثالثة

قالوا : ولم يكن أحد يجرؤ على ذكر أبى الريحان عند السلطان محمود طوال هذه الأشهر الستة ، وكان قد عين لخدمته أحد غلمانه ، فكان يقوم بقضاء ما يحتاج إليه ، يخرج ثم يعود . وبينما الغلام يمر يوما بحديقة غزنين إذا بعرّاف يناديه : أرى فى طالعك كثيرا مما يقال ، هات حلوانك لأحدّثك عنه . فأعطاه الغلام درهمين ، فقال له العرّاف : « إن أحد أعزائك فى ضيق وسيخلص منه فى مدى ثلاثة أيام ، فيلبس الخلعة والتشريف ويعود عزيزا مكرما» . فسارع الغلام إلى القلعة وحدث سيده مبشرا بما سمع . فضحك أبو الريحان وقال : « ألا تعلم أيها الأبله أنه لا يجوز الوقوف بمثل هذه الأماكن وأنك قد أضعت الدرهمين سدى » .

قيل : وكان الوزير الكبير أحمد بن حسن الميمندى طوال هذه الأشهر الستة يترقب الفرصة ليتحدث عن أبى الريحان ، ثم رأى السلطان معتدل المزاج فى المصطاد فانتهز الفرصة وأخذ ينتقل من حديث إلى حديث حتى انتقل إلى علم النجوم فقال : «مسكين أبو الريحان ،

فقد صدقت نبوءته فى هذين الحكمين ولكنه لقى القيد والسجن بدلاً من الخلعة والتشريف»
فقال محمود : ليعلم الوزير أنى أعرف هذا ، ويقال إنه ليس لهذا الرجل نظير غير ابن سينا ، ولكن حكميه كانا على خلاف رأيى والملوك كالأطفال الصغار ، ينبغى أن يكون الكلام وفق رأيهم ليكون للمتحدث نصيب منهم وكان من الخير له لو أخطأ ذلك اليوم فى أحد حكميه ، مُرْغداً بإطلاق سراحه ، وبأن يعطى خصانا وعدة من ذهب وجبة ملكية وعمامة من القصب وألف دينار وغلاما وجارية .

وقد أطلق سراح أبى الريحان فى اليوم الذى ذكره العرّاف وأكرم على النحو الذى وصف واعتذر له السلطان قائلا : « يا أبا الريحان إذا أردت أن تكون سعيدا عندى فاجعل قولك وفق رأيى لا وفق سلطان علمك » . فسار أبو الريحان على هذا . وهو أحد شروط خدمة الملك ، تنبغى موافقته فى الحق والباطل وجعل التقارير وفق هواه .

ولما عاد أبو الريحان إلى بيته وجاء أهل الفضل لتهنئته حدثهم حديث العرّاف فتعجبوا وأرسلوا رسولا يدعوه فإذا هو شديد الجهل ، لا يعرف شيئاً قط . فسأله أبو الريحان : « أعندك طالع المولد » فقال عندى . ثم أحضر هذا الطالع فنظر أبو الريحان فوجد سهم الغيب على حاق درجته ، فكان كل ما يقوله ، ولو خبط عشواء ، مقاربا للصواب .

الحكاية الرابعة

كان لدىّ خادم وُلدت فى الثامن والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة وخمسمائة* والشمس والقمر فى برج واحد وليس بينهما بعد قط ، ولهذا وقع سهما الغيب والسعادة فوق درجة طالعها . وقد لقنتها علم النجوم حينما بلغت الخامسة عشرة من عمرها ، فبلغ إتقانها له أنها كانت تجيب عن المشكل من مسائله ، كما كانت أحكامها تقع قريبة من الصواب جدا . وكانت المخدرات يذهبن إليها ويسألنها فكان أكثر ما تقول يوافق القضاء .

وجاءتها يوما عجوز فقالت : إن أحد أبنائى سافر منذ أربع سنوات . وليس لدى أى خبر عنه ، لا عن حياته ولا عن مماته ، فانظرى أحى هو أم ميت . وحدثينى أين هو ، وكيف حاله . فقامت المنجمة وأخذت الارتفاع وصوبت درجة الطالع ورسمت الزايجة وثبتت

(*) أول يوليو ١١١٧ .

الكواكب وكان أول ما قالت : عاد ولدك . فغضبت العجوز وقالت . يا بنيتى إنى لا أطمع فى عودته ، حسبك أن تحدثينى أحىّ هو أم ميت . فقالت : أقول إن ولدك قد عاد فاذهبى فإن لم تجديه قد رجع فعودى لأحدثك كيف هو . فقفلت العجوز راجعة إلى البيت فوجدت ابنها قد عاد ومتاعه ينزل من ظهر الحمار ، فاحتضنته . ثم أخذت مقنعتين إلى المنجمة وقالت : صدقت فقد عاد ولدى . وأهدتها المقنعتين داعية لها .

ولما رجعتُ إلى الدار ذلك المساء وسمعت هذا الخبر سألتها : بأى دليل نبأت ومن أى برج حكمت . قالت : « لم أبلغ هذا ، ولكنى حينما أتممت صورة الطالع دخلت ذبابة فوقعت على حافته فأدركت فى قرارة نفسى أن هذا الولد قد عاد . ولما قلت هذا وانصرفت أمه تتبين الخبر كانت عودته قد تحققت لدى حتى لكأنى أراه ينزل المتاع عن ظهر الحمار » فتحقق لدى أن هذا كله عمل سهم الغيب على درجة الطالع وليس صدق حدسها إلا منه .

الحكاية الخامسة

كان محمود الداودى بن أبى القاسم الداودى معتوها جدا ، بل كان مجنونا ، ولم يكن له من علم النجوم حظ كبير ، ولكنه كان ملماً بأعمالها ، وكان فى تقويمه أشكال يستدل منها بنعم أو بلا . وكان الداودى فى حاشية الأمير داد أبى بكر بن مسعود بمدينة پنج ديه ، وكانت أحكامه قريبة من الصواب . وقد بلغ من الجنون أن مولاى ملك الجبال[١٣] أهدى الأمير داد كلبين من الكلاب الغورية ، كانا فى غاية الضخامة والشراسة فصارعهما الداودى مختارا وخرج من صراعهما سالما . وكنت بعد هذا الحادث بسنوات جالسا مع جماعة من أهل الفضل عند دكان المقرى الحداد الطبيب فى سوق العطارين بمدينة هراة ، ودارت ألوان من الحديث شتى ، فجرى على لسان أحد الفضلاء : ما أعظم ابن سينا . فرأيت الداودى وقد تميز غيظاً و برزت أوداجه وانتفخت و بدت على وجهه أمارات الغضب وقال : يا فلان ماذا كان ابن سينا ؟ أنا أكبر منه ألف مرة ، إنه لم يحارب قطا ولقد حاربت أمام الأمير داد كلبين غوريين .

فعرفت فى ذلك اليوم أنه مجنون . ومع جنونه هذا رأيت ، سنة ثمان وخمسمائة*

(*) ١١١٤ — ١١١٥ .

حين نزل السلطان سنجر فى صحراء خوزان[١٤] واتجه إلى ما وراء النهر لمحاربة محمدخان[١٥]، أن الأمير داد أعد مأدبة رائعة للسلطان، وفى اليوم الثالث توجه إلى النهر وركب فى سفينة وأخذ يلهو بصيد السمك وقد دعا الداودى لمصاحبته ليحدثه هذا النوع من أحاديث الجنون فيضحك منه، وكان الداودى يتطاول على الأمير جهارا. وقال له الأمير مرة قل لى كم منّا تزن السمكة التى أصيدها هذه المرة ؟ فقال الداودى : إرفع الشص، فرفعه الأمير. فأخذ الارتفاع وسكت لحظة ثم قال ألقه الآن. فألقاه الأمير فقال الداودى : أرى أنك تصيد الآن سمكة وزنها خمسة أمنان. فقال الأمير : كيف يكون السمك الذى يزن خمسة أمنان فى هذا النهر يا لعين. فقال الداودى. صه ماذا تدرى ! فسكت الأمير داد خشية أن يشتمه إن هو تمادى فى الكلام، ثم إن الشص ثقل بعد لحظة دلالة على أن صيدا وقع به، فجره الأمير فإذا سمكة كبيرة قد علقت به. فلما انتزعت وُجدت تزن خمسة أمنان*. فتعجب الحاضرون وتعجب الأمير. والحق أن الأمر كان عجيبا. وقال الأمير للداودى : ماذا تطلب. فحياه وقال : يا ملك الأرض أطلبُ جوشنا ودرعا ورمحا لأقاتل الأباوردى. وكان الأباوردى هذا ضابطا ملازما فى حاشية الأمير داد، وكان الداودى يبغضه لأنه لُقب شجاع الملك بينما لقب الداودى بشجاع الحكماء فكان حانقاً لتلقيب الأباوردى بشجاع. وكان الأمير داد يعرف هذا فدأب يوقع بينهما. وكان الأباوردى، هذا الرجل المسلم، يلقى عناء من الداودى.

وفى الجملة لم يكن هناك شك فى جنون الداودى. وقد أوردت هذا الفصل ليعلم الملك أن الجنون من شروط هذا الباب.

الحكاية السادسة

كان الحكيم الموصلى من طبقة المنجمين فى نيسابور، وكان فى حاشية الوزير الكبير نظام الملك الطوسى، وكان هذا يستشيره فى مهمات الأمور ويسأله الرأى والتدبير. فلما بلغ الموصلى من الكبر عتيا وفترت منه القوى ودب الضعف فى جسده وأصبح لا يحتمل مشقة السفر الطويل طلب من الوزير أن يعفيه من عمله، ليذهب إلى نيسابور فيقيم بها على أن

(*) فى النص الفارسى المنشور سبعة أمنان، وفى النسخة المرموز لها بحرف (ل) خمسة أمنان وهو المتفق مع سياق الحكاية.

يبعث إليه كل عام تقويما وتحويلا . وكان نظام الملك قد تقدمت به السن ولم يبق من عمره إلا القليل فقال له : سق التسيير ثم انظر متى تفيض روحى ويحل القضاء الواقع والحكم الذى لا مفر منه .

فقال الحكيم الموصلى : بعد وفاتى بستة أشهر . فزاد الوزير فى برّه وترفيهه ، وسار الموصلى إلى نيسابور وأقام منعما يرسل التقويم والتحويل كل عام .

وكان نظام الملك يسأل كل من يأتى من نيسابور ، أول ما يسأل ، كيف حال الموصلى ، فإذا وجده سليما معافى اعتدل طبعه وطاب قلبه . إلى أن كانت سنة خمس وثمانين وأربعمائة* فقدم قادم من نيسابور فسأله الوزير عن الموصلى ، فتقدم الرجل بالتحية ثم قال : ليبق صدر الإسلام وارثا للأعمار لقد مات الموصلى . فقال الوزير : متى ؟ قال الرجل : ذهب فداء لصدر الإسلام فى نصف ربيع الأول . فتفطر قلب الوزير الكبير وأفاق فأعاد النظر فى أعماله ، وفى سجل الأوقاف ، ووقع الأمر بصرف الخيرات ، وكتب الوصية وحرر من رضى عنه من عبيده ، ووفى دينه ، وأسعد كل من استظل بسلطانه ، وطلب العفو من خصومه . و بقى ينتظر الموت ، حتى كان رمضان فاستشهد على يد تلك الجماعة** فى بغداد . أنار الله برهانه وأسبغ عليه رضوانه(١٦) .

حينما يتقن رصد طالع المولود ورب البيت والهيلاج ويكون المنجم حاذقا فاضلا فإن حكمه يصيب والله أعلم .

الحكاية السابعة

فى سنة ست وخمسمائة† ، فى مدينة بلخ فى شارع النخاسين (برده فروشان) نزل فى سراى الأمير أبى سعيد جرة الإمامان عمر الخيام(١٧) ومظفر الأسفزارى(١٨) وقد كنت متصلا بهذا الأمير فسمعت ، أثناء مجلس السمر ، حجة الحق عمر يقول : سيكون قبرى فى موضع تورجه ريح الشمال بشذى الورد ، كل ربيع . فبدا لى أن هذا القول مستحيل ، وكنت أعرف أن مثله لا يقول جزافا .

(*) ١٠٩٢ — ٣
(†) ١١١٢ — ١٣

(**) الصباحية ، أتباع حسن الصباح .

فلما بلغت نيسابور سنة ثلاثين وخمسمائة* ، وقد خلت أربع سنوات على إيداع هذا الرجل العظيم الثرى[١٩] وصارت الدنيا يتيمة من بعده ، وكان له علىّ حق الأستاذية ، ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة ، وقد استصحبت رجلا يدلنى على قبره ، فأخرجنى إلى مقبرة الحيرة[٢٠] ، وسرت يساراً فرأيت قبره أسفل جدار بستان قد أطلت منه أشجار الكمثرى والمشمش وقد تناثر على القبر كثير من الزهر حتى غطاه . فجالت بخاطرى تلك الحكاية التى كنت سمعتها منه فى بلخ فغلبنى البكاء ، إذ لم أر له نظيرا فى الدنيا وأقطار الربع المسكون . أسكنه الله الجنات بمنه وكرمه .

الحكاية الثامنة

ومع أنى رأيت هذا الحكم من حجة الحق عمر لم أر له فى أحكام النجوم اعتقاداً قط ، ولا رأيت أو سمعت من العظماء أنه كان يعتقد بها .

فى شتاء سنة ثمان وخمسمائة** ، فى مدينة مرو ، أرسل السلطان رسولا إلى الوزير الكبير صدر الدين محمد بن المظفر[٢١] رحمه الله قائلا : قل للإمام عمر يختار بضعة أيام لا يكون فيها ثلج ولا مطر حتى نخرج للصيد . وكان الإمام عمر فى صحبة الوزير نازلا فى قصره ، فأرسل إليه رسولا ودعاه وقص عليه الأمر ، فذهب الخيام ،وأعمل جهده يومين واختار وقتاً حسناً، ثم ذهب بنفسه فأركب السلطان حسب اختياره .

فلما ركب السلطان وسار فى طريقه قليلا تجمعت السحب وهبت الريح وهطل الثلج وانتشر الضباب ، وضحك الركب ، وهمّ السلطان بأن يعود . فقال الإمام :ليطمئن قلب السلطان فإن المطر سينقطع لساعته ، ولن تنزل فى هذه الأيام الخمسة قطرة منه . فسار السلطان وانقشعت السحب ، ولم ينزل طلّ فى هذه الأيام الخمسة ، ولا رأى أحد سحابا .

فأحكام النجوم ، مع أنها صناعة معروفة ، لا يجوز الاعتماد عليها . كما أنه لا ينبغى للمنجم أن يمعن فيها ، وعليه أن يحيل كل حكم يرى على القضاء .

(*) ١١٣٥ — ٣٦

(**) ١١١٤ — ١٥

الحكاية التاسعة

وعلى الملك أن يختار ، حيثما توجه نديمه وخادمه . فإن كان مؤمنا قائما بالفرائض والسنة مخلصا له قرّبه وعزّزه واعتمد عليه ، وإن كان على خلاف ذلك هجره وحفظ مجالسه من خلله فإن من لا يعتقد فى دين الله عز وجل وفي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون له اعتقاد فى إنسان ، ثم إنه يكون شؤما على نفسه ، وعلى مخدومه .

فى أوائل عهد السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين نوّر الله ترتبه عصى ملك العرب صدقة[٢٢] وخلع ربقة الطاعة من عنقه وتوجه من الحلة إلى بغداد ومعه خمسون ألف عربى ، فأرسل أمير المؤمنين المستظهر بالله ، إلى إصفهان ، كتابا إثر كتاب ، ورسولا بعد رسول مستنجدا السلطان . وكان السلطان يسأل المنجمين الاختيار ، فلا يهتدون إليه . فقد كان صاحب طالع السلطان راجما . فقالوا إنا لا نجد اختيارا يا مولانا، فقال ابحثوا . وشدّد عليهم و برم بهم فولوا هار بين .

وكان هناك غزنوى يمتهن قراءة الفأل ، وكان له دكان بطريق كنبد (القبة) ، وكانت النسوة تجتمعن حوله فيكتب لهن تعاويذ الحب . ولم يكن الرجل واسع العلم . وقد مثل أمام السلطان ، إذ كان يعرف أحد خدمه . فقال له : إنى أعد الاختيار فاذهب وفقاً له فإن لم تظفر فاقطع رقبتى . فسر قلب السلطان وركب بناء على حكمه فوراً وأعطاه مائتى دينار نيسابورى . ثم سار فحارب صدقة وهزم جنده وأسره ثم قتله .

فلما عاد السلطان منصوراً مظفراً إلى إصفهان أكرم قارئ الفأل وأولاه شرفا عظيما وقربه منه .

ثم دعا المنجمين وقال لهم : إنكم لم تختاروا ، وأعد هذا الغزنوى الاختيار ، فذهبنا وقد أيدنا الله عز وجل ، فلم فعلتم هذا ، لعل صدقة قد أرسل لكم رشوة لئلا تعدوا اختياراً . فخر المنجمون على التراب متضرعين وقالوا : إن هذا الاختيار لم يكن ليرضى منجما قط . وإذا يشاء السلطان فليكتب رسالة وليبعث بها إلى خراسان ليرى ماذا يقول الإمام عمر الخيام . فأدرك السلطان أن هؤلاء المساكين يقولون حقا ، فدعا أحد ندمائه الأفاضل

وقال له عليك أن تشرب الخمر غداً فى بيتك ، وأن تدعو المنجم الغزنوى وتسقيه وأن تقول له ، وهو فى شدة السكر ، إن هذا الاختيار الذى أعددت لم يكن حسنا فإن المنجمين يعيبونه ، فحدثنى عن سره . ففعل النديم ما أمر به ، وسأل الغزنوى وهو سكران فقال : إنى علمت أن الأمر لا يعدو واحداً من اثنين إما أن يهزم هذا الجيش أو ذاك فإن هزم ذلك الجيش لقيت التشريف ، وإن حلت بهذا الهزيمة فمن ذا يبالى بى .

وفى اليوم التالى حدث النديم السلطان (بما سمع) فأمر بطرد الكاهن الغزنوى . وقال إن رجلا كهذا يرى فى المسلمين هذا الرأى لرجل مشئوم . ثم نادى منجميه ووثق بهم . وقال إنى أبغضت هذا الكاهن فإنه لم يُصلّ قط ، ومن لا يقوم بالشرع لا يعمل معنا .

الحكاية العاشرة

فى شهور سنة سبع وأربعين وخمسمائة[٢٣] * . وقعت الحرب بين سلطان العالم سنجر بن ملكشاه ومولاى السلطان علاء الدنيا والدين[٢٤] ، عند باب أوبة[٢٥] ، وقد هزم جيش الغور وأسر مولاى سلطان المشرق خلد الله ملكه ، كما وقع ابن مولاى ملك العالم العادل شمس الدولة والدين محمد بن مسعود[٢٦] أسيرا فى يد الأمير القائد (أمير سپاهسالار) يَرَنْقُش هريوه[٢٧] ، فاتفق على دفع خمسين ألف دينار (فدية) وعلى أن يذهب رسوله إلى القصر فى باميان ليستعجل هذا المال ، فإذا بلغ هراة أفرج عن الأمير ، لأنه كان مطلق السراح من قِبل سلطان العالم (سنجر) ، وقد أمر له بخلعة عند مغادرته هراة .

وقد قدمت فى هذه الحال لأكون فى خدمته ، وقد بلغ منه الحزن يوما فسألنى متى الخلاص ومتى تصل هذه الرسالة . فأخذت الارتفاع بهذا الاختيار ، وأصعدت الطالع فى ذلك اليوم ، باذلا كل جهد ؛ وقد بدأ مفتاح الفرج لهذه الشدة فى اليوم الثالث فجئت إليه فى اليوم التالى . وقلت : غداً عند صلاة الظهر يأتى الرسول . فأخذ هذا الأمير يفكر طول يومه حتى إذا ذهبت لخدمته فى اليوم التالى قال لى : اليوم موعدنا . فقلت نعم .

(*) ١١٥٢ — ٥٣ .

و بقيت فى حضرته حتى صلاة الظهر ، فلما علا الأذان قال لى متضجراً : أرأيت أن صلاة الظهر قد حلت ، ولما يأت الخبر ؟ . و بينما الأمير فى هذا إذا بقاصد يدخل مبشراً بأن الحمل قد أحضر (الفداء) وهو خمسون ألف دينار وأغنام وأشياء أخرى ، وكان صاحب الحمل كدخداى الأمير حسام الدولة والدين(٢٨) . وفى اليوم التالى لبس الأمير شمس الدولة والدين خلعة سلطان العالم (سنجر) وأصبح طليقاً تحث السير إلى مقر عزه أسرع ما يكون . وكانت الأحوال كل يوم فى سمو ، أدام الله سموها .

كان فى هذه الليالى يعطف علىّ و يقول : يا نظامى أتذكر أنك أعددت هذا الحكم فى هراة ، وقد صدق ، وكنت أريد أن أملأ فمك ذهبا ولكنه لم يكن عندى هناك . أما هنا فهو عندى . ثم طلب الذهب فملأ فمى به مرتين ، ثم قال إن فمك لا يسع كثيراً فافتح كمك ففتحته فملأه ذهبا .

أدام الله بركته على هذه الدولة ، وحفظ هذين الأميرين للملك المعظم الجليل(٢٩) بمنه وكرمه .

المقالة الرابعة

فى علم الطب وهداية الطبيب

الطب صناعة تحفظ الصحة فى بدن الإنسان حاصلة وتستردها زايلة ، وبها يزدان الجسم ، بطول الشعر وصفاء البشرة وطيب الرائحة والنشاط .

وأما الطبيب فينبغى أن يكون رقيق الخلق ، حكيم النفس ، جيد الحَدْس . والحدس حركة نفسية توحى بالآراء الصائبة ، أعنى سرعة الانتقال من المجهول إلى المعلوم . ولا يكون الطبيب رقيق الخلق ما لم يعرف شرف النفس الإنسانيـة . ولا يكون حكيم النفس ما لم يعرف المنطق ، كما أنه لا يكون جيد الحدس ما لم يكن مؤيداً بالتأييد الإلهى ، والطبيب الذى لا يكون جيد الحدس لا يصل إلى معرفة العـلة . ذلك إنه يستدل على حالة المريض بالنبض ، والنبض حركة الانقباض والانبساط وما بينهما من سكون . وبين الأطباء خلاف فجماعة منهم تقول إن حركة الانقباض لا تدرك بالحس ، ولـكن أفضـل المتأخرين حجة الحق الحسين بن عبـد الله بن سينا يقول فى كتاب « القانون » إنه يمكن بصعوبة إدراك حركة الانقباض بالحس فى المهازيل . ثم إن النبض عشرة أجناس ، وكل جنس منه ثلاثة هى طرفاه واعتداله . وما لم يصاحب الطبيبَ التأييد الإلهى لا يستطيع أن يصيب الفكرة .

وكذلك التفسرة* ، فمراعاة الألوان والرسوب والاسـتدلال من كل لون على حالة ، ليس من الأمور الهينة . وهذه الدلائل كلها مفتقرة إلى التأييد الإلهى والهداية الملـكية ، وهذا هو المعنى الذى أردنا بعبارة الحدس .

وما لم يعرف الطبيب المنطق والجنس والنوع فإنه لا يستطيع أن يفرق بين الفصل والخاصة والعرض ، كما أنه لا يستطيع إدراك العلة ، وإذا جهل العـلة لا يستطيع أن يصيب فى العلاج . ونضرب مثلا يوضح ما نقول ، المرض جنس والحمى والصداع والزكام والهذيان والحصبة واليرقان أنواع ، وكل منها يغاير الآخر بفصل ، ثم هو بنفسه جنس ؛ فمثـلا الحمى

(*) التفسرة البول الذى يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء ويستدلون بلونه على علة العليل .

جنس ، وحمى اليوم وحمى الغِبِّ وحمى شطر الغب وحمى الرِبع أنواع ؛ وكل نوع منها يختلف عن الأنواع الأخرى بفصل ذاتي ، فحمى اليوم تختلف عن الحميات الأخرى بأن أطول مدة لها أربع وعشرون ساعة ولا يحدث فيها تكسر وثقل وتعب وألم ؛ والحمى المطبِقة تغاير الحميات الأخرى بأنها إذا تمكنت لا تزول قبل بضعة أيام ؛ وتختلف حمى الغب عن سائر الحميات بأنها تظهر يوما وتختفي يوماً ؛ وتغاير حمى شطر الغب سائر الحميات بأن تكون يوما أشد وطأة ونوباتها أقصر ، ثم تكون يوما آخر أكثر هدوءاً ونوباتها أطول ؛ وتختلف حمى الربع عن غيرها بأنها تأتي يوما وتنقطع يومين ثم تعود في اليوم الرابع . وكل من هذه الأنواع يكون جنساً وله أنواع . فإن كان الطبيب يعرف المنطق ، وكان حاذقا ، وعرف نوع الحمى ومادتها ، مركبة أو مفردة ، سارع إلى العلاج . فإن حار في معرفة العلة فإنه يتجه إلى الله عز وجل ويستمينه وكذلك يتجه إليه إذا عجز عن العلاج ويسأله المدد فإليه مرجع كل شيء .

الحكاية الأولى

في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة* في سوق العطارين بنيسابور كنت في دكان محمد المنجم الطبيب فسمعت الإمام أبا بكر الدقاق يقول :

أصيب أحد مشاهير نيسابور سنة اثنتين وخمسمائة** بالقولنج فدعاني ففحصته وأخذت في علاجه واستخدمت كل ما جاء في هذا الباب ، ولكن المريض لم يشف البتة ، ومضى على ذلك ثلاثة أيام . وقد رجعت من عنده يائساً وقت صلاة المغرب ، ظانا أنه سيقضي في منتصف الليل ، ونمت في هذا الوسواس ، فاستيقظت في الصباح وما كنت أشك أنه قد مات فصعدت إلى السطح ونظرت تلك الناحية (ناحية بيت المريض) وتسمعت فلم أسمع صراخا ينبئ بوفاته ، فقرأت الفاتحة ثم وليت وجهي تلك الناحية وتمتمت قائلا : إلهي وسيدي ومولاي إنك قلت في الكلام المبرم والكتاب المحكم : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين† » ، وتحسرت إذ كان شابا منعما متنعما وقد تيسر له بلوغ كل ما يشتهي.

---

* ١١١٨ — ١٩   (**) ١١٠٨ — ٩   (†) ١٧ : ٨٤

ثم إنى توضأت وذهبت إلى المصلى فصليت السنة ، فإذا رجل يقرع باب البيت فنظرت فإذا هو تابع له فبشرنى وقال افتح ، فقلت ما ذا جرى قال إنه شفى فى هذه الساعة .

فعرفت أن هذا من بركات الفاتحة وأن هذه « الشربة » من « الصيدلية الربانية . » وقد صارت هــذه سابقة لى وصفتها فى حالات كثيرة . فكانت ناجحة فيهــا جميعاً ومؤدية إلى الشفاء .

فعلى الطبيب إذاً أن يكون حسن الاعتقاد وأن يعظم أوامر الشرع ونواهيه .

وعلى الطبيب أن يحصّل فى علم الطب « فصــول بقراط » و « مسائل حنين بن إسحق[1] » و « مرشد محمد بن زكريا الرازى[2] » و « شرح النيلى » الذى أجملَ هذه المؤلفات ، وعليه أن يطالعها بعد قراءتها على أستاذ مخلص . ثم إن عليه أن يستقصى استقصاء تاما الـكتب المتوســطة وهى « ذخيرة ثابت بن قرة[4] » أو « المنصورى[5] » لمحمد بن زكريا الرازى أو « الهداية » لأبى بكر الأجوينى أو « الـكفاية » لأحـمـد بن فرج أو « الأغراض[6] » لسيد بن اسماعيل الجرجانى ، وذلك على أســتاذ مخلص . ثم عليه بعد ذلك أن يَحصُــل على أحد الـكتب المفصلة مثــل « الست عشرة رسالة » لجالينوس أو « الحاوى[7] » لمحمد بن زكريا أو « كامل الصناعة[8] أو « صد باب[9] (مائة باب) لأبى سهل المسيحى أو « القانون » لأبى على بن سينا أو « الذخيرة[10] » للخوارزمى . وأن يقرأ هذا الـكتاب المفصل فى وقت الفراغ . فإذا أراد الاستغناء عن هذه الـكتب كلها فقد يكتفى بالقانون فإن سيد الـكونين وإمام الثقلين يقول « كل الصيد فى جوف الفرا » فكل ما ذكرت موجود فى « القانون » مع زيادات كثيرة . وكل من يحيط علماً بمـا فى المجلد الأول من « القانون » لا يخفى عليه شىء من أصــول علم الطب وكلياته . ولو بعث بقراط وجالينوس إلى الحياة لحق لهما أن يسجدا لهذا الـكتاب .

وقد سمعت أمراً عجباً ، ذلك أن رجلا انتقد كتاب أبى على بن سينا وجعل من انتقاده كتاباً سماه « إصلاح القانون » وقد رأيت الرجل والـكتاب ، أما الرجل فمقتوه وأما الـكتاب فــكروه وكيف يجوز لرجل أن يعيب عالما عظيما يقرأ له كتاباً فتكون أولى مسائله مشكلة عليه . ولقد انقضت أربعة آلاف سنة أذاب فيها الأوائل أرواحهم وأجهدوا أنفسهم ليضعوا

قواعد علم الحكمة فلم يستطيعوا حتى إذا انقضت هذه المدة استطاع الحكيم المطلق والفيلسوف الأعظم أرسطاطاليس أن يزنه بقسطاس المنطق ، وأن ينقده بمحك الحدود ، وأن يكيله بمكيال القياس ، حتى ارتفع عنه الشك وزال عنه الرَّيْب وصار منقحاً محققا . ولم يصل إلى كنه قوله ويسر على جادة سياقه ، فى الألف والخمسمائة سنة التى تلته ، فيلسوف غير أفضل المتأخرين ، حكيم المشرق ، حجة الحق على الخلق أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا . فكل من يعترض على هذين العالمين العظيمين يخرج نفسه من زمرة أهل العقل ويسلكها فى سلك المجانين ويعرضها فى مجمع أهل العته . حفظنا الله تبارك وتعالى من هذه المفوات . فالطبيب إذا علم ما فى المجلد الأول من « القانون » وهو فى الأربعين من عمره ، يصير أهلا للاعتماد عليه . ويجب عليه حين يبلغ هذه الدرجة أن يحرص على كتاب من هذه الكتب الصغيرة التى صنفها الأساتذة المجربون مثل « تحفة الملوك[١١] » لمحمد بن زكريا و « الكفاية[١٢] » لابن مندويه الإصفهانى أو « تدارك أنواع الخطأ فى التدبير الطبى[١٣] » لأبى على أو « خفى علائى[١٤] » أو « التذكرة[١٥] » لسيد بن اسماعيل الجرجانى .

ذلك أنه لا يجوز الاعتماد على الحافظة التى هى فى نهاية مؤخر الدماغ ، وأحد هذه الكتب يعينها إذا أبطأت فى العمل .

وإذاً ينبغى لكل ملك أن يحرص على هذه الشروط التى عددنا فى الطبيب الذى يختار ؛ فإنه ليس من اليسير أن يضع روحه وعمره فى يد كل جاهل ، وأن يجعل تدبير حياته فى حِجر كل غافل .

الحكاية الثانية

كان بختيشوع[١٦] من نصارى بغداد وكان طبيباً حاذقاً مخلصاً صادقاً وكان فى خدمة المأمون . وقد حدث أن أصيب بالإسهال أحد بنى هاشم من أقرباء المأمون وكان يحبه حباً جماً ، فأرسل إليه بختيشوع ليعالجه ، فنهض للأمر ، وبذل ما يملك من جهد[١٧] ، مراعاة للمأمون . وقد حاول كل أنواع العلاج ولكن سدى ، وجرَّب كل نوادر الدواء الذى يذكره ولكن بلا جدوى ، وصار الأمر فوق طاقته ، فخجل من المأمون وأدرك الخليفة أن الطبيب

قد خجل فقال له : يابختيشوع لا تخجل فإنك قد عملت ما فى جهدك واستنفدت ما فى طاقتك ولـكن الله لم يشأ فسلمّ الأمر للقضاء فإنا سلمنا به . فلما رأى بختيشوع أن المأمون قد يئس قال بقى علاج واحد وسأجربه تيمناً بإقبـال أمير المؤمنين ، وإن كان فيه مخاطرة فلعل الله يجعل فيه الشفاء . وكان المريض يتبرز فى اليوم خمسين أو ستين مرة ، فأعد بختيشوع مسهلا وأعطاه إياه فزاد الإسهال يوم تعاطاه ولـكنه انقطع فى اليوم التالى . فسأله الأطباء ما هذه المخاطرة التى أعددتها ؟ فقال إن مادة هذا الإسهال تستخرج من الدماغ وهى لا تنقطع ما لم تذهب عنه وكنت أخشى إذا أعطيته المسهل ألا تحتمله قواه فلمـا يئست من علاجه قلت إن فى المسهل أملا آخر الأمر ، ولا أمل مطلقاً إذا لم أعطه إياه . فأعطيته وتوكلت على الله فإنه القادر . وقد منّ الله تعالى بالتوفيق فشفى المريض وصحّ القياس . وقد كان موته متوقعاً إن لم يُعط الدواء وكان الموت والحياة متوقعين إن تناوله فرأيت أن أعطاءه أولى .

الحـكاية الثالثة*

يقول الشيخ الرئيس حجة الحق أبو على بن سينا فى كتاب « المبدأ والمعـاد » فى آخر فصل « إمكان وجود أمور نادرة عن هذه النفس » :

« وسمعت أن طبيباً حضر مجلس ملك من السامانيين وبلغ من قبوله له أن أهّله لمؤاكلته على المـائدة التى توضع له فى دار الحرم ولا يدخلها من الذكور داخل وإنما يتولى الخدمة بعض الجوارى . وكانت فيهـا جارية تقدم الخوان وتضعه إذ قوّسهـا ريح ومنعها الانتصاب . وكانت حظية عند الملك فقال للطبيب عالجها فى الحال على كل حال . فلم يكن عند الطبيب تدبير طبيعى فى ذلك البـاب يشفى بلا مهلة ، ففزع إلى التدبير النفسانى وأمر أن يكشف شعرها فـما أغنى ، ثم أمر أن يكشف بطنها فما أثر ، ثم أمر أن تكشف عورتها فلما حاول سائر الجوارى ذلك نهضت فيهـا حرارة قوية أتت على الريح الحادثة تحليـلا فارتجعت مستقيمة سليمة . »

فإن لم يكن الطبيب حكيماً قادراً لا يصل إلى هذا الاستنباط ويعجز عن هـذا العلاج

(*) نقلنا هنا النص العربى عن كتاب ابن سينا المذكور، وقد نقله القزوينى فى حواشيه ص ٢٤٠، المتحف البريطانى : Add. 16, 649, XXXIII, f. 488 . وذكر الحـكاية كل من القفطى (ص ١٣٤) وابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٢٧) على أنها حدثت بين بختيشوع وهارون الرشيد .

و إذا عجز سقط من نظر الملك . و إذاً فمعرفة الأشياء وتصور الموجودات الطبيعية جزء من هذا الباب ، وهو أعلم .

الحكاية الرابعة[١٨]

مرض الأمير منصور بن نوح بن نصر أحد ملوك السامانيين أيضا مرضاً أزمن حتى أقعده . وقد عجز الأطباء عن مداواته فأرسل رسولا يدعو محمد بن زكريا الرازى ليعالجه . فجاء الرازى حتى نهر جيحون ولكنه حينما بلغ شاطئه ورأى ماءه قال : أنا لا أركب السفينة . فقد قال الله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة* » . فليس من الحكمة أن يركب الإنسان المخاطر مختارا . ثم إنه صنف كتابه المنصورى فى المدة بين رجوع رسول الأمير إلى بخارى وعودته منها ، ثم سلمه إليه وقال : أنا هذا الكتاب وسترى فيه مقصودك ولا حاجة لك إلىّ . فلما بلغ الكتاب الأمير غضب ثم أرسل للرازى ألف دينار وحصانا بعدته وقال لرسله : ترفقوا به فإن لم يجد الرفق معه فأوثقوا يديه ورجليه وضعوه فى السفينة واعبروا . وقد عمل الرسل برأى الأمير . ولكن الرفق لم يجد مع الرازى فأوثقوه وأركبوه السفينة وعبروا ثم فكوا وثاقه وقدموا له الجنيبة بعدّتها فركبها وهو قرير النفس واتجه نحو بخارى . فقال له الرسل : إنا خفنا أن تخاصمنا بعد أن نعبر النهر ونفك وثاقك ولكنك لم تفعل ولم نر منك ضجرا أوضيق صدر . فقال إنى أعرف أن عشرين ألف رجل يعبرون جيحون كل سنة ولا يغرقون وأنا أيضاً ربما لا أغرق ولكن يجوز أن أغرق ، فإذا غرقت فسيقال إلى يوم القيامة : كان محمد بن زكريا أبله إذ ركب السفينة مختارا فغرق فأكون من اللومين لا من المعذورين .

فلما بلغ الرازى بخارى أقبل عليه الأمير فرأى كل منهما الآخر . ثم بدأ الرازى العلاج وبذل فيه جهده ولكن بلا جدوى . فدخل يوما عند الأمير وقال : غداً سأجرب علاجاً آخر ، على أن يُخرج لى الحصان الفلانى والبغل الفلانى . وهاتان الدابتان معروفتان بالسرعة تقطع الواحدة منهما أربعين فرسخا فى الليلة . وفى اليوم التالى حمل الرازى الأمير إلى حمام نهر جيحون (نهر موليان) خارج القصر . ووقف الحصان والبغل معدّين ومشدودين مع غلام له على باب الحمام ، ولم يأذن لأحد من خدم الأمير أو حاشيته بدخول الحمام . ثم إنه

(*) ٢ : ١٩٥

أجلس الأمير فى وسط الحمام وصب عليه ماء فاترا ثم أعد شرابا فذاقه ثم سقاه إياه وأبقاه زمانا ليتيح للأخلاط أن تنضج فى مفاصله . وذهب فلبس ثوبه ثم عاد ووقف أمام الأمير يشتمه ، يقول : يا كذا وكذا قد أمرت بقيدى و إلقائى فى السفينة والمخاطرة بحياتى فإن لم أجزك على هذا بإزهاق روحك فإنى لا أكون ابن زكريا . فغضب الأمير غاية الغضب ونهض على ركبتيه وهو فى مكانه فأخرج الرازى سكينا وأوسعه إهانة . فنهض الأمير قائما غضبا أو فرقا .

فلما رأى الرازى أن الأمير قد قام على رجليه تراجع وخرج من الحمام فركب هو وغلامه الحصان والبغل واتجها نحو جيحون فعبراه وقت العصر ولم يتوقفا عن السير حتى بلغا مرو . ومنها كتب للأمير كتابا قال فيه : أطال الله حياة الأمير صحيحَ الجسم نافذَ الأمر . لقد بدأت العلاج و بذلت كل ما فى الوسع فرأيت حرارة غريزية مع ضعف تام ، وأدركت أن العلاج الطبيعى قد يطول فعدلت عنه ولجأت إلى العلاج النفسانى فحملت الأمير إلى الحمام وتركته حتى تنضج الأخلاط نضجا تاما ، ثم أثرت غضبه حتى يساعد الغضب فى إذكاء الحرارة الغريزية فتقوى وتحلل هذه الأخلاط الزائدة ، ولم يكن من الصواب أن أقابل الأمير بعد هذا .

وكان الأمير حينما نهض على رجليه — وقد خرج محمد بن زكريا وركب فوراً — غشى عليه فلما أفاق خرج وأخذ يصيح على الخدم . وسأل أين ذهب الطبيب ، فقالوا إنه خرج من الحمام فركب الحصان وركب خادمه البغل وانصرفا . فعرف الأمير المقصود من فعل الرازى ثم خرج ماشياً من الحمام . وذاع الخبر فى المدينة ، وجلس الأمير فى مجلسه وأقام الخدم والحاشية الأفراح وتصدقوا وذبحوا الذبائح وواصلوا الاحتفال وأخذوا يفتشون عن الطبيب فى كل مكان فلم يجدوه . وفى اليوم السابع جاء خادم الرازى راكباً البغل ومعه الحصان وسلّم الأمير كتابه فاطلع عليه وتعجب وعذر الرازى وأمر له بالصلة حصانا وعدته ، وجبة وعمامة وسلاحا وغلاما وجارية ، وأمر أن يأخذ وهو فى الرى ألفى دينار ذهباً كل سنة من أملاك المأمون* ، ومائتى خروار (حمل حمار) من الغلة . وقد أرسل إليه كتاب هذه الصلة والخلع الأخرى مع رجل مشهور من مرو . وشفى الأمير تماما و بلغ محمد بن زكريا مقصوده .

(*) هذه العبارة غير واضحة « أملاك مأمون »

الحكاية الخامسة

كان لأبى العباس مأمون خوارزمشاه[١٩] وزير اسمه أبو الحسين أحمد بن محمد السهلى[٢٠]، كان حليم الطبع كريم النفس فاضلا ، وكذلك كان خوارزمشاه حكيم الطبع صديقا لأهل الفضل ، و بفضلهما اجتمع كثير من الحكماء وأهل الفضل فى هذه الحضرة مثل أبى على بن سينا وأبى سهل المسيحى وأبى الخير الخمار[٢١] وأبى الريحان البيرونى وأبى نصر العراق[٢٢] ، وكان هذا ابن أخى خوارزمشاه وكان يلى بطليموس فى علم الرياضة وأنواعه . وكان أبو الخير الخمار ثالث بقراط وجالينوس فى الطب . وكان أبو الريحان فى مكانة أبى معشر وأحمد بن عبد الجليل فى النجوم . وكان أبو على بن سينا وأبو سهل المسيحى خلفين لأرسطاطاليس فى علم الحكمة الذى يشمل كل العلوم . وكانت هذه الطائفة من العلماء فى القصر غنية عن أمور الدنيا ، وكان لبعضهم أنس لبعض بالمحاورة وطيب عيش بالمكاتبة . ولكن الزمن لم يرض بهذا والفلك لم يُجزه فنغص عيشهم وانقلبت هذه الأيام وبالا عليهم . فقد أتى أحد العظماء من قبل السلطان يمين الدولة محمود ومعه كتاب فيه إنى سمعت أن فى مجلس خوارزمشاه جماعة من أهل الفضل ليس لهم نظير مثل فلان وفلان فعليك أن ترسلهم إلى مجلسنا ليشرف بهم ولكى نفيد من علومهم وكفاياتهم ولتكون هذه منة لخوارزمشاه علينا . وكان الرسول الرئيس حسين بن على بن ميكال ، وكان من أفاضل العصر وأماثله وكان أعجوبة أهل زمانه . وكانت دولة محمود فى أوجها وملكه مزدهراً ودولته عالية الشأن وملوك زمانه يهابونه وينامون الليل وهم فى فزع منه . فأنزل خوارزمشاه الرئيس حسين بن ميكال مكاناً طيباً وأكرمه إكراما عظيما ولكنه دعا الحكماء وعرض عليهم هذا الكتاب قبل أن يأذن له بحضور المجلس ، ثم قال لهم إن محموداً الغزنوى ملك قوى وعنده جيش ضخم وقد أخضع خراسان وهندوستان وهو يطمع فى العراق وأنا لا أستطيع الخروج على مثاله أو عصيان أمره فماذا تقولون فى هذا الكتاب . فقال أبو على بن سينا وأبو سهل المسيحى نحن لا نذهب إليه . وأما أبو نصر وأبو الخير وأبو الريحان فقد رغبوا فى الذهاب إليه وكانوا قد سمعوا بأخبار صلاته وهباته . فقال خوارزمشاه لابن سينا وأبى سهل إنكما لا ترغبان فى الذهاب إلى محمود

فخذا طريقكما قبل أن آذن لهذا الرجل بمقابلتى . ثم إنه يسّر لهما الأسباب وعين لهما دليلا فسارا نحو جرجان عن طريق الصحراء * .

وفى اليوم التالى دعا خوارزمشاه الرسول حسين بن على بن ميكال إلى المجلس فأكرم وفادته وقال : « إنى قرأت الكتاب ووقفت على مضمون رسالة السلطان وأمره ولكن أبا على بن سينا وأبا سهل المسيحى قد رحلا . وأما أبو نصر وأبو الريحان وأبو الخير فيستعدون للتوجه للخدمة . »

وقد أخذ هؤلاء أهبتهم فى وقت قصير فأرسلهم خوارزمشاه مع الرئيس حسين بن ميكال فجاءوا إلى حضرة السلطان محمود فى بلخ والتحقوا بمجلسه .

وكان مقصود السلطان منهم أبا على بن سينا . وكان أبو نصر العراق نقاشاً فأمره بتصوير ابن سينا على الورق . ثم دعا النقاشين وأمرهم برسم أربعين صورة منها فأرسلها مع الأوامر السلطانية إلى أطراف البلاد وأمراء الأقاليم وقال إن رجلا بهذه الصورة اسمه أبو على ابحثوا عنه وأرسلوه إلىّ . ولما انصرف أبو على وأبو سهل مع دليل أبى الحسين السهلى من عند خوارزمشاه حثّا السير فقطعا ، إلى الصباح ، خمسة عشر فرسخاً . ثم إنهما نزلا صباحا عند بئر فأخذ أبو على التقويم ليرى بأى طالع يخرج فلما نظر التفت إلى أبى سهل وقال : إنا سنضل طريقنا حسب هذا الطالع : فقال أبو سهل رضينا بقضاء الله و إنى أعلم كذلك أنى لن أنجو بنفسى فى هذا السفر فإن تسييرى فى هذين اليومين إلى العيوق وهو قاطع . فلم يبق لى أمل وسيكون ما بيننا بعد هذا تلاقى الأرواح . ثم سارا .

يحكى أبو على أن ريحاً هبت فى اليوم الرابع فثار العجاج واظلم الكون فضلوا سبيلهم إذ طمست الرياح معالمه ، فلما هدأت كان الدليل أكثر منهما جهلا بالطريق . وقد مات أبو سهل فى هذه الصحراء الحارة بالعطش لفقد الماء وبلغ الدليل وأبو على بعد آلاف الشدائد مدينة باورد . ثم رجع الدليل وسار أبو على إلى طوس ثم بلغ نيسابور فرأى قوما يطلبون أبا على فنزل فى زاوية شارد الفكر و بقى بها عدة أيام . ومن هناك اتجه إلى جرجان وكان قابوس ** ملكا عليها ، وهو رجل عظيم صديق للفضلاء ، حكيم الطبع . وقد عرف أبو على أنه

(*) النص الفارسى يقول : إذ راه گرگان أى الذئاب والمقصود به طريق الصحراء الموحش .

(**) شمس المعالى قابوس بن وشمگير ، حكم من ٣٦٦ حتى ٣٧١ (٩٧٦ — ٩٨١) ثم من ٣٨٨ حتى ٤٠٣ (٩٩٨ — ١٠١٢) .

لا يمسه ضر هناك . فلما بلغ جرجان نزل فى رباط وكان بجواره مريض فعالجه فشفى ثم عالج مريضاً آخر فشفى . وكان الناس فى الصباح يحضرون له القنينات ليفحص ما فيها من البول وكان له من ذلك رزق يزيد يوما بعد يوم .

وأمضى على هـذا النحو زمانا إلى أن مرض أحد أقرباء قابوس بن وشمكير ملك جرجان فقام الأطباء بعلاجه و بذلوا الجهد وجدوا كل الجد فلم تشف علته . وكان قابوس عظيم التفكر فى هـذا فأخبره أحد خدمه أنه قد جاء إلى رباط كذا طبيب عظيم شاب له يد مباركة جداً وقد شفى على يديه أناس كثيرون ؛ فأمر قابوس بدعوته والمجىء به إلى المريض لمعالجته فرُبَّ يد أكثر بركة من يد . فطلبوا أبا على وذهبوا به إلى المريض فرآه شابا غاية فى الجمال[٢٤] متسق الأعضاء قد طرَّ شاربه . ولـكنه مضنى . فجلس ابن سينا وجسَّ نبض الفتى وطلب البول وفحصه ثم قال أريد رجـلا يعرف غرفات جرجان ومحلاتهـا كلها ، فأحضروا الرجل وقالوا هـذا هو . فوضع أبو على يده على نبض المريض وأمر الرجل بأن يذكر أسماء محلات جرجان . فأخذ الرجل يذكرها حتى إذا بلغ اسم محلة معينة تحرك نبض المريض حركة عجيبة . فقال أبو على : أذكر أسماء شوارع هذه المحلة فذكرها الرجل ولما بلغ اسم شارع معين عادت حركة النبض العجيبة . فقال أبو على تريد رجلا يعرف جميع بيوت هذا الشارع . فأحضر الرجل وأخذ يذكر أسماء البيوت حتى إذا بلغ اسم بيت منها تحرك النبض الحركة نفسها . قال أبو على والآن أريد رجلا يعرف أسمـاء أهل البيوت ويستطيع أن يذكرها ، فأحضروه فأخذ فى سرد الأسماء حتى إذا بلغ اسماً منها حدثت نفس الحركة من نبض المريض . حينئذ قال أبو على : تم الأمر . ثم التفت إلى معتمدى قابوس وقال : إن هـذا الشاب عاشق لفلانة بنت فلان فى محلة كذا وشارع كذا و إن دواءه وصال تلك الشابة وعلاجه رؤيتها . وأرهف المريض السمع فسمع كل ما قاله الرئيس أبو على فخجل وغطى وجهه بالوسادة . فلما حقق الأمر وجد كما قال ابن سينا . فأطلعوا عليه قابوس فعجب عجبا عظيما . وقال أحضروه عندى فحملوه إليه[٢٥] وكانت معه صورته التى أرسلها السلطان محمود . فلما مثـل أمامه قال له ألأنت أبو على ؟ قال نعم أيها الملك المعظم ! فنزل قابوس من العرش ومشى بضع خطوات ليستقبله ثم عانقه وجلس معـه على وسادة أمام العرش وأحاطه

بالإجلال . ثم قال فى تلطف : لا شك أن على الأجل الأفضل والفيلسوف الأكمل أن يشرح طريقة العلاج . فقال أبو على : لما رأيت النبض والتفسرة أدركت أن العلة هى العشق وقد بلغ كتمان الشاب لهذا السر أنى لو سألته لما صدقنى ، فوضعت يدى على نبضه وذكرت أسماء المحلات فلما ذكر اسم محلة المعشوق تحرك عشقه فتبدلت حركته فعرفت أنه فى هذه المحلة فأشرت بذكر أسماء الشوارع فلما سمع اسم شارع معشوقه حدث الأمر نفسه فعرفت اسم الشارع فأمرت بذكر أسماء البيوت كلها فلما بلغ اسم بيت المعشوق ظهرت الحالة نفسها فعرفت البيت أيضاً فأمرت بذكر أسماء أهل البيوت كلها فلما سمع اسم المعشوقة تغير تمام التغير فعرفت اسمها أيضاً . فقلت له فلم يستطع أن ينكر ثم أقر .

فتعجب قابوس من هذه المعالجة كثيراً ولبث حائراً والحق أنها عجيبة — فقال : أيها الطبيب الأجل الأفضل الأكمل إن العاشق والمعشوق كلاهما ولدا أختىّ وهما ولدا خالة فاعمل الاختيار لنعقد زواجهما . فأعد أبو على الاختيار السعيد وتم هذا العقد وتزوج العاشق بمعشوقه و برئ هذا الشاب الأمير الجميل الصورة من مرض كاد يهلكه . و بعد ذلك أحسن قابوس إلى أبى على كل الإحسان . ثم انتقل من هناك إلى الرى حيث أسندت إليه وزارة الملك شاهنشاه علاء الدولة(٣٦) كما هو معروف فى تاريخ الرئيس على بن سينا .

الحكاية السادسة

كان صاحب « كامل الصناعة » طبيباً لعضد الدولة فى فارس بمدينة شيراز ، وكان فى هذه المدينة حمال يحمل على ظهره أحمالا تزن أربعمائة أو خمسمائة منّ ، وكان هذا الحمال يصاب كل خمسة أو ستة أشهر بدوار فلا يقر له قرار عشرة أو خمسة عشر يوماً وليلة . وانتابه هذا الدوار مرة ومضى عليه سبعة أيام أو ثمانية فهمّ بقتل نفسه مرات ، فاتفق أخيراً أن مر هذا الطبيب الكبير بدار الحمال فأسرع إليه أخوته وحيوه واستحلفوه بالله عز وجل ثم قصوا عليه أحوال أخيهم ودواره . فقال الطبيب أرونى إياه فحملوه إليه ، فلما رآه وجده رجلا قويا عظيم الهيكل وقد لبس فى رجليه حذاء تزن الواحدة منه منًّا ونصف من ، ثم جسّ نبضه وطلب التفسرة ثم قال : احملوه معى إلى الصحراء ففعلوا . فلما صاروا فى الصحراء

قال الطبيب لغلامه انزع العمامة من فوق رأس الحمال ولفها حول رقبته وأحكم عقدها ، ثم أمر غلاما آخر قائلا انزع الحذاء من رجليه واضربه به على رأسه عشرين مرة . ففعـل الغلام وعلا صياح أبناء الحمال . ولـكن الطبيب كان من الوقار والهيبة بحيث لم يستطيعوا معه شيئاً . ثم قال للغلام : امسك الشال الذى عقدته حول رقبته واركب حصانى واسحبه وراءك واجر به ، ففعل الغلام وجرى به كثيراً فى الصحراء حتى نزف الدم من أنفه ، فقال الطبيب : الآن دعه . فتركه . وكان هذا النزف أنتن من الجيفة ، ثم قام الرجل فى هذا الرعاف وقد نزف من أنفـه ثلثمائة درهم ثم انقطع الدم . وحملوه بعد ذلك إلى البيت فلم يستيقظ بل ظل فى سبات أربعا وعشرين ساعة . وقد زال دواره هذا واستغنى عن العلاج ولم يعـاوده .

وقد سأله عضد الدولة عن كيفية هذه المعالجة فقال : أيها الملك إن هذا الدم ليس مادة فى الدماغ تعالج بيارج الصبر (يارهْ فيقرا[٢٧]) ، وليس هناك طريقة للعلاج غير ما عملت.

الحكاية السابعة

الماليخوليا علة حار الأطباء فى علاجها . والأمراض السوداوية مزمنة كلها ولـكن للمليخوليا خاصية هى أنها تزول ببطء . وقد عدد أبو الحسن بن يحيى فى كتابه « المعالجة البقراطية »[٢٨] الذى لم يؤلف أحد مثله فى الطب ، الأئمة والحكماء والفضلاء والفلاسفة الذين أصابتهم هذه العلة . وقد حكى لى أستاذى الشيخ الإمام أبو جعفر بن محمد أبو سعد المعروف بصرخ (؟) عن الشيخ الإمام محمـد بن عقيل القزوينى عن الأمير فخر الدولة أبى كاليجار البويهى أن أحد أعزة بنى بويه أصيب بالماليخوليا فخيل إليه مع هذه العلة أنه صار بقرة ، فـكان يصيح كل يوم ويقول لهذا وذاك إذبحونى فإن لـكم من لحمى هريسة طيبة . وبلغ به الأمر أنه امتنع كل الامتناع عن الأكل ، ومرت الأيام وهو يذوى وقد عجز الأطباء عن معالجته . وكان الأستاذ أبو على بن سينا فى ذلك الوقت وزيرا ، وقد أقبل عليه الشاهنشاه علاء الدولة محمد بن دشمنزيار فوضع شئون الملك كلها بين يديه ، تاركا جميع الأمور لرأيه وتدبيره . والحق أنه لم يكن لملك قط — بعد الإسكندر الذى وزرله أرسطاليس —

وزير مثل أبي على . وقد كان هذا ، وهو وزير ، يستيقظ كل يوم مبكرا فيصنف ورقتين من كتاب الشفا ، فإذا طلع الصبح الصادق اجتمع بتلاميذه مثل كيا الرئيس بهمنيار[٢٩] وأبي منصور بن زيله[٣٠] وعبد الواحد الجوزجانى[٣١] وسليمان الدمشقى وأنا أبو كاليجار ، وقد كنا نستبق إلى القراءة عليه حتى إسفار الصبح ثم نصلى وراءه . وكنا ، حين انصرافنا ، نجد على باب قصره ألف فارس من الكبراء والعظماء وأرباب الحوائج وأصحاب العرائض ، قد تجمعوا عنده . وكان الأستاذ يركب وتسير هذه الجماعة فى خدمته ، فإذا بلغ الديوان كان حوله ألفا فارس ، وكان يبقى فى الديوان حتى صلاة الظهر . وحين يعود لداره يتغذى على مائدته الكثيرون . ثم يذهب للقيلولة ، فإذا استيقظ صلى ، ثم يذهب إلى الشاهنشاه فيبقى معه حتى صلاة العصر ، يفاوضه ويحاوره فى مهمات الملك ، وهما اثنان لا ثالث لهما . والمقصود من هذه الرواية هو أنه لم يكن للأستاذ وقت فراغ .

فلما عجز الأطباء عن معالجة هذا الشاب ذكروا قصته أمام الشاهنشاه المعظم علاء الدولة والتمسوا شفاعته لدى الأستاذ ليعالجه ، فأشار عليه علاء الدولة فقبل ، ثم قال بشروا هذا الشاب بأن « القصاب آت ليذبحك » . فقالوا له ذلك ففرح ، وركب الأستاذ وجاء فى موكبه المعتاد إلى قصر المريض ، ثم دخل مع رجلين والسكين فى يده وقال : أين هذه البقرة لأذبحها ، فقلد الشاب المريض خوار البقرة ، يعنى أنه هنا ، فقال الأستاذ جروها إلى فناء القصر وأوثقوا يديها ورجليها وأضجعوها . فلما سمع المريض هذا جرى إلى وسط القصر واضطجع على جنبه الأيمن فأحكموا وثاق يديه ورجليه ثم جاء أبو على وسن السكين على السكين ثم جلس ووضع يده على خصر المريض ، كعادة القصابين ، وقال « وه ، يا لها من بقرة هزيلة ، إنه لا يحل ذبحها ، اعلفوها حتى تسمن » . وقام فخرج ، ثم قال للرجال فكوا يديه ورجليه واحملوا إليه ما آمر به من طعام وقولوا له كل لتسمن سريعاً . وهكذا فعلوا ما أمر به الأستاذ ، فكانوا يحملون إليه الطعام فيأكله ثم كانوا يعطونه ما أمر به الأستاذ من الأشربة والأدوية ويقولون له : كل كثيرا فإن هذا نافع تسمن عليه البقرة ! فكان يسمع ويأكل على أمل أن يسمن فيذبحوه . وبعد ذلك بدأ الأطباء فى علاجه كما وصف أبو على ، فكان ينقه شهرا بعد آخر حتى شوفى .

والعقلاء جميعاً يدركون أن مثل هذا العلاج لا يستطاع إلا بالفضل الكامل والعلم التام والحدس الصادق .

الحكاية الثامنة

كان فى هراة ، فى زمان ملشكاه و بعض زمان سنجر(٣٢) ، فيلسوف اسمه الأديب اسمعيل . كان رجلا عظيما حقا ، فاضلا كاملا . وكان يعيش من دخل طبه . وله نوادر كثيرة فى هذا الضرب من العلاج . مر يوما بسوق المذبح فرأى قصابا يسلخ الغنم وكان يمد يده فى جوفها من وقت لآخر فيأخذ الدهن الحار ويأكله . فلما رأى الطبيب هذا الأمر قال لبقال مجاور لهذا القصاب : إذا مات هذا فخبرنى بموته قبل أن يدفن . فقال البقال سأخبرك . ولما مضى على هذا الحديث خمسة أشهر أو ستة سمع البقال صباح يوم أن فلانا القصاب قد مات بالأمس فجأة بغير علة أو مرض . فذهب للعزاء فرأى جماعة ممزقة ثيابها وجماعة تحرقها الحسرات ، فقد كان الميت شابا وله أولاد صغار ، فتذكر البقال قول الأستاذ اسمعيل فأسرع وخبره فقال : لقد طال عليه النزع . ثم أخذ عصاه وسار إلى البيت فرفع النقاب عن وجه الميت وجس نبضه وأمر رجلا أن يضرب به على ظهر رجله ففعل ، و بعد ساعة قال له كفى ثم بدأ فى علاج السكتة . وفى اليوم الثالث قام المريض وقد أصابه الفالج ولكنه عاش عدة سنين . فتعجب الناس ، إذ تنبأ هذا الطبيب الكبير بأن الرجل سيصاب بالسكتة .

الحكاية التاسعة

كان شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى(٣٣) قدس الله روحه متعصباً على الأستاذ اسمعيل هذا ، وقد قصده بالشر عدة مرات وأحرق كتبه ، وهذا تعصب دينى فإن المرو يين كانوا يعتقدون أنه يحيى الموتى ، وهذا الاعتقاد ضار بعامة الناس .

واتفق إن الشيخ مرض ، وظهر عليه الفواق فى مرضه ، و بذل الأطباء فى علاجه كل جهد بلا جدوى ، فيئسوا ، ثم بعد اليأس ، أرسلوا قارورة بوله إلى الأستاذ الأديب اسمعيل و بدلوا اسمه وسألوه العلاج ، فلما فحص القارورة قال هذا بول فلان وقد ظهر عليه الفواق وعجز الأطباء عن علاجه ، قولوا له يُدَقُّ له أستار * من قشر لباب الفستق مع أستار من السكر

(*) ٤ ½ مثقال .

العسكرى و يعطى هـذا المسحوق حتى يشفى ، وقولوا له عليك بتعلم العلم ولا ينبغى لك إحراق الـكتب . وقد جُعل من هذين المسحوقين سفوف وشربه المريض فهدأ الفواق فوراً وشفى .

الحـكاية العاشرة

أصيب أحد مشاهير مدينة الإسكندرية بوجع فى أنامله فكان لا يقر له قرار ولا يستريح قط . فأخبر جالينوس بأمره فأرسل إليه مرهماً ليوضع على أعلى كتفه ، فعمل بأمره فسكن الألم فى الحال وعوفى المريض . وعجب الأطباء فسألوا جالينوس ما هذا العلاج الذى أشرت به ؟ فقال إن مخرج هـذا العصب الذى يسبب الألم فى الأنامل هو أعلى الـكتف ، وقد عالجت الأصل فشفى الفرع .

الحـكاية الحادية عشرة

ظهرت على صـدر الفضل بن يحيى البرمكى بعض علامات البرص فضايقته ، فكان يذهب إلى الحمام ليلا حتى لا يطلع على مرضه أحد . فجمع ندماءه فسألهم من أحذق طبيب اليوم فى العراق وخراسان والشام وفارس ومن هو أبعـد الأطباء صيتاً . فقالوا إنه جاثليق فارس بشيراز . فأوفد رسولا وأحضر الجاثليق من فارس إلى بغداد ، ثم اختلى به وقال له ، ممتحناً ، إن فى رجلىّ فتوراً يجب علاجه . فقال الجاثليق : عليك أن تمتنع عن أكل اللبنيات والمخللات وأن تأكل حساء الحمص بلحم دجاج عمره سنة مع حلوى من مخّ البيض والعسل ؛ وسأصف لك الدواء حين يتم تنظيم الغذاء . فقال الفضل سأفعل ما ذكرت .

وأكل الفضـل ، فى تلك الليلة من كل شىء كعادته . وكان هناك زيرباى معقدة فأكل منها ولم يحترز من الـكوامخ[٣٤] والرواصـير[٣٥] . وفى اليوم التالى حضر الجاثليق فطلب قارورة البول لفحصه فاحمر وجهه وقال أنا لا أستطيع علاج هذا ، فإنى قد نهيتك عن المخللات واللبنيات فأكلت الزيرباى ولم تحترز من أكل الـكامة والأنبجات[٣٦] ، فلا يصح لك علاج .

فاستحسن الفضل بن يحيى حدس هـذا الطبيب المظيم وحذقه وصرح له بعلته وقال لقد دعوتك لهذا الأمر وكان ما قدمت امتحاناً لك . فبدأ الجاثليق العـلاج عاملا بما جاء فى هذا الباب ، ولـكن الأيام مرت على غير فائدة والجاثليق الحـكيم يتميز غيظاً فإن المرض ليس بذى بال ولـكنه مع ذلك قد طال ؛ حتى إذا كان جالساً يوماً مع الفضل بن يحيى قال : مولاى ، قد قمت بمـا وجب من علاج فلم يؤثر قط فلعل الوالد غاضب عليك فأرضه حتى أرفع عنك علتك . فقام الفضل فى تلك الليلة وذهب إلى يحيى ووقع على قدميه وسأله الرضى عنه ، فرضى هذا الوالد الشيخ وواصـل الجاثليق أنواع العلاج نفسه فأخذت صحة الفضل فى التقدم ولم يمض كثير حتى شفى شفاء تاما .

فسأل الفضل الجاثليق : كيف عرفت أن سبب علتى غضب والدى . فقال الجاثليق إنى عملت كل ما ينبغى من علاج فلم يفد شيئاً ، فقلت إن هـذا الرجل المظيم قد أصيب بلـكدة من جهة ما ونظرت فلم أجد أحدا ينام الليل غاضباً عليك أو محزوناً منك بل إن كثيراً من الناس ليسعدون بصداقتك وصلاتك وخلعك إلى أن علمت أن والدك غاضب عليك وأن بينكما خلافا ، فعرفت أن هنا العلاج فعملت به ، وذهب المرض ولم يخطئ ظنى .

وأغدق جعفر بن يحيى النعم على الجاثليق ثم أرسله إلى فارس .

الحـكاية الثانية عشرة

فى سـنة سبع وأربعين وخمسمائة * وقعت معركة عند باب أوبة بين سلطان العالم سنجر بن ملـكشاه ومولاى علاء الدنيا والدين الحسين خلّد الله تعالى ملـكهما وسلطانهما . وقد أصابت الغور عين السوء ، فاستخفيت فى هراة إذ كنت منسوبا إلى الغوريين وقد أثار عليهم أعداؤهم كل حقد كما أظهروا الشماتة بهم . وتصادف وجودى ليلة ، ونحن فى هذا الوضع ، فى بيت رجل فاضل ، فبعد أن أكلنا خرجت لقضاء حاجة ، فأخذ الرجل الـكريم الذى تفضل بإدخالى البيت يثنى علىّ قائلا : إن الناس يعرفونه شاعراً ، ولـكنه إلى الشعر عالم بالنجوم والطب والترسل ومتبحر فى أنواع العلوم الأخرى . فلما عدت

(*) ١١٥٢ — ٥٣ .

إلى المجلس لقيني رب البيت بإجلال خاص كالذى يكون من أصحاب الحاجات ، ثم جلس بعـد قليل قريباً مني . وقال : يا صاحبي إن لى بنتا واحدة وليس لى أحد سواها ، وهى نعمتى ، وهذه البنت مريضة . ذلك أنها فى أيام الحيض تنزف عشرة أو خمسة عشر مناً من الدم ، فتضعف ضعفاً شـديداً ، وقد استشرت الأطباء وعالجها كثير منهم ولـكن بغير فائدة ، فإنهم إذا وقفوا الدم ينتفخ بطنها ويزداد ألمها وإذا تركوه ينزف يظهر عليها الهزال ، وأخاف أن تخور قواها جملة .

فقلت أخبرنى حين تعود هذه العلة .

فلما انقضت عشرة أيام جاءتنى أم المريضة فسرت معها وأحضرت البنت أمامى ، فرأيتها رائعة الجمال ، حائرة يائسة من الحياة (فلما رأتنى) ارتمت على قدمىّ وقالت : أى أبى ، أغثنى لوجه الله فإنى شابة ولم أر الدنيا . فانهمر الدمع من عينىّ وقلت لها : طيبى نفساً فهذا أمر يسير . ثم وضعت يدى على نبضها فوجدته قويا . وكذلك كان لون وجهها عاديا . وقد توفرت فيها أكثر الأمور العشرة كالامتلاء والقوة والمزاج والسحنة والسن والفصل وهواء البلد والعادة والأعراض الملائمة والصناعة . فدعوت فصّاداً وأمرته بفصد عرق الباسليق فى يديها ، ثم أخرجت النساء من حولها ، وقد خرج الدم الفاسد ، وأخذت منها بالإمساك والتسريح ، ألف درهم من الدم ، فسقطت المريضة لا تعى . فأمرت بإحضار النار وشويت بجانبها اللحم والطير حتى عبق البيت برائحة الـكباب وصعد بخاره إلى دماغها فثابت إلى رشدها وتحركت وتأوهت . ثم أعددت لها شراباً مقويا لذيذ الطعم . وعالجتها أسبوعاً حتى استعادت الدم الذى فقدت وزالت عنهـا العلة وانتظم الحيض عندها . وكنت أناديها بابنتى ، وكانت تناديني بأبى ، وهى اليوم منى كأبنائى .

فصـــــل

ليس المقصود من تحرير هذه الرسالة وتقرير هـذه المقالة إظهار الفضل أو إذكار الخدمة ، بل هى إرشاد للمبتدى وحمد لمولاى الملك المعظم المؤيد المظفر المنصور حسام الدولة

والدنيا والدين ، نصرة الإسلام والمسلمين ، عمدة الجيوش فى العالمين ، افتخار الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر المبتدعة والملحدين ، ظهير الأيام ، مجير الأنام ، عضض الخلافة ، جمال الملة ، جلال الأمة ، نظام العرب والعجم ، أصيل العالم ، شمس المعالى ملك الأمراء أبو الحسن على بن مسعود بن الحسين نصير أمير المؤمنين(٣٧) ، أدام الله جلاله ، وزاد فى السعادة إقباله ، الذى يفخر الملك بمكانه والذى يبادر الحظ لخدمته. زين الله الدولة بجماله والملك بكماله ، وأنار بحسن سيرته وسريرته عين ابنه المظفر منصور شمس الدولة والدين وجعل الحفظ الإلهى والعناية الملكية جوشنا على قدر حشمتهما وقامة عصمتهما ، وجعل قلب مولاى ولى الأنعام الملك المعظم العالم العادل المؤيد المظفر المنصور فخر الدولة والدين ، بهاء الإسلام والمسلمين ، ملك ملوك الجبال ، ببقائهما سعيداً إلى الأبد لا إلى حين .

الحـــواشى

حواشى المقدمة

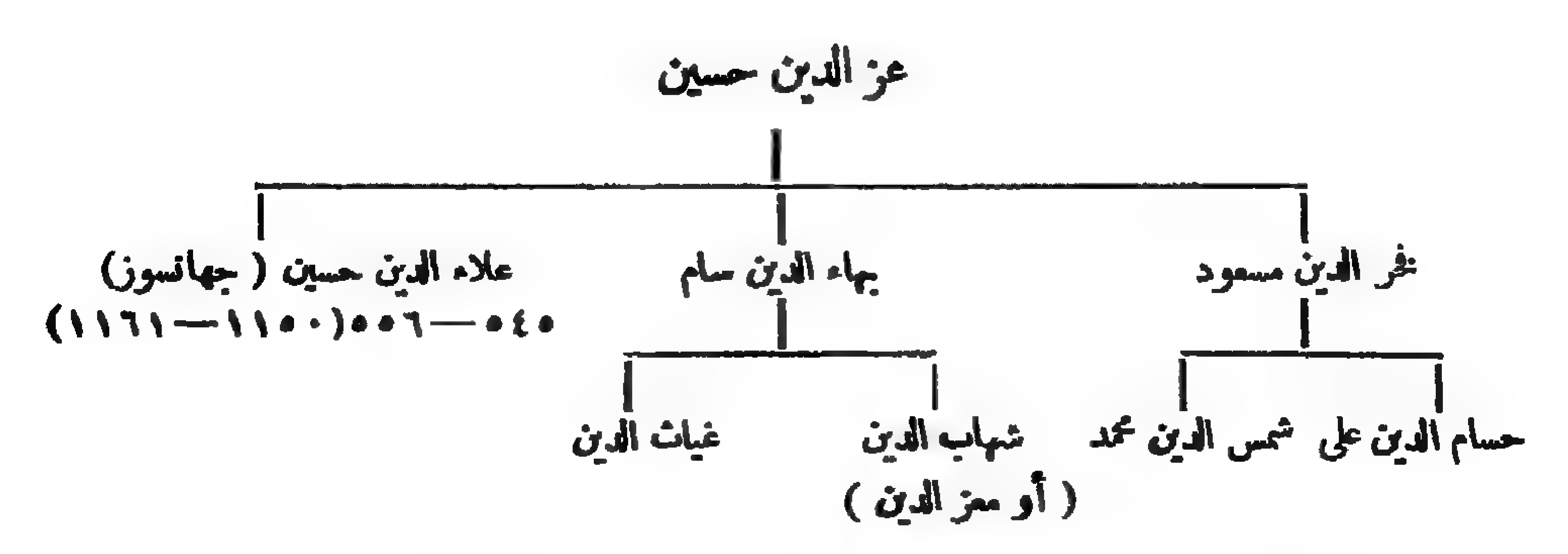
(١) الغوريون أو آل شنسب : ينتسب الغوريون إلى الضحاك الذى يحكى أنه حكم إيران فى القديم ألف سنة وقضى على دولته أفريدون ؛ أما شنسب ، جدهم الذى يسمون باسمه ، فيزعم المؤرخون أنه كان معاصرا لعلى بن أبى طالب وأنه أسلم على يديه وأخذ منه العهد واللواء . وكانت هذه الأسرة تعتز بإبقائها على الود لآل على حين اشتد السخط عليهم فى العصر الأموى .

وهم طائفتان :

الأولى : ملوك الغور بالمعنى الأخص وهم الذين حكموا فى غور نفسها وكانت عاصمتهم فيروز كوه .

الثانية : ملوك طخارستان ، شمال غور ، وكانت عاصمتهم باميان ولذا فإنهم يسمون ملوك باميان وغورية باميان .

وقد حكمت هذه الأسرة حكما مستقلا زهاء سبع وستين سنة (٥٤٣/١١٤٨ — ٦١٢/١٢١٥) منذ تمكنوا وغلبوا الغزنويين إلى أن قضى عليهم الخوارزمشاهية . وهؤلاء هم أهم أفراد هذه الأسرة ممن أشار إليهم المصنف .



وأهم هؤلاء السلاطين السلطان علاء الدين حسين بن عز الدين حسين ، من سلاطين فيروزكوه ، وقد بلغت الدولة الغورية أوجها فى عهده . وهو الذى حارب بهرامشاه الغزنوى

(٥١٢/١١١٨ — ٥٤٧/١١٥٢) وهزمه ودخل غزنين وأهلك أهلها وأشعل النار فيها سبعة أيام بلياليها ، ولذا لقب بجهانسوز أى حارق الدنيا .

وأما فخر الدين مسعود فهو أول ملوك باميان . ولا يعرف تاريخ وفاته . ولـكنه كان فى الحياة حتى سـنة ٥٥٨/١١٦٢ ، فقد جاء فى « طبقات ناصرى[١] » أنه فى ابتداء سلطنة السلطان غياث الدين الغورى جرّد فخر الدين مسعود جيشا لقتال ابنى أخيه (يعنى غياث الدين ، ومعز الدين) ، وقد ولى غياث الدين العرش سنة ٥٥٨ فتكون وفاة فخر الدين بعد ذلك التاريخ .

وملك الجبال ، الذى أطلقه المصنف عليه ، يطلق على آل شنسب عامة ، فإن غور ولاية جبلية .

وأما شمس الدين محمد فهو ثانى ملوك غور باميان . ولا تُعرف سنة وفاته ، ولـكن المحقق أنه كان حيا سـنة ٥٨٦/١١٩٠ إذ فى هـذه السنة نشبت الحرب بين سلطانشاه ابن ايل ارسلان بن آتسز خوارزمشاه ، وبين السلطانين الغوريين غياث الدين ومعز الدين ، وقد رأس شمس الدين هذا جيش باميان وطخارستان لمعاونتهما[٢] .

وأما حسام الدين أبو الحسن على فهو الذى ألف المصنف كتابه باسمه ، وقد ذكره كتاب « طبقات ناصرى[٣] » بين أبناء فخر الدين مسعود . وكان فى الحياة حوالى سنة ٥٥١/١١٥٦ تاريخ كتابة « چهار مقاله » .

والمصدر الرئيسى لتاريخ هذه الأسرة هو كتاب « طبقات ناصرى » ، وكذلك فإن « روضة الجنات » لمعين الدين الأسفزازى يحوى عنها معلومات قيمة .

(٢) غاك كرمه : غاك لغة فى خاك ، وإبدال الغين بالخاء والعكس سائد فى اللسان الفارسى ، فيقال چرغ وچرخ . ويقال ستيغ وستيخ ، وإذاً فغاك كرمه هى كِرم خاك .

---

(١) ص ١٠٣ ، وهو للقاضى منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجانى . وقد نشر فى مجموعة Bibliothica Indica وترجمه للانجليزية H. G. Raverty مع ملاحظات قيمة .

(٢) ابن الأثير ج ١٣ ، ص ٣٨ طبعة ليدن ؛ طبقات ناصرى ص٥٢ طبعة كلـكتا ؛ حواشى لباب الألباب ج ١ ص ٣٢١ .

(٣) ص ١٠٤

(٣) طَمْغَاج خان : يلقب أغلب ملوك الترك ، المعروفين بالخانية ، والذين حكموا هذه النواحى قبل المغول ، بلقب طمغاج خان :

وقد جاء فى سيرة السلطان جلال الدين خوارزمشاه المنكبرنى لمحمد بن أحمد النسوى[1] : « حدثنى غير واحد ممن يعتبر بقولهم أن مُلك الصين مُلك متسع ، دوره مسيرة ستة أشهر ، وقد قيل إنه يحويه سور واحد لم ينقطع إلا عند الجبال المنيعة والأنهار الوسيعة وقد انقسم من قديم الزمان [إلى] ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره خان أى ملك بلغتهم نيابة عن خانهم الأعظم ، وكان خانهم الكبير الذى عاصر السلطان محمد [بن تكش] التون خان توارثها كابرا عن كابر بل كافرا عن كافر . ومن عادتهم والإقامة بطمغاج وهى واسطة الصين ونواحيها طول صيفهم ... » . ثم يقول بعد قليل : « فلما عاد التون خان إلى مدينته المعروفة بطمغاج أخذ الحجاب على عادتهم يعرضون كل يوم عدة قضايا مما حدث مدة غيبته .. » .

وقد جاء فى تقويم البلدان لأبى الفداء[2] فى جدول بلاد الصين نقلا عن تاريخ النسوى المذكور : « ومن تاريخ النسوى الذى ذكر فيه أخبار خوارزمشاه والنهر (؟) أن قاعدة مُلك التتر بالصين اسمها طوغاج (طوغاج) » .

ويقول زكريا بن محمد القزوينى[3] : « طمغاج مدينة مشهورة كبيرة من بلاد الترك ذات قرى كثيرة وقراها بين جبلين فى مضيق لا سبيل إليها إلا من ذلك المضيق . ولا يمكن دخولها لو منع مانع . فلا يتعرض لها أحد من ملوك الترك لعلمهم بأن قصدها غير مفيد . وسلطانها ذو قدر ومكانة عند ملوك الترك ، وبها معدن الذهب فلذلك كثر الذهب عندهم حتى اتخذوا منه الظروف والأوانى وأهلها زُعر لا شعر على جسدهم ونساؤهم على السواء فى ذلك ... وحكى الأمير أبو المؤيد بن النعمان أن بها عينين إحديهما عذب والأخرى ملح ، وهما تنصبّان إلى حوض وتمتزجان فيه وتمتد من الحوض ساقيتان إحداهما عذب لا ملوحة

---

(١) نشر Houdas ، باريس ، ص ٤ — ٥

(٢) المكتبة الأهلية بباريس ، الورقة ٩٨ من : Arabe, 2239

(٣) آثار البلاد ص ٢٧٥ (وستنفلد)

فيه والأخرى ملح . وذكر أنه من كرامات رجل صالح اسمه مليح الملاّح وصل إلى تلك الديار ودعا أهلها إلى الإسلام وظهر من كراماته أمر هـذا الحوض والسواقى فأسلم بعض أهلها وهم على الإسلام حتى الآن » .

يقول برون Browne[1] إنه يبدو ممكنا أن طَمْغَاج وطَفْغاج[2] تحريف لـكلمة من اللهجة التركية الشرقية تَبغاج ومعناها « المعظم » أو « المشهور » وقد استعملت مراراً بمعنى « الصينى » فى نقوش أرْخُن المؤرخة فى القرن الثامن الميلادى . وفى هـذه الحالة يكون معنى لقب « طمغاج (أو طبغاج) خان » الذى حمله عادة الولاة الخانيون « الخان المعظم » وليس « خان طمغاج » ؛ وإن الاعتقاد السائد فى وجود أقليم باسم طمغاج ناشىء عن فهم خاطئ وقياس غير صحيح على لقب خوارزمشاه ، وما يماثله ، هذا اللقب الذى يعنى حقيقة شاه خوارزم .

ثم يقول Browne إن ميرزا محمد (القزوينى) قد بعث إليه بملحوظة علمية مفصلة يثبت فيهـا أن الـكتّاب المسلمين المتقدمين استخدموا كلمة طمغاج للدلالة على مدينة معينة حقيقية ، وقد حقق بأوثق الأدلة أنهم يقصدون بها « خان بالغ » Cambaluc أو بكين التى تسمى أيضاً چونكدو (العاصمة الوسطى) و دايدو (العاصمة العظمى) .

(٤) ذكر إنه سيروى عشر حكايات طريفة فى كل مقالة ، ولـكن النسخ المشهورة من الـكتاب ذكرت ، فى المقالة الرابعة ، إحدى عشرة حكاية أما نسخة استنبول فقد احتوت على اثنتى عشرة حكاية .

---

(١) ص ١٠٢ — ١٠٣

(٢) انظر الحواشى ص ١٢٤ فى الـكلام عن أرسـلان خان ... بن ابراهيم طفغاج خان ثم حواشى المقالة الثانية رقم ٢٨ عن السلطان خضر خان بن طفغاج خان ابراهيم .

حواشى المقالة الأولى

(١) أبو القاسم اسمعيل بن عبّاد الطالقانى المعروف بالصاحب المتوفى سنة ٣٨٥/٩٩٥ . وقد طبعت رسائله فى مصر سنة ١٣٦٦/١٩٤٦ بعناية الأستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، والدكتور شوقى ضيف .

وقد جاء فى الحكاية الرابعة أن الصاحب رازى ، ولم يرد هذا إلا فى إحدى روايتى تاريخ گزيده (طبع باريس ص ١٥٨) . والمشهور أنه طالقانى . وفى تعيين طالقان خلاف أيضاً . يجعلها ياقوت بلدة وكورة بين قزوين وابهر ، ويعده ابن خلكان من طالقان قزوين . ويرى الثعالبي أن طالقان التى ينسب إليها الصاحب من قرى إصفهان .

وجاء فى كتاب « محاسن إصفهان[1] » أن الصاحب من مشاهير رجال هذا البلد .

ورجح القزوينى رأى الثعالبي والمافرّوخى ، فإن الأول معاصر للصاحب وكان الثانى قريب العهد به . ثم إنه من أهل إصفهان وفضلاء مؤرخيها .

وقد تغنى الصاحب ، حين فتحت جرجان ، متشوقا إلى بلده ، ويظهر من شعره أنه من إصفهان ، من جَىّ (اسم مدينة ناحية إصفهان القديمة وتسمى الآن عند العجم شهرستان وعند المحدثين المدينة) . فقال :

---

(١) المفضل بن سعد بن الحسين المافروخى ، المؤلف فى النصف الأخير من القرن الخامس الهجرى (بين سنتى ٤٦٥/١٠٧٢ و ٤٨٥/١٠٩٢ — ٣) . ومنه نسخة نفيسة نادرة فى المتحف البريطانى رقم Or. 3601 . وله ترجمة فارسية وضعت حوالى سنة ٧٣٠/١٣٢٩ — ٣٠ مع إضافات وملحقات ؛ واسم المترجم محمد بن عبدالرضا الحسينى العلوى . وقد قدم ترجمته إلى الوزير غياث الدين محمد بن الوزير خواجه رشيد الدين فضل صاحب « جامع التواريخ » . ويوجد من هذه الترجمة نسختان فى مكاتب أوربا واحدة فى لندن بمكتبة الجمعية الأسيوية الملكية رقم ١٨٠ (The Royal Asiatic Society) والثانية فى المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٠٧٣ (Bibliothèque Nationale, Supplément Persan) ، وهذه النسخة منقولة عن نسخة قديمة فى إحدى المكتبات الخاصة بإصفهان لحساب شيفر Schefer وقد لخص برون Browne هذا الكتاب بالانجليزية فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٠١ (Journal of the Royal Asiatic Society) وقد ذكر ريو Rieu فى ذيل فهرست الكتب العربية بالمتحف البريطانى النسخة العربية ولم يدر اسمها ولا مؤلفها . وقارن القزوينى هذه النسخة العربية مع الترجمة الفارسية وملخص برون لهذه الترجمة فتأكد من أن نسخة لندن (المتحف البريطانى) هى الأصل العربى للترجمة الفارسية فى مخطوطى مكتبة الجمعية الأسيوية بلندن والمكتبة الأهلية بباريس .

يا إصفهان سقيت الغيث من كثب فأنت مجمع أوطارى وأوطانى
والله والله لا أنسيت برك بى ولو تمكنت من أقصى خراسان
سقيا لأيامنا والشمل مجتمع والدهر ما خاننى فى قرب إخوانى
ذكرت دَيْمَرت إذ طال الثواء بها يا بُعد ديمرت من أبواب جرجان

وقال أيضاً :

يا أيها الراكب المصغى إلى الحادى حُييت من رائحٍ منا ومن غاد
إن جئت جَىّ بلادى أو مررتَ بها فنادها قبل حط الرحل والزاد
وقل لها جئت من جرجان مبتدراً أوحى إليك بما قال ابن عباد
يا إصفهان ألا حييت من بلد يا زَرّوذُ ألا سقِّيت من واد[1]

(٢) أبو اسحق ابراهيم بن هلال الحرّانى الصابى المتوفى سنة ٣٨٤/٩٩٤ .

(٣) شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، أمير طبرستان الزيارى الذى قتل سنة ٤٠٣/١٠١٢ — ١٣ . وقد جمع ترسّلاته الإمام أبو الحسن على بن محمد اليزدادى ؛ وذكر محمد بن اسفنديار قطعا منها فى كتابه تاريخ طبرستان .

(٤) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادى المشهور . كان أبوه نصرانيا ، وقد أسلم أبو الفرج على يدى الخليفة المكتفى (٢٨٩/٩٠١ — ٢٩٥/٩٠٧) ، وتوفى فى خلافة المتقى سنة ٣٣٧/٩٤٨ .

وله مؤلفات كثيرة ، ومما بقى منها كتاب الخراج الذى نشره المستشرق دى جويه De Geoje فى مجموعة المكتبة الجغرافية العربية BGA سنة ١٨٨٩ . وله كتاب نقد الشعر المعروف بكتاب البيان . ونقد النثر . وقد ظهر ضمن مطبوعات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، نشره وقدّم له الأستاذان الدكتور طه حسين بك وعبد الحميد العبادى بك .

(٥) المراد مقامات الحميدى المشهورة ، تأليف قاضى القضاة أبى بكر عمر بن محمود الملقب بحميد الدين المحمودى البلخى المتوفى سنة ٥٥٩/١١٦٣ . وقد طبع هذا الكتاب

---

(١) جاءت هذه الأبيات فى كتاب المافروخى .

فى كان پور (Cawnpore) سنة ١٢٦٨/١٨٥١—٢ ثم فى طهران سنة ١٢٩٠/١٨٧٣—٤ . وتوجد منه نسخة ممتازة فى المتحف البريطانى (Add. 7620) ترجع إلى القرن السادس الهجرى أى بعد تأليف الكتاب بزمن قليل . ولم تذكر هذه النسخة تاريخ التأليف ، ولكنه ذكر فى ديباجة النسخ الأخرى وفى ديباجتى النسختين المطبوعتين ، كما ذكره حاجى خليفة وهو سنة ٥٥١/١١٥٦ .

(٦) أبو على محمد بن محمد بن عبد الله التميمى البلعمى المتوفى سنة ٣٨٦/٩٩٦ . وهو وزير منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى (٣٥٠/٩٦١ — ٣٦٦/٩٧٦) . وهو الذى ترجم تاريخ الطبرى إلى اللغة الفارسية بأمر هذا الأمير . وكان أبوه ، أبو الفضل محمد بن عبد الله البلعمى وزيرا للأمير إسمعيل مؤسس الأسرة السامانية . وقد توفى سنة ٣٢٩/٩٤٠ — ١ . وكثيرا ما يقع اللبس بين الابن وأبيه . والبلعمى نسبة إلى مدينة بلعم فى آسيا الصغرى ؛ ويقال إنها ناحية فى قرية بلا شجرد قرب مرو[١] .

(٧) إشارة إلى الشيخ الجليل شمس الكفاة أحمد بن الحسن الميمندى المتوفى سنة ٤٢٤/١٠٣٢ . وهو من مشاهير الكتاب وقد وزر للسلطان محمود الغزنوى ولولده السلطان مسعود مدة عشرين سنة ، وهو الذى أمر بجعل الرسائل باللغة العربية وكانت من قبله تدون باللغة الفارسية[٢] .

(٨) أبو نصر بن منصور بن محمد الملقب بعميد الملك الكندرى . أول وزراء الدولة السلجوقية وقد وزر سنين عدة لطغرل بيك وعدة أشهر لألب أرسلان . ثم عمل نظام الملك الطوسى على إقصائه ثم قتله سنة ٤٥٦/١٠٦٣[٣] .

---

(١) أنساب السمعانى (مجموعة Gibb ، ج ٢٠ الورقة ١٩٠)

(٢) أنظر فى ترجمته تاريخ اليمينى للعتبى ، طبع القاهرة ص ١٦٦ — ١٧٢ . وتاريخ البيهقى الذى أكثر من ذكره ولا تكاد تخلو من ذكره صفحة منه . ولباب الألباب لعوفى ج ١ ص ٦٣ — ٦٤ وابن الأثير ج ٩ ص ٢٨٣ ، ٢٩٤ . وآثار الوزراء لسيف الدين العقيلى (المتحف البريطانى ، ورقات ٧٣ ب ، ٨٩ ب — or. 7184 . ودستور الوزراء لغياث الدين خواندمير (المتحف البريطانى ، ورقات ٧٠ ب ، ٧١ ب — or. 234 .

(٣) يذهب السمعانى ورقة (٤٨٨ ب) إلى أنه قتل سنة ٤٦٠/١٠٦٧ — ٨ .

(٩) يذكره المصنف (ص ٣٣) فيقول :

« فقال محمد بن عبده الكاتب ، وكان كاتب بغراخان وله فى العلم تعمق ، وفى الفضل تنوّق ، وفى النظم والنثر تبحر ، وكان أحد فضلاء الإسلام و بلغائه » . ومن هذا نرى أنه كان من كتاب ملوك ترك ما وراء النهر المعروفين بالخانيــة ، وأنه عاش فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس .

(١٠) يقرب من اليقين أن المراد بعبد الحميد هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٧/٨٤٤ — ١٣٢/٧٥٠) آخر خلفاء بنى أمية . وهو الذى يضرب به المثل فى البلاغة ، وقيل فيه « فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد » . وقد قتل مع مروان فى حربه مع العباسيين سنة ١٣٢/٧٥٠ .

(١١) الراجح أن المراد بالأول أبو المحاسن محمد بن فضل الله بن محمد الملقب بسيد الرؤساء الذى كان نائب ديوان الإنشاء للسلطان ملكشاه بن أرسلان (٤٦٥/١٠٧٢ — ٤٨٥/١٠٩٢) وكان من خواص المقربين إليه . وأن المراد بالثانى شرف الملك أبو سعيد محمد بن منصور بن محمد الذى كان صاحب ديوان الإنشاء فى عهد ملكشاه أيضا . والرجلان من أكابر الكتاب وعظماء رجال الدولة السلجوقية . وقد قال عماد الدين الكاتب : « كان نظام الملك مؤيدا بقرينين مؤيدين لدولته أمينين ، وهما كمال الدولة أبو الرضا فضل الله بن محمد صاحب ديوان الإنشاء والطغراء ، وشرف الملك أبو سـعيد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء ، وكلاهما صاحب الرأى والتدبير والجاه والمال والدهاء ومعدن الفضائل والعطاء . وكان لهذين نائبان فللكمال ولده سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد وكان مقبلا مقبولا قد اختصه السلطان [ملكشاه بن ألب أرسلان] بخدمته واختاره لندمته واستأمنه على سره و بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان إلى غاية لم يبلغها أنيس ولم يصل إلى مرتبتها جليس ، وقد كتب إليه السلطان يستبطئه بخط يده بيتا بالفارسية معناه إنك لا تتأثر بالغيبة عنى فإنك تجد من تأنس به غـيرى وأما أنا أتأثر بغيبتك فإنى لا أجد الأنس بغيرك . قال فصارختنا لنظام الملك وتزوج بابنته وزاد ذلك فى منزلته وله السرادق والكوس والعلم ...[1] » .

(١) تاريخ السلجوقية لعماد الدين الكاتب مختصرا بقلم البندارى ، ص ٥٦ — ٥٧ طبعة مصر .

(١٢) ابن عبادى ويسميه ابن الأثير الواعظ (ج ١١، ص ٧٧، ٧٨، ٨٨، ١٠٣) توفى فى عسكر مُكرم فى ربيع الثانى سنة ٥٤٧/ يوليو ١١٥٢[١].

(١٣) هو أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد القرشى الأموى الأبيوردى المتوفى فى إصفهان سنة ٥٠٧/١١١٣ — ٤. من الفضلاء والشعراء المشهورين وله تصانيف فى الأنساب والتاريخ واللغة. وقد تحدث عنه ياقوت فى إرشاد الأريب (ج ٦ ص ٣٤١ — ٣٥٨)، كما ذكره ابن الأثير (ج ٩، ص ٨٤، ١٩٢ — ١٩٣).

(١٤) هو أبو إسحق إبراهيم بن يحيي بن عثمان بن محمد الكلبى الأشهى الغزى. من مشاهير شعراء العرب وقد رحل إلى أكثر بلاد خراسان وكرمان والمشرق. ومدح ملوك ووزراء آل سامان وأشعاره ذائعة فى خراسان. توفى سنة ٥٢٤/١١٣٠ ودفن فى بلخ. واستشهد رشيد الدين الوطواط بكثير من أشعاره فى كتابه حدائق السحر. وله ديوان نفيس فى المكتبة الأهلية بباريس، نسخ فى الكرخ سنة ٥٩٠/١١٩٤[٢]. ولم يذكره المصنف لأنه أشهر الشعراء إنما ذكره لأنه كان معاصرا له ولأن شهرته كانت ذائعة فى خراسان والمشرق، ولذا فإنه كان معروفا من المصنف أكثر من غيره. والغزى نسبة إلى غزة المدينة المعروفة بفلسطين.

(١٥) هو أبو القاسم على بن محمد الإسكافى النيسابورى الكاتب المشهور. قال عنه الثعالبى[٣] إنه لسان خراسان وغرتها وعينها وواحدها وأوحدها فى الكتابة والبلاغة. تأدب بنيسابور واتصل فى شبابه بالأمير أبى على بن محتاج الچغانى من الأمراء من قبل السامانيين، وقد استأثره الأمير لحسن أثره واستخلصه لنفسه وقلده ديوان الرسائل لحسن خبره وسار أثره، وكانت كتبه ترد على الحضرة فتنال غاية الإعجاب وتقع المنافسة فيه. وكان أبو على الچغانى يُكاتَب فى إيثار الحضرة به فيتعلل ويتسال. إلى أن شق أبو على عصا الطاعة على مولاه الأمير الحميد نوح بن نصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى سنة ٣٣٤/٩٤٥ — ٦، واستولى على كثير من بلاد خراسان إلى أن كانت واقعة جرجيل

(١) وانظر ابن خلكان، ج ٣ ص ٥٣٩ — ٥٤٠ من طبعة مصر.

(٢) Bibliothèque Nationale (Paris) Arabe 8126.

(٣) يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٢٩ وما بعدها.

(أو جرجيك) من نواحى بخارى فهزم أبو على وهرب إلى چغانيان . ووقع الإسكافى أسيرا مع جملة من أصحاب أبى على ، فحبس فى قلعة قهندز وقيد ، مع حسن الرأى فيه وشدة الميل إليه . ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ويقف على خبيئة صدره فأمر أن تكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها إن أبا العباس الچغانى (أخا أبى على) قد كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش (چاچ) ليتولى له كتابة الكتب السلطانية فما رأيك فى ذلك ؟ فوقع تحت الرقعة « رَبِّ السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه[1] » . فلما عرض التوقيع على الحميد حسُن موقعه منه فأعجب به وأمر بإطلاقه وخلع عليه وأقعده فى ديوان الرسائل خليفة لأبى عبد الله كله ، وكان الاسم له والعمل لأبى القاسم . ولما توفى أبو عبد الله تولى الإسكافى العمل برأسه وعلا أمره و بعد صيته . وتوفى الأمير نوح وتلاه الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح سنة ٣٤٣/٩٥٤ — ٥ فأقر الإسكافى فى ديوانه وزادت مكانته ولكنه لم يلبث طويلا حتى مرض ومات . وإذا فوفاته كانت بين سنتى ٣٤٣/٩٥٤ — ٥ و ٣٥٠/٩٦١ . وقد رثاه كثيرون منهم الهزيمى الأبيوردى الذى قال فيه :

ألم تر ديوان الرسائل عطلت لفقدانه أقلامــه ودفاتره
كثغر مضى حاميه ليس يسده سواه وكالكسر الذى عز جابره
ليبك عليــه خطه وبيانه فذا مات واشيه وذا مات سامره

يقول الثعالبى :

ومن عجيب أمره أنه كان أكتب الناس فى السلطانيات فإذا تعاطى الإخوانيات كان قاصر السعى قصير الباع . ثم يقول :

وكان من علو الرتبة فى النثر وانحطاطها فى النظم كالجاحظ .

(١٦) أخطاء تاريخية فى الحكاية الأولى :

أولا : ليس من الممكن أن يكون الإسكافى قد أدرك عهد نوح بن منصور وكتب له (٣٦٦/٩٧٦ — ٩٩٧) ، إذ أنه توفى فى أوائل عهد عبدالملك بن نوح ، كما سبق . ومن المستبعد أن يكون ذلك من سهو النساخ لأن لطف هذه الحكاية مبنى على لفظ « نوح »

(١) ١٢ : ٣٣ .

وحسن اتفاقه مع الآية الشريفة : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا[١] » .

ثانيا : من الخطأ أن يقال إن الپ تگين لحق عهد نوح الثانى بن منصور ، فإن الأول توفى ، حسب ما يقال ، سنة ٩٦٢/٣٥١ — ٣ أو ٣٥٢ أو ٣٥٤ . وولى الثانى العرش سنة ٩٧٦/٣٦٦ — ٧ . ولعل المصنف قد خلط بين نوح الثانى وأبيه منصور الأول بن نوح (٩٦١/٣٥٠ — ٩٧٦/٣٦٦) وهو الذى حار به الپ تگين بالفعل واستولى منه على غزنة لا هراة كما جاء فى النص ؛ أو لعله قد خلط بين الپ تگين وأبى على سيمجور الذى ثار على نوح الثانى بن منصور . ويرجح القزوينى هذا الرأى الأخير .

ثالثا : يقول المصنف « وقد كتب الأمير نوح من بخارا إلى زاولستان لسبكتگين حتى يحضر بالجيش . . » . والواقع أن الأمير « نوح » كتب إلى سبكتگين ولكن متى ومن أجل محاربة من ؟ كان ذلك سنة ٩٩٣/٣٨٣ — ٤ ، أى بعد وفاة الپ تگين بأكثر من ثلاثين سنة ، وكتب من أجل مقاتلة أبى على سيمجور الذى كان منذ مدة طويلة ثائرا على الأمير نوح وملأ أنحاء الدولة بالفتنة والاضطراب . فلما عجز الأمير نوح عن إخماد فتنه بنفسه توسل بسبكتگين وولده محمود فجاءا من غزنة إلى خراسان وأخمدا الفتنة وهزما السيمجوريين .

رابعا : يغلب على الظن أن المصنف حين يقول « أبو الحسن على بن محتاج الكشانى » يقصد الأمير أبا على [أحمد] بن محتاج الصغانى من أمراء السامانيين المشهورين وقد كان والياً على خراسان وقائداً لجند آل سامان . ومع غض النظر عن الأخطاء التى جاءت عن اسم وكنية وبلد ومنصب[٢] هذا الرجل فإنا نقول إن الأمير أبا على توفى سنة ٩٥٥/٣٤٤ — ٦ (ابن الأثير ج ٨ ، ص ٣٨٤) أى قبل جلوس الأمير نوح باثنتين وعشرين سنة (٩٧٦/٣٦٦ — ٧) ، قبل أن يأتى سبكتگين بجيشه إلى خراسان بتسع وثلاثين سنة

(١) سورة ١١ ، آية ٣٢ .

(٢) لأن اسمه أحمد لا « على » ، وكنيته أبو على لا « أبو الحسن » وهو الچغانى (الصغانى) لا الكشانى . وكان والياً على خراسان من قبل نصر بن أحمد ونوح بن نصر بن أحمد وليس حاجب الباب نوح بن منصور . والكشانى نسبة إلى كشانية وهى مدينة من صغد سمرقند ، والچغانى نسبة إلى چغانيان (صغانيان) وهى ولاية عظيمة فى بلاد ما وراء النهر وعاصمتها تحمل نفس الاسم .

(٩٩٣/٣٨٣ — ٤) . وإذاً فرسالة أبى على بن محتاج إلى اليتكين باسم الأمير نوح من المستحيلات .

(١٧) ينسب أبو ريحان البيرونى (الآثار الباقية ص ٣٣٢) قصة كتابة هذه الآية إلى خلف بن أحمد أمير سيستان فيقول بعد ذكر جواب من هذا النوع : وما أوجز هذا الجواب وأسكته وأشبهه بجواب ولى الدولة أبى أحمد خلف بن أحمد صاحب سجستان حين كتب إلى نوح بن منصور صاحب خراسان بالوعيد وصنوف التهديد فأجابه « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » .

(١٨) سهو تاريخى فى الحكاية الثانية .

وقع المصنف فى هذه المقالة فى السهو مرتين :

أولا : يقول إن واقعة عصيان ما كان بن كاكى كانت فى عهد نوح بن منصور .

والواقع أنها حدثت فى عهد نصر بن أحمد بن اسماعيل (٩١٣/٣٠١ — ٩٤٢/٣٣١) ثالث أمراء آل سامان وجد والد نوح بن منصور هذا ؛ ففى عهده طغى ما كان وتسلط على جرجان ، ثم قتل سنة ٣٢٩/ ٩٤٠ — ١ أى قبل ارتقاء نوح بن منصور العرش بتسع وثلاثين سنة .

ثانيا : يقول المصنف إن القائد الذى حارب ما كان بن كاكى وقتله هو تاش ، والواقع أن المؤرخين متفقون على أن الذى قاد هذه الحرب هو الأمير أبو على أحمد بن محتاج الصغانى وهو الذى قتل ما كان بن كاكى .

(١٩) تطلق كلمة ملطفة (بصيغة اسم المفعول) على كتاب صغير يحوى خلاصة المطلوب فى إيجاز .

(٢٠) خلط المصنف فى هذه الحكاية بين الأخوين ، فإن « ذو الرياستين » لقب الفضل بن سهل (الذى تقلد رياسة السيف والقلم) لا الحسن بن سهل . وقد تزوج المأمون بوران بنت الحسن لا بنت الفضل .

وقد ذكر براون Browne (ص ١٠٧) أن القزوينى قد بعث إليه بنص أقصر

لهذه الرواية منقول عن « كتاب الـكناية والتعريض[1] » للثعالبي الذى تقدم المصنف بما يقرب من قرن ونصف ، وهذه هى :

« ويروى أن بوران بنت الحسن بن سهل لمـا زُفَّت إلى المأمون حاضت من هيبة الخلافة فى غير وقت الحيض فلما أخلا بها المأمون ومد يده إلى تكتها قرأت « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » . ففطن لها وتعجب من حسن كنايتها وازداد إعجابا بها .

(٢٢) ذكر الألبسة الواردة فى الحكاية السابعة .

ذكر ميرزا حبيب الإصفهانى فى كشافٍ له فى آخر « ديوان البسهٔ » مولانا نظام قارى الذى نشره فى استنبول سـنة ١٣٠٣/١٨٨٥ — ٦ الأطلس والنسيج والإكسون . فقال عن الأطلس إنه من نوع من الثياب يسميه الفرنج Satin وهو على أنواع (ص ١٩٥) وقد ذكر المصنف من أنواعه المعدنى والملـكى . وقال عن النسيج إنه نوع من الحرير الموشى بالذهب (ص ٢٠٥) . وقال عن الإكسون إنه نوع من الحرير الأسود يلبسه العظماء من أجل التفاخر (ص ١٩٦) .

أما الطميم فقد ذهب القزوينى إلى أن لفظه مشكل ، فإن ضبطه غير معلوم ، وكذلك نجهل من أى لغة هو ولو أن هيئته تدل على أنه عربى .

وذكر القاموس أنه « يقال طمّ الشىء كثر حتى علا وغلب ، وطمّ شـعرُه واستطم حان له أن يجز ، وطمّ الإناء ملأه » ، وقد يستفاد من هـذا المعنى أن كلمة طميم إذا أطلقت على الثوب تفيد طوله فالطميم من الثياب طويلها .

وقد يؤيد هذا ذكر الطميم والقطوع من الثياب معاً والمقطعات من الثياب القصار[2] . هذا والطميم فى اللغـة العجَبُ والعجيب والفرس الجواد فهى وصف للعظمة والأبهة الباعثة على العجب . ومن هذا نرى أن الثوب الطميم قد يكون الطويل البديع الباعث على العجب .

(١) Berlin, Arabic MS. No 7337, Petermann II, 59, f. 146a.

(٢) انظر القاموس فى مادة طمّ ومادة قطع . ويذهب ابن سيده فى المخصص إلى أن القطوع ضرب من الوشى فى الثياب . كما ذهب القاموس إلى أن المقطعات من الثياب القصار أو برود عليها وشى .

وذهب القزوينى إلى أن المقراضى من الثياب الثمين الفاخر ولو أن جنسه غير معلوم . واستشهد بما جاء فى كتاب « محاسن إصفهان » (ورقة ٣٨ ب) :

« فقال فى وصاياه لتتخذ أكفانى من ثوب مقراضى رومى وعمامة قصب مذهبة وثوب دبيقى مصرى فقيل له مه فإنه لا يصلح للأكفان غير الثياب البيض القطنية ، فقال العياذ بالله عاشرت خلقه ستين سنة وكنت أحضرهم فى الديباج والحرير والقصب وأنا الآن موافٍ خالقى ورازقى أأدثر فى أكفان من هذا الضرب الردى » .

والمزّج بصيغة اسم المفعول ثوب ينسج من الذهب وشىء آخر . يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٥١٢/١١١٨ : « وفى هذه السنة أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختص به كل جور وأمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت به العادة القديمة ، وأطلق ضمان غزل الذهب ، وكان صناع السقلاطون والمزج وغيرهم ممن يعمل فيه (أى من الذهب) يلقون شدة من العمال عليهم وأذى عظيما .

(٢٣) خلط المصنف فى هذه القصة بين السلطانين مسعود وسنجر . فقد اتفق المؤرخون على أن المسترشد بالله قد جرد جيشه من بغداد لقتال السلطان مسعود بن محمد ابن ملكشاه لا لقتال سنجر ، وأنه بعد أن التقى الجمعان عند كرمانشاهان انحاز معظم جند الخليفة إلى جيش السلطان مسعود ، وأُسر الخليفة وحمله السلطان معه حتى إذا كان بباب المراغة دخل جماعة من الباطنية إلى خيمة المسترشد بالله وقتلوه وصحبه ، وكان هذا سنة ٥٢٩/١١٣٤—٥ .

(٢٤) كورخان والقراخطائيين : حدثت واقعة قتال كورخان الخطائى مع السلطان سنجر بن ملكشاه عند باب سمرقند سنة ٥٣٦/١١٤١ — ٢ وهى المعروفة بحرب قَطَوان (موضع من محال سمرقند) . وقد قتل فيها ما يقرب من مائة ألف من عساكر المسلمين ، منهم إثنا عشر ألفاً من أصحاب العمائم ، وأسرت فيها زوج السلطان سنجر .

وقد استقرت دولة الترك الكفار المعروفين باسم « قرا خطا » فى بلاد ما وراء النهر بعد هذه الواقعة . وأصبحت جميع البلاد خاضعة لهم فحكموها حوالى تسع وثمانين سنة[1] ،

(١) راجع طبقات ناصرى ، و جهانكشاى جوينى ، و جهان آراى قاضى أحمد غفارى .

وذلك إلى أن أجلاهم السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه بمساعدة كوچلك خان التتار سنة ٦٠٧/١٢١٠ — ١١ .

وتعرف هذه السلالة باسم « الملوك الگورخانية » أو « ملوك قراخطا » ، وقد اشتهر ملكهم بغايت العدل وطيب السيرة . ولم يقضوا بعد استيلائهم على بلاد ما وراء النهر على أسرة ملوك الترك المسلمين المعروفة بالأفراسيابية أو الخانية أو الإيلك خانية وهى الأسرة التى حكمت هذه البلاد أكثر من مائتى سنة بعد السامانيين وقبل المغول ، ولكنهم أبقوهم على عروشهم وا كتفوا بأخذ الخراج منهم ونصب شحنة من قِبَلهم فى بلاطهم . ثم إن أغلب السلاطين الخوارزمشاهية كانوا يدفعون الجزية حتى تغلبوا عليهم .

وقد كان ملوك قراخطا سدا سديدا بين بلاد المسلمين وغيرهم من الكفار الآخرين كالمغول وغيرهم . فحين هزمهم علاء الدين محمد خوارزمشاه لم يقض عليهم فحسب إنما طوح بما بين الكفار والمسلمين من سد منيع ، وأصبح هو نفسه عاجزا عن حماية هذه البلاد ، فلما أغار التتار لم يحل دونهم حائل فساروا حتى أقصى بلاد المسلمين وفعلوا ما ذكره التاريخ . أما مملكة محمد خوارزمشاه التى قلما يشير المؤرخون إلى مثلها عظمة وسعة فإنها خربت وأصبحت مأوى للبوم والغربان فى زمن قصير ولقى خوارزمشاه حتفه من غير كفن يستره .

أما لفظ گورخان الذى يذكر فى كتب التاريخ بالكاف العربية وكوخان أو أوزخان أو أورخان أيضاً فيقول غالب المؤرخين إنه يطلق على ملوك القراخطا وليس اسما لأحدهم[(١)] . واسم گورخان الذى حارب السلطان سنجر ، إذا اعتمدنا رواية جهان آرا ، قُوشْقِين طايَقُو ، والله أعلم .

(٢٥ — ٢٦) أَلْتكين . ضبط هذه الكلمة غير مؤكد . والمحقق أن گورخان قد عهد بحكومة بخارى إلى رجل اسمه شبيه بهذه الكلمة سنة ٥٣٦/١١٤١ بعد انتصاره فى

(١) يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٣٦ : « وكوبلسان الصين لقب لأعظم ملوكهم وخان لقب لملوك الترك فمعناه أعظم الملوك .

وجاء فى جهان آرا (Or 141, f. 134 b) إن گورخان يعنى خان خانان أى أعظم الملوك .

ويقول برون Browne إن الدكتور بينجر Babinger قد لفت نظره إلى ملحوظة لسلفستر دى‌ساسى S. de Sacy فى "Mémoires de l'Academie" سنة ١٨٢٢ ص ٤٧٦ على تفسير ابن عربشاه لكلمة گورخان (برون ص ١٠٩) .

قطوان . وقد ذكر هذا فى « مختصر تاريخ بخارى » لمحمد بن زفر بن عمر ، وهو مؤلف سنة ٥٧٤/١١٧٨ أى بعد واقعة قطوان بثمان وثلاثين سنة ؛ ولكن نسختى هذا الكتاب قد ذكرتا الاسم بصورتين مختلفتين . فنسخة المتحف البريطانى (Add. 2777, f. 28 a) ذكرت إيمتتكين ونسخة المكتبة الأهلية بباريس ذكرت اليتكين (Suppl. Pess. 1513, f. 23 b.).

وواضح ، كما يقول برون Browne (ص ١٠٩) أنه اسم تركى فنهايته تكين كنهاية الب تكين وسبكتكين ، وهى نهاية معروفة ولكن المقطع الأول من الاسم مجهول .

وآتسز . كلمة تركية معناها من لا اسم له (آت = اسم ، سيز = أداة التجريد) وقد جرت العادة عند الترك أن من يموت بنوه صغارا يسمى واحدا منهم آتسز حتى يعيش ولا يهلك[1] .

(٢٧) آل برهان : يسمون بنو مازة وهم من الأسر الكبيرة فى بخارى ، وقد اشتهروا فى الآفاق بالبذل والجود والكرم والرياسة والمجد والعظمة . وكانت فيهم ، أبا عن جد ، رياسة جماعة الحنفية التى هى مذهب أهل ما وراء النهر عامة . وكانوا يعدون ملوك بخارى فى أواخر عهد القراخطائيين الذى كانوا يتقاضونهم الخراج . وقد أشار إليهم زكريا بن محمد القزوينى فى كتابه « آثار البلاد »[2] عند كلامه عن بخارى فقال :

« ولم تزل بخارى مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء ومنشأ علوم النظر وكانت الرياسة فى بيت مبارك يقال لرئيسه خواجه إمام أجل ، وإلى الآن (أى سنة ٦٧٤/١٢٧٥ تاريخ تأليف الكتاب) نسلهم باق . ونسبهم ينتهى إلى عمر بن عبد العزيز بن مروان . وتوارثوا تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر يرتبون وظيفة أربعة آلاف فقيه » .

وقد تحدث القزوينى (صاحب الحواشى) عن بعض أفراد هذه الأسرة التى كثيرا ما يرد ذكرها فى كتب التاريخ :

١ — الإمام برهان الدين عبد العزيز بن مازة البخارى الحنفى ، والظاهر أنه أول أفراد هذه الأسرة التى اشتهرت به وإليه تنسب .

---

(١) انظر ابن خلكان ، طبعة القاهرة ، ج ٢ ص ٦٥ تحت « اطسيس » .

(٢) ص ٣٤٣ .

٢ — ابنه الإمام الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازة . ولد فى صفر سنة ٤٨٣/أبريل ١٠٩٠ وقُتل سنة ١١٤١/٥٣٦ — ٢ . وهو من مشاهير علماء المشرق ومن فقهاء ما وراء النهر . وقد قتله گورخان بعد واقعة قطوان[١] .

٣ — أخو المذكور تاج الإسلام أحمد بن عبد العزيز بن مازة . و يقول المصنف إنه ، بعد قتل أخيه حسام الدين ، عين ناظرا على أتمتكين الذى كان حاكما على بخارى من قبل گورخان ، وذلك حتى لا يصدر أتمتكين عن أمر إلا بعد مشورة تاج الإسلام .

٤ — ولد المذكور الإمام شمس الدين صدر جهان محمد بن عمر بن عبد العزيز بن مازة الذى كان رئيسا لبخارى وهو الذى عاق غارة الترك القَرْلُق بلطائف الحيل حتى جاء چغرى خان بن حسن تگين وإلى سمرقند و بخارى من قبل خطا ودفعهم[٢] .

٥ — وولد آخر له هو صدر الصدور صدرجهان برهان الدين عبد العزيز بن عمر بن العزيز بن مازة ، وهو من أعاظم رؤساء آل برهان ومشاهيرهم . وقد قدم له ، سنة ٥٧٤/ ١١٧٨ محمد بن زفر بن عمر مختصره الفارسى للنص العربى لكتاب تاريخ بخارى الذى كتبه أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى سنة ٩٤٣/٣٣٢ لنوح بن نصر السامانى[٣] . وقد أورد نور الدين محمد عوفى فى كتابه « جوامع الحكايات ولوامع الروايات[٤] » حكايات عن بذله وكرمه وعظمته ذكر القزوينى اثنتين منها .

٦ — الإمام برهان الدين محمود بن تاج الإسلام أحمد بن عبد العزيز بن مازة صاحب كتاب « ذخيرة الفتاوى » المشهور بالذخيرة البرهانية . جمع فيه فتاويه مع فتاوى الصدر الشهيد حسام الدين[٥] .

---

(١) تاريخ السلجوقية لعماد الدين الكاتب ص ٢٧٨ ؛ ابن الأثير ج ١١ ص ٥٧ ؛ وسائر المؤرخين فى حياة سنجر .

(٢) ابن الأثير ج ١١ ص ٢٠٥ .

(٣) وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية مختصراً أبو نصر أحمد بن نصر القباوى سنة ١١٢٨/٥٢٢ وقد أعاد اختصاره وأصلحه محمد بن زفر بن عمر سنة ١١٧٨/٥٧٤ . ومن هذا المختصر الأخير نسخ متعددة فى المتحف البريطانى بلندن والمكتبة الأهلية بباريس . وقد نشره شيفر Schefer فى باريس سنة ١٨٩٢ . وكذلك ترجم إلى الروسية سنة ١٨٩٧ . ونشرت الترجمة فى طاشكند .

(٤) طبع جزء من هذا الكتاب حديثاً فى طهران باهتمام الأستاذ محمد تقى بهار .

(٥) حاجى خليفة جزء ٣ ص ٣٢٨ وقد ذكر خطأ عبد العزيز بن عمر بن مازة .

٧ — ١٠ : الإمام برهان الدين محمد المعروف بصدر جهان بن أحمد بن عبد العزيز ابن مازة وأخوه افتخار جهان . وولداه ملك الإسلام وعزيز الإسلام .

وصدرجهان هذا من أعاظم ملوك عصره وقد حكم بخارى وكان يدفع الخراج للخطائيين .

و يقول عنه محمد بن أحمد النسوى فى سيرة جلال الدين المنكبرنى :

« برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخارى المعروف بصدرجهان رئيس الحنفية ببخارى » وخطيبها و إذا سمع السامع بأنه خطيب بخارى يعتقد أنه كان مثل سائر الخطباء فى ارتفاع قدر الارتفاع واتساع الأملاك والضياع وامتطاء صهوة المجد والتحكم فى أزمة المد وليس الأمر كذلك بل المذكور لا يقاس إلا برتوت السادات وقروم الملوك إذ كان فى جملة من يعيش تحت كنفه و إدارة سلفه ما يقارب ستة آلاف فقيه وكان كريما عالى الهمة ذا مروءة يرى الدنيا هباءة منثورة بين أخواتها الثائرة بل نقطة موهومة من نقط الدائرة وكانت سدته ميقاتا للفضل وأهليه ورسوما للعلم ومنتحليه يجلب إليها بضاعات الأفاضل فيبتاع بأكمل الأثمان[1] . وصدرجهان هذا هو الذى حج سنة ١٢٠٦/٦٠٣ . فلم تحمد سيرته فى الطريق ولم يصنع معروفا . وكان قد أكرم ببغداد عند قدومه من بخارى فلما عاد لم يلتفت إليه لسوء سيرته مع الحاج فسموه صدرجهنم[2] . وحين قصد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه العراق (١٢١٧/٦١٤) لقتال الخليفة الناصر لدين الله (١١٧٩/٥٧٥ — ١٢٥٥/٦٢٢) رأى من الحزم أن ينقل صدرجهان وأخاه وولديه من بخارى إلى خوارزم مخافة أن يبعثوا الفتنة فى غيبته فظلوا بخوارزم حتى عزمت تركان خاتون أم خوارزمشاه على الفرار خوفا من جيش المغول فقتلتهم جميعاً[3] .

١١ — صدرجهان سيف الدين محمد بن عبد العزيز بن مازة الذى ذكر كثيرا فى لباب الألباب إذ كان يعيش أثناء تأليفة (١٢٢١/٦١٨) .

١٢ — برهان الإسلام تاج الدين عمر بن مسعود بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة ،

---

(١) نشر Houdas باريس ١٨٩١ ، ص ٢٣ — ٢٤ .
(٢) ابن الأثير ج ١٢ ، ص ١٧٠ — ١٧١ .
(٣) سيرة جلال الدين منكبرنى ص ٣٩ .

وهو من أساتذة عوفى الذى ترجم له فى كتاب لباب الألباب (ج ١ ص ١٦٩ — ١٧٤).

١٣ — ولده نظام الدين محمد بن عمر . وقد ترجم له عوفى أيضاً (ج ١ ص ١٧٦) وقد خدمه بضعة أيام فى آموى حين ذهب من خراسان إلى بخارى حوالى سنة ٦٠٠/١٢٠٣ — ٤[1] .

١٤ — الإمام برهان الدين (بدون سوق نسب) ، تحدث عنه علاء الدين عطا مالك جوينى فى « تاريخ جهانگشاى[2] » بمناسبة الحديث عن فتنة تارابى سنة ٦٣٦/١٢٣٨ — ٩ .

وقد تحدث زكريا بن محمد القزوينى فى كتابه « آثار البلاد » بما يفيد بقاء هذه الأسرة حتى أواخر القرن السابع الهجرى (أى حتى ٦٧٤/١٢٧٥ سنة تأليف الكتاب)

وآخر إشارة تاريخية لفرد من هذه الأسرة ذكرت فى « تاريخ جهان آرا » للقاضى أحمد غفارى حين يتحدث عن مناظرة دينية بين الأستاذ عبد الملك الشافعى وصدر جهان بخارى الحنفى وكيف قبح كل واحد منهما مذهب صاحبه ، مما بعث السلطان الجايتو خدابنده (٧٠٣/١٣٠٤ — ٧١٦/١٣١٦) على اعتناق مذهب الشيعة الإمامية .

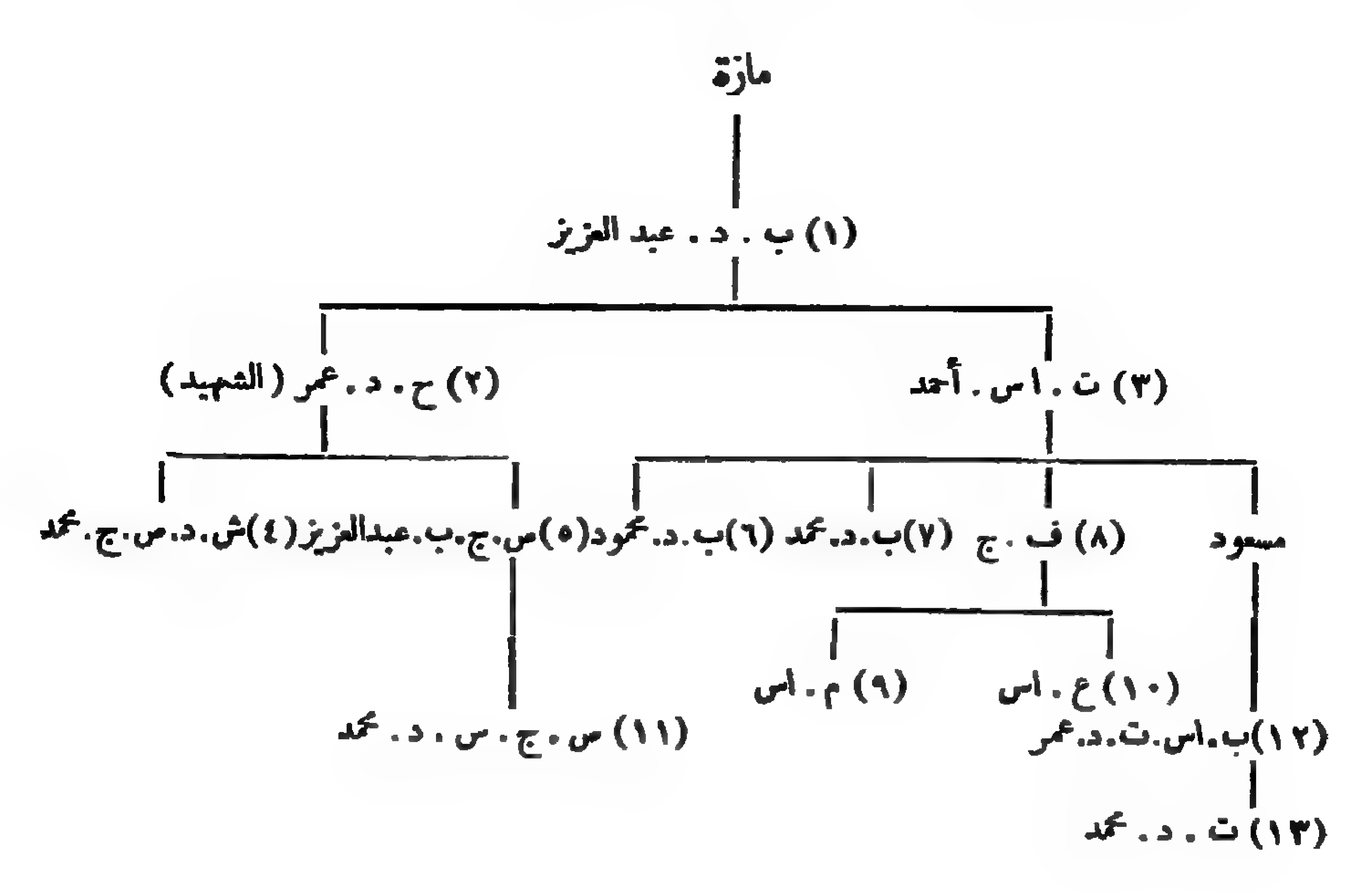
وقد استنتج القزوينى من اسم صدر جهان وبخارى والمذهب الحنفى أن المقصود أحد آل برهان وأن هذه الأسرة ظلت فى بخارى وفى رياسة المذهب الحنفى بها حتى عهد السلطان الجايتو .

هذا وقد أورد برون Browne (ص ١١٢) جدولا بنسب هذه الأسرة فآثرنا نقله :

---

(١) انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩ — ٧٠ ؛ لوسترانج G. Le Strange : Lands of Eastern Caliphate ص ٤٣٤ ويسميها العرب آمل أيضاً مثل مدينة مازندران المشهورة .

(٢) نشر القزوينى (صاحب الحواشى) فى مجموعة جب التذكارية G.M.S. ، ج ١ ص ٨٨ .



اس = إسلام	س = سيف
اف = افتخار	ش = شمس
ب = برهان	ص = صدر
ت = تاج	ع = عزيز
ج = جهان	م = ملك
ح = حسام	ن = نظام
د = دين	

(٢٨) بَرْسَخان مدينة فى أقصى تركستان الشرقية على حدود خُتَن ، وهى غير بَرسُخان التى يقول ياقوت إنها قرية على فرسخين من بخارى[١] .

(٢٩) خلط المصنف هنا بين إيلك خان وبُغراخان فالأول هو الذى عاصر السلطان محمود . وبغراخان هو أول من ذكر اسمه فى كتب التاريخ من ملوك ما وراء النهر المعروفين بالخانية الأفراسيابية .

وابتداء هذه الأسرة ونسبها وتاريخ دخولها فى الإسلام كل هذا غير معروف على وجه التحقيق . واسم بغراخان هو هارون بن سليمان فيما يقول ابن الأثير . أما ابن خلدون فذهب إلى أن اسمه هارون بن فرخان (قراخان ؟) ، و بغراخان لقب تركى أما لقبه الإسلامى الذى

(١) ص ٤٨٩ . Le Strange : The Lands of Eastern Caliphate,

خلعته عليه دار الخلافة فيما يبدو فهو شهاب الدولة . وكان له كاشغر و بلاساغون وسائر بلاد تركستان الشرقية وكانت عاصمة ملكه بلاساغون . وقد حارب السامانيين كثيراً وأخيراً استولى على بخارى فلما نزل بها استوخمها فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك وتوفى فى الطريق سنة ٩٩٣/٣٨٣ (ابن الأثير حوادث هذه السنة) ، أى قبل ولاية محمود الغزنوى بخمس أو ست سنوات .

وقد خلفه ابن أخيه إيلك خان ، أو ابن أخته أو أخوه كما يقول هورث .
و إيلك خان هذا هو الذى كان معاصراً للسلطان محمود ، واسمه ناصر الحق نصر بن على بن موسى بن سَتُق . و إيلك خان لقب تركى أما لقبه الإسلامى فهو شمس الدولة . وقد حكم ما وراء النهر عشرين سنة (٩٩٣/٣٨٣ — ١٠١٣/٤٠٣) . وله نقود ضربت بين سنتى ٣٩٠ و ٤٠٠ فى بخارى وخجند وفرغانة وأوزكند وصغانيان وسمرقند ولوش وأيلق أى فى المدن الرئيسية فيما وراء النهر وتركستان . وهو الذى قضى على سلطنة السامانيين فى هذه البلاد وقاتل السلطان محمود للخلاف على تقسيم مملكة آل سامان ، فاتفقا آخر الأمر على جعل ما وراء النهر له وجعل خراسان وغزنة لمحمود . واتفق المؤرخون على نه مات سنة ١٠١٣/٤٠٣[1] .

(٣٠) محمد عبده . انظر ص ١٠١ من هذا الكتاب .

(١) يرى هورث Howorth احتمال وجوده على قيد الحياة حتى سنة ١٠١٧/٤٠٧ وأيد رأيه بعدة دلائل .

حواشى المقالة الثانية

(١) أحمد بن عبـد الله الخجستانى : خجستان ناحية من جبال هراة من أعمال بادغيس (ياقوت وابن الأثير) . وكان أحمد بن عبـد الله أميراً للطاهريين . فحين قضت الدولة الصفارية على الدولة الطاهرية انضم إلى الصفاريين و بلغ عنـدهم مقاما عالياً لحسن تدبيره وكفاءته ، ثم استولى على أغلب بلاد خراسان ، وحارب عمرو بن الليث الصفارى فى نيسابور وهزمه ، ثم قصد العراق . وقد صك الدراهم والدنانير باسمه . وقتـل بيد غلمانه سنة ٢٦٨/٨٨٢[١] . وكانت مدة غلبته ثمانى سنوات (٢٦٠/٨٧٤ — ٢٦٨/٨٨٢) .

(٢) جاء فى « تاريخ گزيده[٢] »أن الذى سمع هذين البيتين فجال بخاطره أن يكون أميراً هو سامان جد الملوك من هذه الأسرة . وهى رواية لا أصل لها . فقد كان سامان قبل المأمون المتوفى سنة ٢١٨/٨٣٣ . ومن المستبعد أن يكون الشعر الفارسى فى ذلك العصر قد بلغ هذا الحد من جودة الأسلوب والسبك . وكان حنظلة البادغيسى من شعراء آل طاهر ، وأول هؤلاء ، طاهر ذو اليمينين ، كان معاصراً لأسد بن سامان . و بعبارة أخرى فإن سامان سابق على الطاهريين وكان حنظلة معاصراً لهم . فافتراض سماع سامان لأشعار حنظلة إن لم يكن غير ممكن فإنه مستبعد كثيراً .

(٣) كَرُوخ مدينة على بعد عشرة فراسخ من هراة . . وحـدها مقدار عشرين فرسخا كلها مشتبكة البساتين والمساجد والقرى والعمارة[٣] .

(٤) خَوَاف قصبة كبيرة من أعمـال نيسابور بخراسان يتصل أحد جانبيها ببوشنج من أعمال هراة والآخر بزوزن يشتمل على مائتى قرية وفيها ثلاث مدن سنجان وسـيراوند وخسروجرد[٤] .

---

(١) ابن الأثير ج ٧ س ٢٠٤ — ٢٧٤ وغيره من كتب التاريخ .

(٢) ص ٢١ — ٢٢ من طبعة باريس ١٩٠٣ ، نشر u les Gantin .

(٣) معجم البلدان ، ج ٧ ص ٢٤٧ . طبعة مصر .

(٤) « « ، ج ٣ ص ٤٧٨ .

(٥) بُشْت بلد بضواحى نيسابور ، قيل سميت كذلك لأنها كالظهر لنيسابور ، والظهر باللغة الفارسية يقال له پشت . تشتمل على مائتين وست وعشرين قرية منها كندر التى منها الوزير أبو نصر الكندرى[١] .

(٦) بيهق أصلها بالفارسية بيهه يعنى الأحسن والأفضل والأجود . ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور تشتمل على ثلاثمائة و إحدى وعشرين قرية . . وكانت قصبتها أولا خسروجرد ثم صارت سابزاور[٢] .

(٧) الشعراء والكتاب فى الحكاية الأولى

السّلامى ، هو أبو على السلامى البيهقى النيسابورى المتوفى سنة ٣٠٠/٩١٢ — ١٣ . يقول عنه الثعالبى[٣] إنه كاتب مؤلف موفق التجويد منخرط فى سلك أبى بكر بن محتاج وابنه أبى على . وله كتاب «التاريخ فى أخبار ولاة خراسان » وكتاب « نتف الظرف » وكتاب « المصباح » وغيرها .

وقد نقل ابن خلكان كثيراً عن الكتاب الأول وخاصة فى ترجمته ليعقوب بن ليث الصفار .

ويقول عنه أبو الحسن على بن زيد بن محمد الأوسى الأنصارى المعروف بابن فندق فى كتاب « تاريخ بيهق[٤] » إن له « كتاب الثأر » و إن من تصانيفه « تاريخ ولاة خراسان » و إن أبا بكر الخوارزمى كان تلميذه .

الكركانى ، ذكره نور الدين محمد عوفى[٥] باسم أبو شريف أحمد بن على المجلّدى الكركانى ، ونسب إليه البيتين نفسيهما .

---

(١) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) « « ، ج ٢ ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .

(٣) يتيمة الدهر ، ج ٤ ص ٢٩ طبعة دمشق .

(٤) باللغة الفارسية ومنه نسخة نفيسة فى المتحف البريطانى بلندن (Or. 3587) وهو مؤلف سنة ٥٦٣/١١٦٧ — ٨ . وقد طبع حديثا فى طهران بعناية الأستاذ أحمد بهمنيار .

(٥) لباب الألباب ج ١ ص ١٣ — ١٤ .

الرُودَكي (أو الرُودَگي) ، أبوعبد الله جعفر بن محمد الرودَكي وقد نقل القزويني عبارة السمعاني في كتابة الأنساب لاختلاف الكتاب في نسب الشاعر وسنة وفاته (١) .

الروذكي نسبة إلى رذوك وهي ناحية بسمرقند وبها قرية يقال لها للح (كذا) وهذه القرية قطب روذك وهي على فرسخين من سمرقند والمشهور منها الشاعر المليح القول بالفارسية السائر ديوانه في بلاد العجم أبو عبد الله بن جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الروذكي الشاعر السمرقندي كان حسن الشعر متين القول قيل إنه أول من قال الشعر الجيد بالفارسية . وقال أبو سعد الإدريسي الحافظ أبو عبد الله الروذكي كان مقدما في الشعر بالفارسية في زمانه على أقرانه ... وكان أبو الفضل البلعمي وزير أسمعيل بن أحمد والي خراسان يقول ليس للروذكي في العرب والعجم نظير ومات بروذك سنة ٣٢٩ / ٩٤٠ — ١»

أبوالعباس الرِبَنْجَني ، اسمه الكامل فضل بن عباس وقد وردت ترجمته في لباب الألباب (٢) . أما كلمة رِبَنْجَني فقد صححها العلامة دي جويه De Geoje على هذا النحو . وهي نسبة إلى رِبَنْجَن مدينة في سُغد سمرقند جنوب نهر خانه سُغد (٣) . وقد ذكرها ياقوت مصحفة رَبِيخَن . وذكرها السمعاني (٤) أرْبِنْجَي ورَبِنجي ، وقد لفت القزويني نظر برون Browne إلى أن الرِبَنْجَني ذُكر في كتاب « ثمار القلوب » للثعالبي (٥) حيث جاءت بعض أبيات (حرفت في الطبع) من قصيدة له أنشدها في الاحتفال بالسنة الحادية والثلاثين ، والأخيرة ، من حكم مولاه نصر الثاني بن أحمد الساماني (٣٠١ / ٩١٣ — ٣٣١ / ٩٤٢ — ٣) .

---

(١) أنساب السمعاني : 262 a . G.M.S. (vol. xx), .

وقد كتب عن رودكي بالفارسية سعيد نفيسي « أحوال وأشعار رودكي » ، كما كتب عنه ، إتي Ethé في Göttingen Nachrichten ، سنة ١٨٧٣ ، ص ٦٦٣ — ٧٤٢ . وانظر برون Browne في "Hand-list of Muhammedan Manuscripts" ، كمبردج ١٩٠٠ ، رقم ٧٠١ ، ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٢) ج ٢ ص ٩ .

(٣) لب الألباب في الأنساب للسيوطي ولوسترانج في كتابه الذي ذكرناه ص ٤٦٨ .

(٤) الأنساب ورقات ٢٣ ب و ٤٨ ب .

(٥) طبعة القاهرة ، ص ١٤٧ .

أبو المَثَل البخارى ، ذكره عوفى[١] ، كما جاء ذكره فى لغات أسدى[٢] .

الجو بيارى ، هو أبو اسحق ابراهيم بن محمد البخارى الجو بيارى[٣] . وجو بيار اسم لعدة مواضع ولكن يظهر من نسبة أبى اسحق (البخارى الجو بيارى) أن جو بيار هنا اسم موضع من نواحى بخارى .

الآغجى ، هو الأمير أبو الحسن على بن إلياس الآغاجى البخارى من أمراء البلاط السامانى . وقد مدحه الدقيقى الذى كان معاصراً لنوح بن منصور ثامن ملوك آل سامان (٣٦٦/٩٧٦ — ٣٨٧/٩٩٧)[٤] . وقد قال عنه الثعالبى فى تتمة اليتيمة[٥] :

---

(١) لباب الألباب ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) نشر Horm ص ٢٨ . وقد ذكر القزوينى أشعاراً لمنوچهرى ليثبت قراءة اسم الشاعر — أبو المثل — على النحو الذى كتبه عليه ، فقد جاء فيها اسم الشاعر مع شعراء آخرين . وأهم من أشارت إليهم أبيات منوچهرى شهيد البلخى . والمراد به أبو الحسن شهيد بن الحسين البلخى الذى كان من كبار حكماء عصره ، وقد غلبت فلسفته على شعره ولكنه اشتهر بين المتكلمين بالفارسية بالشعر وحده ، فأدى ذلك إلى حجب شهرته فى الفلسفة التى امتاز بها فى حياته ، مثله فى ذلك كمثل عمر الخيام . وقد ترجم له عوفى فى لباب الألباب (ج ٢ ص ٣ — ٥) وذكر بعض أشعاره وقد قال إنه كان معاصراً لنصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى (٣٠١ — ٣٣١) . وذكره النديم فى الفهرست (ص ٢٩٩) فقال : وكان فى زمان الرازى (محمد بن زكريا الطبيب الفيلسوف المتوفى سنة ٣١١/٩٢٣ رجل يعرف بشهيد بن الحسين البلخى ويكنى أبا الحسن يجرى مجرى فلسفته فى العلم ، ولهذا الرجل كتب مصنفة وبينه وبين الرازى مناظرات ، ولكل منهما تفوق على صاحبه » . وبعد ذلك يذكر مصنفات الرازى « كتاب نقضه على شهيد البلخى فيما ناقضه من اللذة ، كتاب على شهيد فى تثبيت المعاد » .

ويقول ياقوت فى معجم البلدان ، فى ذيل جهوذانك « جهوذانك من قرى بلخ منها كان أبو شهيد ابن الحسين الورّاق المتكلم ولد هو ببلخ لأن أباه انتقل إلى بلخ وكان أبو شهيد أديباً شاعراً متكلما له فضل وكان فى عصر أبى زياد الكعبى وقد ذكرته فى الأدباء » . وقريب من اليقين ، كما يقول القزوينى ، أن المقصود بهذا هو شهيد بن الحسين البلخى . وأما كلمة « أبو » فهى إما زائدة وإما أن أصل العبارة أبو [الحسن] شهيد بن الحسين .

ويقول الثعالبى فى يتيمة الدهر ، فى ترجمة محمد بن موسى الحدادى (ج ٤ ص ٢١ طبعة دمشق) : « كان يقال أخرجت بلخ أربعة من الأفراد أبا القاسم الكعبى فى علم الكلام وأبا زيد البلخى فى البلاغة وشهيد بن الحسين فى شعر الفارسية ومحمد بن موسى فى شعر العربية » . (صحح القزوينى النص المطبوع وفقا للنسخة الخطية من الكتاب فى المكتبة الأهلية بباريس ، ذلك لأن النص المطبوع ذكر سهل بن الحسن بدلا من شهيد بن الحسين) .

وقد رثاه رودكى ، ومن هنا يبدو أنه توفى قبل سنة ٣٢٩/٩٤٠ — ٤١ لأن رودكى توفى فيها .

(٣) لباب الألباب ، ج ٢ ص ١١ ؛ لغات أسدى ص ١٧ .

(٤) لباب الألباب ، ج ١ ص ٣١ — ٣٢ ؛ لغات أسدى ص ١٧ .

(٥) نشر عباس إقبال ، ج ٢ ص ١١٤ طبعة طهران ١٣٥٣ (١٩٣٤ م) .

« أبو الحسن الآغاجى هو أشهر شعراء الفارسية وفرسانهم من الهجرة وله ديوان شعر سائر فى بلاد خراسان وربما ترجم شعر نفسه بالعربية كقوله :

إن شئت تعلم فى الآداب منزلتى   وأننى قد غـذانى العز والنعم
فالطِرف والقوس والأوهاق تشهدلى   والسيف والبرد والشطرنج والقلم

وقوله فى بلخ :

وبلدة قد ركب اسم لها   من أحرف البخل وهى بلخ
والعيش فيها كاسمها مُبَدَّلاً   من بائها تاء وذا تلخ

وآغاجى كلمة تركية بمعنى الحاجب وهو الخادم الذى يحمل الرسائل بين الملك وسائر الأعيان[1] .

الطحاوى ، غير معروف وقد ذهب برون Browne (ص ١١٥ هامش) إلى أنه قد يكون المقصود به الطخارى الذى جاء ذكره فى « مجمع الفصحا » كمعاصر للخبّازى .

الخبّازى ، ذكره عوفى[2] بين شعراء آل سامان من غير أن يتحدث عنه خاصة . ويذكر صاحب مجمع الفصحا[3] أنه كان معاصراً للرودكى والكسائى ويذكر أنه مات سنة ٣٤٢/ ٩٥٣ — ٤ من غير أن يذكر المصدر الذى رجع إليه فى هذا .

الكسائى ، أبو الحسن[4] ، من مشاهير شعراء القرن الرابع الهجرى ولد يوم الأربعاء ٢٦ شوال سنة ٣٤١ (١٦ مارس ٩٥٣) وكان بلغ الخمسين من عمره حين كتب يحدد تاريخ ميلاده[5] . أى أنه ولد فى عهد الأمير نوح بن نصر السامانى (٣٣١ — ٣٤٣) . وقد لحق سلطنة محمود الغزنوى .

البهرامى[6] ، أبو الحسن على البهرامى السرخسى ، كان ينظم الشعر ويتقن فن العروض

(١) حواشى لباب الألباب ج ١ ، ص ٣٣٠ — ٣٣١ .
(٢) لباب الألباب ، ج ٢ ص ٢٧ .
(٣) ج ١ ص ٦٩ .
(٤) يسميه مجمع الفصحا « أبو اسحق مجد الدين » ، ج ١ ص ٤٨٢ .
(٥) انظر قصيدته فى لباب الألباب ج ٢ ص ٣٨ — ٣٩ .
(٦) لباب الألباب ج ٣ ص ٥٥ — ٥٧ ؛ لغات أسدى ص ٢١ ؛ مجمع الفصحا ج ١ ص ١٧٣ .

والقافية ، وله فى هـذا العلم تصانيف ، منها « غاية العروضَيْن » و « كنز القافية » والرسالة المسماة « خُجَسته » . وقد نقل عنه شمس الدين محمد بن القيس فى كتاب « المعجم فى معايير أشعار العجم[۱] » . وذكر صاحب مجمع الفصحا أنه كان معاصراً لسبكتكين ولـكنه مع هذا حدد وفاته فى سنة ۵۰۰/ ۱۱۰۶ وهو سهو واضح لأن سبكتكين مات سنة ۳۷۷/۹۹۷ (ج ۱ ص ۱۷۳) .

الزينتى ، العلوى من مشاهير شعراء السلطان محمود وولده مسعود ولـكن ليس لدينا شىء من شعره . وقد ذكره أبو الفضل البيهقى مرتين فى كتابه « تاريخ مسعود[۲] » .

بزرجمهر القاينى ، هو الأمير بزرجمهر أبو منصور قسيم بن إبراهيم القاينى ، كان معاصراً للسلطان محمود وولده مسعود . وقد قال عنه الثعالبى[۳] : أبو منصور قسيم بن ابراهيم القائنى الملقب ببزرجمهر شاعر مفلق مبدع باللسانين من شعراء السلطان الأجل (مسعود ابن محمود الغزنوى) أدام الله تعالى ملـكه ، يقول فى استطالة الشتاء واستبطاء الربيع ما تفرد بمعناه وأحسن كل الإحسان فى التشبيه البديع حيث قال :

لقـد حال دون الورد بردٌ مطاولٌ　　كأن سعوداً غُيبت فى مناحس
وحجّب فى الثلج الربيع وحسنه　　كما اكتنّ فى بيضٍ فراخ الطواوس

وله فى الهجاء البديع :

بخلتم فودّ المشركون لو أنهم　　قـــدروكم[٤] كيلا تمسهم النار

وله أيضاً

رأيتك تبغى بسوء الصنيـــع　　ثناء جميـــلا مسوقا اليكا
وتغسل قبل الضيوف اليـدين　　كأنك تغســل منهم يديكا

(۱) المجلد العاشر من مجموعة جب .GMS .

(۲) تاريخ بيهق ، ص ۱۲۵ ، ۲۷۶ طهران ؛ لباب الألباب ج ۲ ص ۳۹ — ۴۰ ؛ لغات أسدى ص ۲۱ .

(۳) تتمة اليتيمة ج ۲ ص ۴۵ .

(٤) هذا هو الظاهر اللائم للمعنى ، كما يقول القزوينى الذى نقل عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس وفى الأصل قدورهم وكذلك فى نشر إقبال (ص ۴۵) .

المظفرى ، المقصود به المظفرى البنجدهى[1] ، نسبة إلى قرية بنج ديه من قرى مروالرود وقد خلط پول هورن Paul Horn فى نشره للغات أسدى بين هذا الشاعر وسمى له توفى سنة ١٣٢٧/٧٢٨ — ٨ .

المنشورى ، أبو سعيد أحمد بن محمد المنشورى السمرقندى من شعراء السلطان محمود ويقول عنه رشيد الدين الوطواط فى كتابه « حدائق السحر » أنه كان بارعاً فى نظم الشعر الملون[2] .

المسعودى ، من شعراء السلطان مسعود الغزنوى ، وقد غضب عليه لأنه حذره من السلاجقة[3] .

القَصَّارامى ، كتب اسمه هكذا فى أغلب النسخ ، وفى لغات أسدى (ص ٢٧) ولا نعلم لأى شىء هذه النسبة ، ولا كيفية ضبط الاسم . ويظهر من لغات أسدى أنه كان من مداحى السلطان أبى أحمد محمد بن محمود الغزنوى .

أبو حنيفة الإسكافى[4] ، من شعراء السلطان ابراهيم بن مسعود الغزنوى (٤٥١/١٠٥٩ — ٤٩٢/١٠٩٩) — تاريخ بيهقى ، طهران ص ٢٧٦ — ٢٨١ ، ٣٨٧ — ٣٩١ ، ٦٣٣ — ٦٣٦ — وقد اشتهر بعد سنة ٤٥٠/١٠٥٨ ، أما سنة وفاته فغير معلومة . وقد ذكر عوفى فى لباب الألباب أنه من شعراء السلطان سنجر (٥١١/١١١٧ — ٥٥٢/١١٥٧) وهو مستبعد لأنه يوجب أن يكون الإسكافى شاعراً مدة ستين أو سبعين سنة وهو أمر غير مألوف .

ومن نوادر سهو صاحب مجمع الفصحا أنه جعل أبا حنيفة الإسكافى وأبا القاسم الإسكافى

(١) لباب الألباب . ج ٢ ص ٦٣ — ٦٥ ، وبرون Browne ص ١١٦ .

(٢) لباب الألباب ، ج ٢ ، ٤٤ — ٤٦ .

(٣) لباب الألباب ج ٢ ص ٦٣ . وقد ذكره صاحب چهار مقاله وصاحب مجمع الفصحا (رضا قولى خان) باسم المسعودى وأما لباب الألباب وحدائق السحر لرشيد الدين الوطواط وتاريخ بيهقى وهفت اقليم فقد ذكرته بغير ياء النسبة والقولان صحيحان ، فإن اسمه مسعود ، وتخلصه المسعودى نسبة إلى السلطان مسعود الغزنوى . وانظر تاريخ مسعودى لأبى الفضل البيهقى ص ٦٠١ .

(٤) يذكره چهار مقاله ولباب الألباب بغير ياء النسبة . ولكن تاريخ بيهقى وجميع كتب التذاكر تذكره بياء النسبة وبهذا الشكل اشتهر ، وهو أقرب إلى الصواب لأن البيهقى كان معاصرا وصديقا له فقوله مقدم على قول غيره .

كاتب آل سامان رجلا واحداً ، ونسب إلى الأول القصة التى ذكرها مصنف چهار مقاله (ص ١٣ — ١٥) وجعله كاتباً لا ليتكين المتوفى سنة ٣٥٤/٩٦٥ ، ولنوح بن منصور المتوفى سنة ٣٨٧/٩٩٧ ، وللسلطان محمود الغزنوى المتوفى سنة ٤٣٣/١٠٤١ . ثم إنه مع تحديده وفاة أبى حنيفة سنة ٣٨٦/٩٩٦ (وقلده فى هذا پول هورن P. Horn فى لغات أسدى) جعله من شعراء السلطان ابراهيم الغزنوى الذى حكم من سنة ٤٥١/١٠٥٩ حتى ٤٩٢/١٠٩٨ .

الراشدى ، لم يذكر هذا الشاعر فى أى كتاب من كتب التذاكر والتاريخ إلا فى چهارمقاله . والظاهر أن أشعاره ضاعت . ولكن يفهم من بعض قصائد مسعود بن سعد بن سلمان أن الراشدى كان من شعراء بلاط السلطان أبى المظفر ظهير الدولة رضى الدين ابراهيم بن مسعود بن محمود الغزنوى . وقد ذكر القزوينى فى حواشيه قصيدتين لمسعود بن سعد بن سلمان ذكر فيهما هذا الشاعر الذى كان ينافسه . ثم نبه إلى ما وقع فيه بعض الكتاب من الخلط بين الراشدى والرشيدى السمرقندى الذى كان من شعراء هذا العصر أيضاً (الحواشى ص ١٤٠ — ١٤٢) .

أبو الفرج الرونى ، من مشاهير شعراء الغزنويين ، وأغلب قصائده فى مدح السلطان ابراهيم بن مسعود وولده مسعود بن ابراهيم (٤٩٢/١٠٩٩ — ٥٠٨/١١١٤) . وعلى هذا فقد عاش بعد سنة ٤٩٢ وهى سنة جلوس السلطان مسعود هذا . وقد أخطأ تقى الدين كاشى فيما ذهب إليه من أنه توفى سنة ٤٨٩/١٠٩٦ . والرونى نسبة إلى رونة من توابع لاهور كما جاء فى لباب الألباب (ج ٢ ص ٢٤١) ، وقد ذكره أمين أحمد الرازى فى كتابه هفت اقليم تحت فصل شعراء لاهور . أما صاحب تاريخ گزيده (حمد الله المستوفى) فقد ذهب إلى أن رونة من قرى خاوران خراسان ، ويقول صاحب مجمع الفصحا إنها من قرى نيسابور والقولان خطأ .

مسعود بن سعد بن سلمان : هو مسعود بن سعد بن سلمان وقد أغفل بعض الكتاب كلمة ابن بين اسم الابن وأبيه كما يقولون فى مسعود سبكتكين وناصر خسرو . أصل أسرته من همدان ولكنه هو ولد ونشأ فى لاهور وليس كما يزعم بعض الكتاب أنه ولد فى جرجان أو همدان

أو غزنة . وقد اشتمل ديوان شعره على مدح خمسة من السلاطين الغزنوية أولهم السلطان أبو المظفر ابراهيم بن مسعود الذى حكم من ٤٤١ — ٤٩٢ ﻫ . والثانى السلطان علاء الدولة مسعود بن ابراهيم (٤٩٢/١٠٩٩ — ٥٠٨ / ١١١٤) . والثالث عضد الدولة شيرزاد ابن مسعود بن ابراهيم (٥٠٨/١١١٤ — ٥٠٩/١١١٥) والرابع أبوالملوك أرسلان بن مسعود ابن ابراهيم (٥٠٩/١١١٥ — ٥١١/١١١٧) . والخامس السلطان الغازى يمين الدولة بهرامشاه ابن مسعود بن ابراهيم (٥١١/١١١٧ — ٥٢٢/١١٢٨) . وكثير من قصائده فى مدح سيف الدولة أبى القاسم محمود بن ابراهيم المذكور والذى كان والياً للهندوستان من قبل والده ، وقد ارتبط به مسعود وأصبح من ملازميه وحضر جميع غزواته وحمل السيف فى ركابه . و يستفاد من قصيدة لمسعود أن هذا الأمير ولى الهندوستان سنة ٤٦٩/١٠٧٦ (تى وسين وسه جيم ، ص١٤٥ من الحواشى) .

وهذا التاريخ أقدم مايذكر محمود فى ديوانه ، ويستفادمنه أن ابتداء ظهوره ورقيه كان فى حدود سنة ٤٧٠/١٠٧٧ وقد عاش حتى أوائل سلطنة بهرامشاه وتوفى على أصح الأقوال ٥١٥/١١٢١ — ٢ . أما مولده فكان مابين سنتى ٤٣٨/١٠٤٦ و ٤٤٠/١١٤٨ — ٩ .

وقد حدث ، كما سيقول المصنف ، فى حدود سنة ٤٨٠/١٠٧٨ أن شك السلطان ابراهيم فى سلوك ولده سيف الدولة محمود واتهمه بأنه يبغى الالتجاء إلى ملكشاه السلجوقى بالعراق ، فلقى مسعود من الحبس والإيذاء مثل ما لقى سيده وأمضى عشر سنوات سجيناً ، منها سبع فى قلعتى سو ودهك وثلاث فى قلعة ناى .

و بعد هذه السنوات العشر شفع له أبو القاسم ، من خاصة وأركان دولة السلطان ابراهيم ، فأفرج عنه . فذهب إلى الهند حيث كان يدير أملاك أبيه . وفى أثناء ذلك مات السلطان ابراهيم فخلفه ولده السلطان مسعود سنة ٩٤٢/١٠٩٩ الذى عهد بولاية الهندوستان إلى ولده الأمير عضد الدولة شيرزاد و بعث معه قوام الملك أبا نصر هبة الله مستشاراً وقائداً . وكان بين هذا القائد ومسعود مودة قديمة فعينه مأموراً لحكومة جالندر من ملحقات لاهور .

و بعد قليل من هذا التعيين فقد أبو نصر مكانته وقبض عليه ، وعزل مسعود لأنه من أتباعه وسجن ثمان سنوات أو تسع فى قلعة مَرَنج . وفى سنة ٥٠٠/١١٠٦

شفع له ثقة الملك طاهر بن على بن مشكان فأفرج عنه وقد كبر واعتل وضعف ، فلقد أمضى زهرة شبابه فى قلل الجبال وأعماق الوهاد فى السجون المظلمة ، فآثر اعتزال الديوان وأمضى بقية الأجل فى عزلة حتى توفى وقد قارب الثمانين .

ويعترف فحول شعراء عصره بعظمته وفضله وكانوا يذهبون إليه ويظهرون ولاءهم ، مثل عثمان المختارى الغزنوى ومعزى وسنائى .

وأول من جمع ديوان مسعود سنائى الغزنوى وقد أدرج معه ، سهواً ، بعض أشعار لغيره فلفته إلى هذا ثقة الملك طاهر بن على فأرسل إلى مسعود معتذراً .

محمد ناصر ، المراد به جمال الدين محمد بن ناصر العلوى الغزنوى ، وكان من مشاهير شعراء بلاط يمين الدولة بهرامشاه الغزنوى . وكذلك كان أخوه سيد حسن بن ناصر[1] . (لباب الألباب ج ٢ ص ٢٦٧ — ٢٧٦) .

شاه بورجا ، شهاب الدين شاه على أبورجا الغزنوى من معاصرى السلطان بهرامشاه (لباب الألباب ج ٢ ص ٢٧٦ — ٢٨٢) .

أحمد خلف ، قد يكون المقصود ابن « خلف بن أحمد » أمير سيستان ، وهو احتمال ضعيف ، فقد كانت كنية هذا الوالى « أبوأحمد » . ولكن لا تذكر كتب التاريخ أن له ولداً بهذا الاسم .

عثمان المختارى ، هو عثمان بن محمد الغزنوى المعروف بالمختارى المتوفى سنة ١١٥٠/٥٤٤ أو ١١٥٩/٥٥٤ . له ديوان مدح فيه أربعة من ملوك عصره هم أبو الملوك أرسلان بن مسعود وأخاه بهرامشاه ، وأرسلان شاه بن كرمانشاه بن قاورد من ملوك سلاجقة كرمان (١١٠٠/٤٩٤ — ١١٠١/٥٣٦) والرابع أرسلان خان محمدبن سليمان بن داود بن بغراخان ابن ابراهيم طفغاج خان بن إيلك نصر أرسلان بن على بن موسى بن ستق من الملوك الترك خانية ما وراء النهر (١١٠١/٤٩٥ — ١١٣٠/٥٢٤) .

وله قصائد يمدح بها ملكا اسمه عضد الدولة ولا يُعرف من هو . وقد ذهب صاحب مجمع الفصحا إلى أنه عضد الدولة الديلمى وهو سهو واضح فقد توفى هذا سنة ٩٨٢/٣٧٢ أى

ما يقرب من ١٨٠ سنة قبل وفاة المختارى . وقد وضع صاحب مجمع الفصحا اسم مغيث الدين فناخسرو ، وهو اسم عضد الدولة الديلمى ، بدلاً من معين الدين بن خسرو الذى مدحه المختارى .

مجدود السنائى ، هو أبو المجد مجدود بن آدم السنائى الغزنوى العارف الشاعر المشهور ، صاحب « حديقة الحقيقة » وله ديوان كبير . توفى على أصح الأقوال سنة ٥٤٥/١١٥٠ ــ ١ ويقول جامى فى « نفحات الأنس » إن البعض يجمل وفاته سنة ٥٢٥/١١٣١ وهذا بعيد عن الصواب لأن سنائى رثى المعزى الذى قتل خطأ بسيف السلطان سنجر سنة ٥٤٢/١١٤٧ ــ ٨[١] .

نجيبى الفرغانى ، هو كما يقول المصنف (ص ٥٣) من شعراء بلاط خضر خان بن طفغاج خان بن إبراهيم من ملوك ما وراء النهر الخانية . وقد ولى خضر خان العرش سنة ٤٧٢/١٠٧٩ وتوفى بعد قليل .

عمعق البخارى ، شهاب الدين أمير الشعراء فى بلاط خضر خان ، ويقول تقى الدين الكاشانى إنه توفى سنة ٥٤٣/١١٤٨[٢] .

رشيدى السمرقندى ، هو أبو محمد عبد الله أو عبد السيد الرشيدى السمرقندى ، من مشاهير شعراء بلاط خضر خان . كانت له مناظرات ومطارحات مع عمعق ومسعود بن سعد سلمان . وذكره ، صاحب مجمع الفصحا باسم « أرشدى » وليس فى الفارسية شاعر بهذا الاسم .

نجار الساغرجى ، هو أيضاً من شعراء بلاط خضر خان ، وساغرج من قرى صغد على خمسة فراسخ من سمرقند (ياقوت)

على بانيدى و پسر درغويش ، هما أيضا من شعراء بلاط خضر خان . وقد جاء فى كتاب « ميزان الأفكار فى شرح معيار الأشعار » وهو رسالة فى العروض للأستاذ نصير الدين الطوسى أن كلمة درويش تنطق فى بعض بلاد إيران درغويش ، ويغلب أن تكون كلمة درغويش هنا هى درويش .

(١) طبع ديوانه حديثا فى طهران .
(٢) انظر لباب الألباب ج ٢ ص ١٨١ ــ ١٩١ .

الجوهرى ، أبو المحامد محمود بن عمر الجوهرى الصائغ الهروى ، عاصر فرّخزاد بن مسعود بن محمود الغزنوى الذى حكم من ٤٤٤/١٠٥٢ — ٤٥١/١٠٥٩[(١)] .

الشطرنجى ، الدهقان على الشطرنجى السمرقندى من مشاهير شعراء ما وراء النهر[(٢)] . ويقول صاحب مجمع الفصحا إنه تلميذ سوزنى ، وإن لهذا قصائد فى مدحه ، وكانت وفاة سوزنى فى رأى تقى الدين الكاشانى ، سنة ٥٦٩/١١٧٣ — ٤ .

المنطقى ، منصور بن على المنطقى الرازى من شعراء الصاحب بن عباد[(٣)] ، وقد استشهد بأشعاره رشيد الدين الوطواط فى كتابه حدائق السحر .

كيا الغضائرى ، أبو زيد محمد بن على الغضائرى الرازى من مشاهير الشعراء ومن معاصرى العنصرى . ويقول صاحب مجمع الفصحا إنه مات سنة ٤٢٦/١٠٣٤ — ٥ . والغضائرى معناه صانع القصعة الكبيرة ، والغَضار كسحاب الطين اللازب ، والخزف الأخضر يحمل لدفع العين[(٤)] .

بُنْدار الرازى ، بضم الباء العربية أو بكسر الباء الفارسية من معاصرى الصاحب بن عباد ومجد الدولة الديلمى . وإذاً فقد ازدهرت حياته بين سنتى ٣٨٧/٩٩٧ و ٤٢٠/١٠٢٩ . وله من الأشعار « البهلويات » وهى أشعار باللهجات المختلفة كالمازندرانى واللورى والكاشى[(٥)] .

ويرى القزوينى أن رواية مجمع الفصحا التى تجعل موته سنة ٤٠١/١٠١٠ خطأ .

فرخى الگرگانى ، يذكر هكذا فى جميع النسخ ويحتمل أن يكون المقصود فخر الدين أسعد الگرگانى صاحب المثنوى المعروف « ويس ورامين » ، وأن كلمة فرخى قد وضعت سهواً مكان فخرى .

(١) لباب الألباب ج ٢ ص ١١٠ — ١١٧ .
(٢) » » » » ١٩٩ — ٢٠٧ .
(٣) » » » » ١٦ — ١٨
(٤) أقرب الموارد مادة غضر .
(٥) انظر تذكرة الشعرا نشر برون Browne ، ص ٤٢ — ٤٣ ؛ مجالس المؤمنين ، طهران سنة ١٢٦٨ ؛ تاريخ گزيده GMS ، ص ٨١٦ ؛ معجم شمس قيس ، GMS ص ١٤٠ و ١٤٦ .

لامعى الدهستانى ، أبو الحسن محمد بن اسماعيل اللامعى الكرگانى الدهستانى من شعراء السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسى ، وكان معاصراً البرهانى والد المعزى .

جعفر الهمدانى ، كان من أصدقاء بابا طاهر ومعاصراً لطغرل بيك[1] .

درفيروز الفخرى ، جاء فى كتاب « محاسن إصفهان » لمفضل بن سعد بن الحسين المافروخى ، المؤلف فى أواسط القرن الخامس الهجرى ، ضمن تعداد شعراء إصفهان « ومن شعراء الفارسية [العصريين] أبو الفضل درفيروز الفخرى .

البرهانى ، أمير الشعراء عبد الملك البرهانى النيسابورى والد المعزى . توفى بقزوين فى أوائل سلطنة ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقى (٤٦٥ / ١٠٧٢ — ٤٨٥ / ١٠٩٢ — ٣)[2] .

المعزى ، كانت وفاته على أصح الأقوال سنة ٥٤٢/١١٤٧ — ٨ ، قُتل خطأ بسيف السلطان سنجر[3] .

أبو المعالى الرازى ، دِهْخُدا أبو المعالى الرازى ، مدح السلطان غياث الدين مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى (٥٢٧/١١٣٣ — ٥٤٧/١١٥٢) ، ويقول صاحب مجمع الفصحا إنه مات سنة ٥٤١/١١٤٦ — ٧[4] .

العميد كمالى ، الأمير العميد كمال الدين المعروف بكمال البخارى من ندماء السلطان سنجر السلجوقى ، وكان ماهرا فى الغناء والعزف . (لباب الألباب ج ا ص ٨٦ — ٩١) .

الشهابى ، الظاهر أن المراد به شهاب الدين أحمد بن المؤيد النسفى السمرقندى (لباب الألباب ج ٢ ص ٣٦٢ — ٣٦٧) . وقد ذكر له مجمع الفصحا بعض القصائد فى مدح ركن الدين قِلِج طَمْغَاج خان مسعود من ملوك الترك الخانية فيما وراء النهر ، وقد حكم من سنة ٤٨٨/١٠٩٥ — ٤٩٤/١١٠١ .

---

(١) Browne: Literay History of Persia ، ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٢) انظر هنا ص ٤٩ من الترجمة العربية ، لباب الألباب ج ٢ س ٦٨ حيث جاء سهوا أبو الحسن « بهرامى » مكان برهانى .

(٣) انظر هنا ص ٤٨ — ٥١ .

(٤) لباب الألباب ج ٢ ص ٢٢٨ — ٢٣٦ .

القمرى الگرگانى ، أبو القاسم زياد بن محمد القمرى الگرگانى ، كان معاصراً لشمس المعالى قابوس بن وشمگير المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٢ — ١٣ (لباب الألباب ج ٢ ص ١٩ — ٢٠)

رافعى النيسابورى ، لم يرد ذكره فيما نعلم إلا فى مجمع الفصحا ، حيث ترجم له وقال إنه كان معاصراً للسلطان محمود الغزنوى (٣٣٨/٩٩٨ — ٤٢١/١٠٣٠)

كفائى گنجه وكوسه الفالى و پوركله وأبو القاسم الرفيعى وأبو بكر الجوهرى وعلى الصوفى ، لا يُعرف عنهم شىء .

(٨) ثأر السلطان علاء الدين حسين جهانسوز : علاء الدنيا والدين هو السلطان علاء الدين الغورى المعروف بجهانسوز . أما الأميران شهيد والملك حميد فهما أخواه قطب الدين محمد بن عز الدين حسين المعروف بملك الجبال وأخوه سيف الدين سورى .

وكانت فيرزكوه ، قصبة ممالك الغور ، مقر حكم قطب الدين محمد . وقد تشاحن مع أخوته فغضب وولى وجهه شطر غزنين ، حيث أكرم بهرامشاه الغزنوى وفادته . ولكن الوشاة أوغروا صدر الغزنوى عليه بعد حين وسعوا فيه سعاية بأنه يبذل الأموال ليثير الناس عليه . فلم يكن من بهرامشاه إلا أن أمر بدس السم فى طعامه فقتله . وهذا هو ابتداء العداوة بين أسرتى الغزنويين والغوريين .

فلما بلغ الخبر مسامع أخيه سيف الدين سورى استشاط غضبا ، وأعد جيشا عظيما وسار نحو غزنين طالبا الثأر لأخيه الشهيد . فلما عرف بهرامشاه قوة خصمه ولى منه فراراً إلى الهندوستان ، ودخل سيف الدين غزنين فرقى عرشها ثم سرح جيشه . وأقبل الشتاء وسدت الثلوج الطرق إلى بلاد الغور واشتد البرد ، وأصبح من المتعذر إرسال نجدة إلى سيف الدين من بلاده ، فبعث أهل غزنين خفيــة إلى بهرامشاه ليقبل إلى عاصمة ملكه وينتزعها من خصمه ، فأقبل وأوقع بسورى ورجاله وقتلهم شر قتلة ، وكان هذا سنة ٥٤٤/١١٤٩ — ٥٠

وعلم السلطان علاء الدين بما جرى لأخيه فحنق على الغزنويين وأعد العدة لغزو غزنين ، والتقى ثلاث مرات ببهرامشاه فهزمه فيها جميعاً وألجأه إلى الفرار إلى الهندوستان . واستولى

علاء الدين على غزنين وأمر بحرقها وقتل أهلها وسبى نسائها سبعة أيام بلياليها، ثم أمر بنبش قبور الملوك الغزنويين ، وإحراق ما فيها من جثث ، عدا قبور السلاطين محمود ومسعود وإبراهيم . أما هو فقد جلس للهو طوال هذا الأسبوع . وفى اليوم الثامن أمر بوقف القتل والإغارة وإخماد الحريق . ثم أنشد شعراً يمدح فيه نفسه وأمر المغنين بغنائه .

وأمضى بغزنين أسبوعا آخر جلس فيه للعزاء فى أخويه . ثم نقل جثتيهما إلى غور ، وخرّب فى طريقه القصور والعمارات والأبنية التى شيدها محمود الغزنوى ، والتى لم يكن لها مثيل : وحين بلغ فيرزكوه وهدأ باله بانتقامه لأخويه أنشد شعراً وأمر المغنين بتوقيعه ، ثم جلس للهو والطرب .

وقد جرت هذه الحوادث سنة ٥٤٥/١١٥٠—٥١ وهى سنة تولية السلطان علاء الدين أو فى السنة التالية لتوليته أى ٥٤٦ . ذلك لأن القاضى منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد صاحب « طبقات ناصرى »[(١)] ، والذى كان معاصرا للسلاطين الغورية يقول إن السلطان علاء الدين ، بعد فتح غزنين ، أخذ يتحدى السلطان سنجر ، فحاربه هذا وغلبه وأسره ، واتفق الكتاب ، ومنهم مصنف چهار مقاله الذى كان ملازما للسلطان علاء الدين فى هذه الواقعة على أن أسره كان سنة ٥٤٧/١١٥٢—٣ .

(٩) نهرموليان : جاء فى كتاب « تاريخ بخارى » لأبى بكر محمد بن جعفر النرشخى ، تحت عنوان ذكر موليان ووصفه ما ترجمته :

« كانت ضياع نهرموليان قديما ، من أملاك طغشاده ؛ وكان قد أعطى كل واحد من أبنائه وأحفاده حصة منها . وقد اشترى الأمير اسمعيل السامانى هذه الضياع من حسن بن محمد بن طالوت سرهنك المستعين بن المعتصم (٢٤٨—٢٥١) ، وبنى الأمير اسمعيل بحوض

(١) يقول برون Browne (ص ١٢٠) إن المصدر الرئيسى لتاريخ ملوك الغور هو هذا الكتاب (ولد صاحبه سنة ٥٨٩/١١٩٣ وعاش إلى ما بعد سنة ٦٥٨/١٢٦٠) . وقد طبع الكتاب فى مجموعة Bibliotheca Indica وتعتبر الترجمة الإنجليزية التى كتبها رڤرتى Raverty والتى طبعت فى جزءين بلندن سنة ١٨٨١ أكثر قيمة من الأصل لما احتوت عليه من مقارنات ورجوع إلى مخطوطات وملاحظات تاريخية وجغرافية . وقد اختصر الفصول الستة الأولى (وعدد فصوله ثلاثة وعشرون) ولكن ليس هذا مما يقلل من أهمية الترجمة إذ أن ما يهذه الفصول جدير بالدراسة فى مصادر عربية أكثر قدما .

النهر القصور والبساتين ووقف أكثرها على الموالى ، وهى لا تزال وقفا للآن . فقد كان شديد الاهتمام دائم العطف على هؤلاء للموالى ، حتى إذا كان ينظر ذات يوم إلى نهرموليان من قلعة بخارى . وكان سياء الكبير ، مولى أبيه ، واقفاً أمامه وكان يحبه حبا جما ويقربه ، قال الأمير : ألا يهئ الله لى الأسباب لأشترى هذه الضياع لكم وعد فى أجلى لأراها فى حوزتكم لأنها أقوم ضياع بخارى وأجملها وأطيبها هواء . فاستجاب الله دعاءه واشترى كل ما طلب وأعطاه لمواليه ، فسميت الضياع « جوى مواليان » ، وأطلق عليها العامة « جوى موليان » .

وكلة موليان جمع شاذ ، فيما يبدو ، للجمع العربى لكلمة مولى ، موالى[1] .

(١٠) زين الملك أبو سعد هندو بن محمد بن هندو الإصفهانى ، من مستوفى ديوان السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى . وقد أمر هذا السلطان بقتله سنة ٥٠٦/١١١٢—١٣ (تاريخ السلجوقية للإصفهانى : نشر هوتسما ص ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٥ ؛ تاريخ بن الأثير حوادث سنة ٥٠٦) .

(١١) اندر اين بيت از محاسن هفت صنعت الخ : انتقد القزوينى هذه العبارة وقال إن عليها بعض ملاحظات :

أولها أن التعبير بالصفة عن الثلاث صناعات الأولى : أى المطابق والمتضاد والمردف ، وبالمصدر عن الأربع الأخيرة أى المساواة والعذوبة والفصاحة والجزالة تعبير ركيك للغاية لأنه إذا كان المراد تعداد الصنعة نفسها لزم أن تكون كلها بلفظ المصدر ، وإذا كان المراد أثر هذه الصناعات فى الشعر لوجب أن تذكر جميعا بلفظ الصفة .

ثانياً : جعل المطابقة والتضاد صنعتين على حدة خطأ ، لأن الجمع بين الضدين أو الأضداد الذى هو إحدى الصنائع المعنوية يسمى المطابقة كما يسمى التضاد والطباق والتكافؤ ، فهذه كلها ألفاظ مترادفة لمعنى واحد فى اصطلاح البديع .

ثالثا : ومن الغريب اعتبار الفصاحة إحدى الصنائع ، فإن الفصاحة من لوازم نظم

(١) برون Browne ص ١٢١

ونثر البلغاء ، وليست صنعة من صنائع البديع وصفة زائدة يزدان الـكلام إذا اتصف بها ، ولا يصيبه الخلل بغيرها . ولسنا نعرف عالما من علماء المعانى يعد الفصاحة صنعة من الصنائع .

(١٢) حاجب على قريب : على بن قريب المعروف بالحاجب الـكبير ، من كبار أمراء السلطان محمود الغزنوى . وهو الذى أجلس بعد وفاة السلطان محمود سنة ٤٢١/١٠٣٠ ولده الأصغر الأمير «أبو أحمد محمد» ، ولى عهده فى غزنين على العرش ، وكان السلطان مسعود إذ ذاك بإصفهان فاتجه نحو غزنين فلما بلغ هراة عزل الحاجبُ محمدا وحبسه فى قلعة كوهشير أما هو فقد التحق (فى الثالث من ذى القعدة سنة ٤٢١ / ٢ نوفمبر ١٠٣٠) بخدمة السلطان مسعود الذى أمر ، فى اليوم نفسه ، بسجنه مع أخيه الحاجب منكيتراك ، فكان هذا آخر العهد بهما[١] .

(١٣) الأمير خلف بانو : الأمير أبو أحمد خلف بن أحمد بن محمد بن خلف بن الليث الصفارى من ملوك سيستان من أسرة الصفاريين . أمه بانو بنت عمرو بن الليث الصفارى ، ولهذا سمى خلف بانو نسبة إلى أمه . كان من فضلاء وعلماء وأسخياء عصره . وكان بلاطه مجمعاً لأهل الفضل والشعراء والعلماء . ولبديع الزمان الهمذانى وأبى الفتح البستى قصائد غراء فى مدحه ذكر معظمها فى تاريخ اليمينى ويتيمة الدهر . وقد أمر خلف العلماء بكتابة تفسير مفصل للقرآن ورصد لهذا العمل عشرين ألف دينـار . ويقول العتبى فى تاريخ اليمينى إن من هذا التفسير نسخة فى مدرسة الصابونى بنيسابور[٢] .

وكان مع ما تحلى به من الفضائل قاسى القلب لا يدانيه أحد فى هذا ، قتل ولده بيده ثم غسلها ودفنه

وقد حارب محمودا الغزنوى مرارا ، فاضطر هذا آخر الأمر ، لتجهيز جيش كبير سنة ٣٩٣/١٠٠٢ غزا به سيستان وقبض على خلف وأرسله إلى جوزجانان حيث مات سنة ٣٩٩/١٠٠٨ — ٩ .

---

(١) تاريخ البيهقى ، طبعة طهران ص ١ — ٦٢ ؛ طبقات ناصرى ، طبعة كلكته ص ١٢ .

(٢) أنظر فى تاريخه تاريخ اليمينى ، طبعة دهلى ص ١٨٥ — ٢٠٨ ؛ يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٠٢ الآثار الباقية ص ٣٣٢ ؛ ابن الأثير ج ٩،٨ فى مواضع مختلفة ؛ أنساب السمعانى فى السجزى .

وخلف بن أحمد هو أول من أطلق لقب سلطان على محمود الغزنوى . فقد جاء فى كتاب « مجمل التواريخ » المؤلف فى عهد السلطان سنجر سنة ٥٢٠/١١٢٦ ، والذى توجد منه نسخة خطية قديمة مصححة نفيسة فى المكتبة الأهلية بباريس ما ترجمته[1] : « وأول من أطلق كلمة سلطان على الملوك هو الأمير خلف ملك سيستان ، فإنه حين أسره محمود وحمله إلى غزنين قال إن محمودا سلطان ، وبعد ذلك استعمل هذا اللقب » .

(١٤) أمراء آل محتاج الچغانيين : آل محتاج من الأسر الكبيرة فيما وراء النهر ، وقد شغلوا المناصب الكبرى فى عصرى السامانيين والغزنويين ، وكانت حكومتهم فى ولاية چغانيان فيما وراء النهر . وقد ظلوا فى إقطاعهم هذا أبا عن جد . وقد جاءت أعمالهم العظيمة وحروبهم فى كتب التاريخ .

ورأى القزوينى أن من المفيد أن يتحدث عن بعض أفراد هذه الأسرة بما أفاده من كتب متفرقة فى الأدب والتاريخ .

١ — أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج . عهد إليه الأمير نصر بن أحمد السامانى سنة ٣٢١/٩٣٣ بقيادة جنده فى خراسان وجعله واليا عليها ، وظل فى هذا المنصب حتى مرض فى آخر عمره بعلة مزمنة فحل ابنه « أبو على أحمد » مكانه . وتوفى سنة ٣٢٩/٩٤٠ ودفن فى چغانيان .

٢ — ولده أبو على أحمد بن محمد بن المظفر بن محتاج . ولى قيادة الجيش وإمارة خراسان بعد مرض أبيه سنة ٣٢٧/٩٣٨ . وهو الذى حارب ما كان بن كاكى الديلمى فى جرجان والرى سنة ٣٢٩/٩٤٠ وقتله فكتب كاتبه أبو القاسم الإسكافى للأمير نصر يقول أما ما كان فصار كاسمه والسلام . وقد ضم إلى ملك السامانيين جرجان وطبرستان وبلاد الجبل وزنجان وكرمانشاهان . وفى سنة ٣٣٣/٩٤٤ — ٥ عزله الأمير نوح بن نصر بن أحمد السامانى عن ولاية خراسان فقامت بينهما الوحشة وانتهى الأمر إلى الخصومة ، وشق أبو على عصا الطاعة على السامانيين وخلع نوحا بن نصر واستولى على خراسان وبخارى وهرب الأمير نوح إلى سمرقند . واستمر الحال بين الرجلين فى صلح وحرب ، حتى مات أبو على

(١) Bibliothèque Nationale, Paris, Fonds Persans. 62, f. 264b.

بالرى فى الوباء الذى تفشى سنة ٣٤٤/٩٥٥ — ٦ . ودفن بچغانيان .

٣ — أبو العباس فضل بن محمد بن المظفر بن محتاج (أخوه) عين من قِبل أخيه والياً على بلاد الجبل (العراق العجمى) سنة ٣٣٣/٩٤٤ — ٥ ، وقد فتح دينور ونهاوند . ولما خرج أبو علىّ على السامانيين انضم أبو العباس إليهم ، وقد رأس جندهم فى كثير من الحروب ضد أخيه أبى على . وقد اتهم سنة ٣٣٦/٩٤٧ — ٨ بالميل إلى أخيه فحبس ببخارى . ولم يعرف مصيره بعد ذلك .

٤ — أبو المظفر عبد الله بن أحمد بن المظفر بن محتاج (ولد الثانى) . وهو الذى أرسله أبوه إلى الأمير نوح كرهينة فى الصلح الذى جرى ببخارى سنة ٣٣٧/٩٤٨ — ٩ . وقد ظل مكرماً بها فى خدمة الأمير نوح حتى سقط من على حصانه سنة ٣٤٠/٩٥١ — ٢ فمات . وقدأرسل جسده إلى چغانيان عند أبيه .

٥ — أبومنصور بن أحمد بن محمد بن المظفر بن محتاج (ولد الثانى) . عهد إليه أبوه حين ولى خراسان سنة ٣٤٠/٩٥١ — ٢ بحكم چغانيان نيابة عنه . ولا يعرف عنه أكثر من ذلك .

٦ — أبو على أبو المظفر طاهر بن الفضل بن محمد بن المظفر بن محتاج (ابن الثالث) : كان واليا على چغانيان وتوفى سنة ٣٧٧/٩٨٧ — ٨ . وقد ترجم له صاحب لباب الألباب (ج ١ ص ٢٧ — ٢٩) وكان شاعراً ومحباً للشعراء . ومن مداحيه منجيك الترمذى .

٧ — فخر الدولة أبو المظفر أحمد بن محمد . وهو والى چغانيان المقصود فى هذا الموضع من چهار مقاله . ويميل القزوينى إلى أنه ابن أو حفيد لأبى على (الثانى) . وقد مدحه الدقيقى وفرّخى .

(١٥) ختلى . منسوب إلى خَتْلان وهو اسم ولاية فيما وراء النهر قرب بدخشان . بينها وبين چغانيان ثلاثون فرسخاً ، وفيها الخيول المطهمة . وينسب إليها فيقال ختلى . ويسمى العرب هذه الولاية خُتّل . وقد توهم البعض أن ختلان وخُتّل موضعان مختلفان والواقع أنهما اسم لموضع واحد . ويقول مرادى فى ذم خُتّل وأميرها :

أيها السائلى عن الحارث النذ ل وعن أهل وده الأرجاس

عد من ختـل لختل أرض عرفت بالدواب لا بالناس

وقد استشهد القزوينى بنصوص من الاصطخرى وابن خرداذبة وابن حوقل وغيرهم من جغرافيّ العرب .

(١٦) تروق — لم يذكر جغرافيو العرب كلمة تروق ويرجح القزوينى أن المقصود بهـا مكان القرية المعروفة الآن باسم طُرُق وهى قرية كبيرة على فرسخين من مشهد الرضا عليه السلام وإحدى منازل الطريق من طهران إلى مشهد .

(١٧) جامگى واجرا . جامگى بمعنى وظيفة ويقال لها الآن« مواجب » و «مستمرى» وإجراء فى الأصل مصدر من أجرى عليه جراية يعنى وظيفة وقرر لها مرتباً .

(١٨) علاء الدولة الأمير على فرامرز هو الأمير علاء الدولة على بن ظهير الدين أبى منصور فرامرز بن علاء الدولة أبى جعفر الكاتب المعروف بكاكوية بن دشمنزيار . جده أبو جعفر كاكويه أول أمراء آل كاكويه بإصفهان وهو الذى رعى ابن سينا ورباه . وقد ولى علاء الدولة إمارة يزد من قبل السلاجقة . وفى سنة ١٠٧٦/٤٦٩ تزوج أرسلان خاتون بنت چغرى بيك عمة السلطان ملـكشاه التى كانت تزوجت الخليفة القائم بأمر الله . ومن هنا قال المصنف إنه صهر ملـكشاه . وقد قتل سنة ١٠٩٥/٤٨٨ مع تتش بن الپ أرسلان فى حربه مع ابن أخيه بركيارق بن ملـكشاه[١] .

(١٦) طُغَانشاه بن الپ أرسـلان : المراد به شمس الدولة أبو الفوارس طغانشاه بن الپ أرسلان محمد بن چغرى بيك بن ميكائيل بن سلجوق . كان حاكما لخراسان أيام الپ أرسلان . وكان مقر حكومته هراة . ومن مداحيه الأزرق الذى صرح باسمه ولقبه ونسبه ومقر حكومته فى مدائحه له (ص ١٧١ من حواشى القزوينى) .

والعجيب أن طغانشاه هـذا مجهول من المؤرخين ، عدا المصنف ، فهم لا يذكرونه . إنما ذكر فى أشعار الأزرق ؛ ولهذا فإن أحداً من كتاب التذاكر لم يحقق شخصيته ، بل

---

(١) تارىخ السلجوقية لعماد الدين الإصفهانى ص ٥٢ ؛ ابن الأثير فى ذيل سـنة ٤٦٩ حيث ذكر سهوا « أبى منصور بن فرامرز » بدلا من أبى منصور فرامرز ؛ تاريخ جهان آرا ، المتحف البريطانى (or, 141, ff. 65 b—67 a.)

وقعوا فى أخطاء غريبة ، فكثير منهم ، مثل رضا قولى خان صاحب مجمع الفصحا ، يجعل طغانشاه بن الپ أرسلان وطغانشاه بن مويد آى ابه (٥٦٩/١١٧٣ — ٥٨١/١١٨٥) رجلا واحد وهذا سهو واضح :

أولا : بدليل تصريح الأزرقى فى أشعاره باسمه ونسبه وكذلك من حديث عروضى السمرقندى هنا .

ثانيا : يقول عوفى فى لبـاب الألباب إن الأزرقى سابق على المعزى بمدة ، و إن المعزى مات سنة ٥٤٢/١١٤٧ فمن المحال أن يكون الأزرقى قد لحق زمان طغانشاه بن آى ابه الذى ولى الحكم سنة ٥٦٩/١١٧٣ .

ثالثا : مدح الأزرقى أميرانشاه بن قاورد بن چغرى بيك بن ميكائيل بن سلجوق وهو من أمراء سلاجقة كرمان وقد توفى ، كما سيجئ ، قبل سنة ٤٧٧/١٠٨٤ ، فكيف يمكن أن يدرك الأزرقى ، الذى عاصر أميرانشاه ، عصر ابن آى ابه طغانشاه الذى ولى سنة ٥٦٩ أى بعد ٩٢ سنة .

ويقول دولتشاه السمرقندى فى تذكرة الشعرا وأمين أحمد الرازى فى هفت إقليم وحاجى خليفة فى كشف الظنون (تحت ألفية) إن فى أسرة السلاجقة اثنين اسمهما طغانشاه ، أحدهما طغانشاه بن مؤيد والثانى طغانشاه القديم ممدح الأزرقى وكان طغرك بيك خاله ومقر سلطنته نيسابور . وهـذا الكلام خطأ كله ، لأن طغانشاه بن مؤيد آى ابه ليس من أسرة السلاجقة ، وطغرك بيك عم والد طغانشاه بن الپ أرسـلان وليس خاله . وكانت نيسابور مقر ولاية طغانشاه بن مؤيد ، وكانت هراة مقر ولاية طغانشاه بن الپ أرسلان .

وقد انتقد القزوينى صاحبَ مجمع الفصحا ، لأنه كعادته ، قد غير فى إحدى قصائد الأزرقى اسم طغانشاه بن محمد (الپ أرسلان) بطغانشاه بن مؤيد (ج ١ ص ١٤٥) لتكون القصيدة فى مدح هذا الأخير .

وينبه القزوينى على ضرورة المحافظة على تراث المتقدمين من الكتاب فلا نغير فيـه وإنما نقدمه كما هو لمن بعدنا . وروى ما ذكره صديق إيرانى له فى باريس عن والده

وكيف كان يأخذ المخطوطات الناقصة فيتمها بحيث لا يميز القارئ المنتحل الذى أضافه (ص ١٧٢ — ١٧٣ من الحواشى) .

(٢٠) الأزرقى : هو أبو بكر زين الدين بن اسماعيل الورّاق الأزرقى الهروى . وهو الذى لجأ الفردوسى إلى أبيه اسماعيل الورّاق حين ولى فراراً من السلطان محمود ، فنزل بمنزله فى هراة وتوارى به ستة أشهر (ص ٥٧ هنا) ، ويظهر من بعض أشعاره أن اسمه جعفر .

وأغلب قصائد الأزرقى فى مدح أميرين سلجوقيين هما شمس الدين طغانشاه بن الپ أرسلان الذى تحدثنا عنه وأميرانشاه بن قاورد بن چغرى بيك (قاورد هو أول ملوك سلاجقة كرمان) . ولما كان أميرانشاه لم يرق العرش فإن المؤرخين لم يهتموا بذكر تاريخ وفاته ، ولكن صاحب تاريخ سلاجقة كرمان يقول إنه حين توفى سلطان شاه بن قاورد سنة ١٠٨٣/٤٧٦ لم يكن على قيد الحياة من أبناء قاورد غير تورانشاه . وإذاً فقد كانت وفاة أميرانشاه قبل هذا التاريخ . ومن هذا يتضح بوجه عام الزمن الذى عاش فيه الأزرقى .

ويقول تقى الدين الكاشانى إن الأزرقى توفى سنة ١١٣٢/٥٢٧ — ٣ . والظاهر أنه توفى قبل هذا بأربعين سنة على الأقل إذ أنه لو كان حيا حتى هذا التاريخ لعاصر المعزى مدة طويلة والواقع أن عوفى يقول « إن الأزرقى سابق على المعزى بمدة . »

ومن ناحية أخرى فإن الأزرقى لا يشير فى ديوانه إلى ملكشاه وسنجر ووزرائهما وعظماء دولتيهما ولو امتد به العمر حتى سنة ٥٢٧ / ١١٣٢ — ٣ لمدح هذين السلطانين العظيمين وكانا يقربان الشعراء وذوى الفضل منهما .

ثم إن والد الأزرقى كان معاصراً للفردوسى الذى توفى سنة ١٠٣٠/٤٢١ ومن المستبعد أن يكون عمر ولده قد امتد مائة سنة بعد هذا التاريخ (أى حتى سنة ٥٢٧) .

والخلاصة أنه يبدو من هذه القرائن أن الأزرقى مات قبل جلوس السلطان ملكشاه ابن الپ أرسلان يعنى قبل سنة ١٠٧٢/٤٦٥ — ٣ .

وكان الأزرقى مولعاً بالتشبيهات الغريبة والتخيلات العجيبة وتصوير أشياء لا وجود لها وقد اتسم بهذا جل بل كل شعره . وقد عاب رشيد الدين الوطواط هذه الطريقة فى كتابه

حدائق السحر وضرب منها مثلا من شعر الأزرقى شبّه فيه الفحم الملتهب ببحر من المسك موجه ذهبى اللون .

وينسب كثير من أصحاب التذاكر وحاجى خليفة فى كشف الظنون إلى الأزرقى كتابى « سندباد نامه » و « ألفية وشلفية » . وهذا خطأ .

أما « سندباد نامه » فإنه فى قصص وحكايات الفرس أو الهند وهو مؤلف قبل الإسلام بمدة طويلة كما يتضح من رواية مروج الذهب للمسعودى[1] ، المؤلف فى حدود سنة ٩٤٣/٣٣٢ فى « ذكر جمل من أخبار الهند وآرائها وبدء ممالكها وملوكها حيث يقول « ثم ملك بعده كورس فأحدث للهند آراء فى الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان فى مملكته وعصره سندباد دون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد » . ومن رواية الفهرست[2] لابن النديم المؤلف سنة ٩٨٧/٣٧٧ فى باب « أخبار المسامرين والمخرفين وأسماء الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات » حيث يقول : « فأما كتاب كليلة ودمنة فقد اختلف فى أمره فقيل عملته الهند وخبر ذلك فى صدر الكتاب وقيل عملته ملوك الأشكانية ونحلته الهند وقيل عملته الفرس ونحلته الهند وقال قوم إن الذى عمله بزرجمهر الحكيم أجزاء ، والله أعلم بذلك . كتاب سندباد الحكيم وهو نسختان كبيرة وصغيرة والخلف فيه مثل الخلف فى كليلة ودمنة والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنفته . »

وسواء وضع هذا الكتاب جماعة من الفرس أو الهنود من أهل الحكمة فإن نسخة پهلوية منه كانت موجودة حتى عهد السامانيين وقد نقلها إلى الفارسية بأمر من الأمير نوح ابن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى (٩٧٦/٣٦٦ — ٩٩٧/٣٨٧) الأستاذ العميد أبو الفوارس قناوزى ، ولم يعثر على هذه الترجمة . وفى سنة ٦٠٠/١٢٠٣ — ٤ أصلح وهذّب هذه الترجمة الفارسية بهاء الدين محمد بن على بن محمد بن عمر الظهيرى

(١) مروج الذهب ، طبعة مصر سنة ١٣٤٦ ، ص ٤٩

(٢) نشر فلوجل Flügel ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

السمرقندى الذى كان كاتباً للسلطان طمغاج خان ابراهيم ، السابق على الأخير من ملوك خانية ما وراء النهر وقد صاغ كتابه الجديد بلسان فارسى فصيح وأدخل فيه أشعارا وأمثالا عربية(١) . والظاهر أن الأزرقى قد نظم أو حاول أن ينظم ترجمة أبى الفوارس قناوزى(٢) . ومهما يكن فليس لدينا شىء من ترجمة الأزرقى لسندباد نامه . على أن الكتاب قد نظم مرة أخرى فى سنة ٧٧٦/١٣٧٤ ولا يعرف ناظمه ولكن نسخته محفوظة فى مكتبة India Office(٣) وقد تصفحها القزوينى فوجد نظمها غاية فى السخف والضعف وأنه لا يساوى شيئاً .

أما كتاب « ألفية وشلفية » فهو من الكتب القديمة أيضا السابقة على عصر الأزرقى أشار إليه ابن النديم فى الفهرست (ص ٣١٤) والبيهقى فى تاريخ مسعودى (ص ١١٦ طبعة طهران) .

فنسبته إلى الأزرقى غير صحيحة ، على أنه يحتمل أنه اهتم به فأصلحه وهذبه لطغانشاه .

(٢١) سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة : وقد جاء فى جميع النسخ « وخمسمائة » . وبديهى أن رقم خمسمائة خطأ وأن صحته أربعمائة بدليل :

أولا : كانت سلطنة ابراهيم الغزنوى من ٤٥١ إلى ٤٩٢ (١٠٥٩ — ١٠٩٨)

ثانيا : كانت سلطنة ملكشاه السلجوقى من ٤٦٥ إلى ٤٨٥ (١٠٧٢ — ١٠٩٢)

ثالثا : وكانت وفاة مسعود بن سعد بن سلمان فى سنة ٥١٥ (١١٢١) أو ٥٢٥ (١١٣٠)

رابعا : ألف كتاب چهار مقاله فى حدود سنة ٥٥٠ (١١٥٥)

(٢٢) لا نعلم بالتحقيق أين تكون وجيرستان . وكذلك لم يتحقق موقع ناى . وقد ورد ذكر هذا المكان فى كتاب « نزهة القلوب » لحمد الله المستوفى فى فصل « ربع مرو شاهجان » فقال إن قلعة ناى كانت محبس مسعود بن سعد بن سلمان .

ويذكر نظامى العروضى وكذلك سائر كتاب التذاكر أن حبس مسعود بن سعد كان كله فى قلعة ناى . وهذا سهو . والصحيح الذى يستفاد من أشعار مسعود نفسه فى مواضع

(١) يقول القزوينى إن فى المتحف البريطانى نسخة من هذه الترجمة وقد نقل هذه المعلومات عن ديباجتها .

(٢) انظر ص ١٧٧ من الحواشى الفارسية .

(٣) كتالوج Ethé ، رقم ١٢٣٦ .

عدة أنه حبس مرتين . المرة الأولى كانت عشر سنوات ، فى عهد السلطان ابراهيم ، منها سبع سنوات فى قلعتى سو ودهك وثلاث سنوات فى قلعة ناى . والمرة الثانية كانت سبع أو ثمانى سنوات فى قلعة مرنج .

ودهك منزل من منازل ما بين زَرَنج عاصمة سيستان و بُست الواقعة على حدود زابلستان أى مملكة غزنة[1] . ومرنج قلعة فى الهندوستان[2] . وأما سو فلا نعلم أين تكون .

(٢٣) لا يستغرب من السلطان ابراهيم الغزنوى عدم مبالاته بحبسيات مسعود بن سعد ابن سلمان فإن هذا السلطان كان قد قضى ثلاثة عشر عاما سجيناً فى قلاع بزغند وناى ، ولذا لم تكن حبسيات الشاعر غريبة عليه .

(٢٤) أبو نصر الفارسى : هو قوام الملك نظام الدين أبو نصر هبة الله الفارسى من أعيان دولة السلطان ابراهيم والسلطان مسعود بن ابراهيم الغزنوى .

وقد كان نائباً وقائداً لعضد الدولة شير زاد (ابن السلطان مسعود) فى الهندوستان . وقد غضب عليه السلطان مسعود بعد ذلك ولقى أصدقاؤه كثيراً من الشر بسبب غضب السلطان عليه ، ومن هؤلاء مسعود بن سعد بن سلمان الذى حبس فى قلعة مرنج ثمانى سنوات .

وتوفى أبو نصر الفارسى أيام ولاية أرسلانشاه بن مسعود بن ابراهيم (٥٠٩ — ٥١١ ١١١٥ — ١١١٧) .

(٢٥) ثقة الملك طاهر بن على مشكان ، وزير السلطان مسعود بن ابراهيم . وقد مدحه شعراء العصر ، مسعود بن سعد بن سلمان وأبو الفرج الرونى والمختارى الغزنوى وسنائى الغزنوى . وهو ابن أخى أبى نصر منصور بن مشكان الكاتب المشهور الذى كتب للسلطانين محمود ومسعود والذى صنف كتاب « مقامات بو نصر مشكان » وهو أستاذ أبى

---

(١) الاصطخرى ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ؛ ابن حوقل ص ٣٠٥ ؛ والمقدسى ص ٥٠

(٢) البرهان القاطع .

الفضـل البيهقى صاحب « تاريخ مسعودى » ولا تـكاد تخلو من ذكره صفحة من تاريخ البيهقى . وكانت وفاة أبى نصر سنة ٤٣١/١٠٣٩ .

(٢٦) سهو فى قول المصنف :

« وسمعت من سلطان العالم غياث الدنيا والدين ، عنـد باب همدان ، عن واقعة صهره الأمير شهاب الدين قتلمش .. »

أخطأ المصنف عدة أخطاء فى هذين السطرين ولـكى يتضح الموضوع نذكر خلاصة واقعة قتلمش .

شهاب الدولة قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق والد سليمان بن قتلمش جد ملوك سلاجقة الروم وابن عم طغرك بيك مؤسس الدولة السلجوقية فى العراق . وفى سـنة ٤٥٦/١٠٦٤ خرج قتلمش على ابن عمه السلطان الپ أرسلان وجاء إلى الرى بجيش كبير حيث لقيه الپ وقد أتى من نيسابور ، فهزمه ووجد قتلمش ميتاً . ولم يعرف هل قتل أم قضى لفراغ أجله . و بعد هذه الواقعة حكم الپ أرسلان غير منازع .

أما أخطاء نظامى العروضى فهى :

أولا : يجعل مولد غياث الدين محمد بن ملـكشاه بعد قتل قتلمش بسبع عشرة سـنة (ولد سنة ٤٧٣/١٠٨٠ — ١ وقتل قتلمش سنة ٤٥٦/١٠٦٤) فـكيف يمكن أن يحار به ؟

ثانيا : قتلمش هو ابن عم جد والد السلطان محمد بن ملـكشاه وليس صهره .

ثالثا : لقب قتلمش شهاب الدولة وليس شهاب الدين.

رابعاً : كان اسمه قتلمش فقط وليس قتلمش الپ غازى .

خامساً : جرت واقعة قتلمش فى الرى لا فى همدان .

سادساً : ليس من المعقول أن يحضر نظامى العروضى الذى ألف كتابه حوالى سـنة ٥٥٠/١١٥٥ واقعة حدثت سنة ٤٥٦ أى قبل تأليف كتابه بمائة سنة .

و يتساءل القزوينى عن سبب هذا الخلط الذى يذكر المصنف أنه سمعه شفاها ، فيرجح أن يدا عبثت بالـكتاب . ومهما يكن فإن عدة شخصيات عاشت فى أزمنة مختلفة ، بعضها متأخر عن المصنف بما يقرب من خمسين سنة قد اختلط بعضها ببعض . من هذه الشخصيات

شهاب الدولة قتلمش الذى عاش قبل تأليف الكتاب بنحو مائة سنة وقتل سنة ٤٥٦ . ومنها الپ غازى ابن أخت السلطان غياث الدين محمد الغورى المتوفى سنة ٦٠٠/١٢٠٣ — ٤ عند باب هراة فى الحرب مع السلطان محمد خوارزمشاه ؛ واسم «غياث الدين محمد» مشترك بين أميرين ، أحدهما غياث الدين محمد بن ملكشاه المتوفى سنة ٥١١/١١١٧ ويبدو من هذه الصورة ارتباطه بشهاب الدولة قتلمش فكلاهما أمير سلجوقى ، والثانى غياث الدين محمد بن سام الغورى المتوفى سنة ٥٩٩/١٢٠٢ — ٣ ومن هذه الصورة تظهر صلته مع الپ غازى فإن هذا ابن أخته .

(٢٧) الملوك الخاقانية : هم الذين يذكرون فى كتب التاريخ بآل خاقان والخانية والإيلك خانية وآل افراسياب . وهم سلسلة من الملوك الترك المسلمين الذين حكموا ما وراء النهر زهاء ثلاثين ومائتين من السنين (٣٨٠ — ٦٠٩/٩٩٠ — ١٢١٢ — ١٣) ، وذلك بعد دولة السامانيين وقبل المغول . فهم الذين قضوا على آل سامان فى ما وراء النهر . وقد قضى عليهم الخوارزمشاهية . وكانت هذه السلسلة من آل خاقان تارة مستقلة وتارة تدفع الجزية للسلاجقة أو القراخطائيين فيما وراء النهر وطوراً للخوارزمشاهية .

وليس تاريخ هذه الطائفة واضحاً . وما ذكر عنهم فى كتب التاريخ ضعيف وناقص ومتناقض ولا يتفق فيه اثنان . وابتداء ظهورهم ليس محققاً . ولا يُعلم متى أسلموا . وأول من يذكر منهم هو هرون بن سليمان المعروف ببغراخان إيلك والملقب بشهاب الدولة وهو الذى فتح بخارى[١] سنة ٣٨٣/٩٩٣ . وقد خلفه شمس الدولة نصر بن على بن موسى بن سُتُق المعروف بإيلك خان[٢] وقد فتح بخارى مرة ثانية سنة ٣٨٩/٩٩٩ وقضى على الدولة السامانية فيما وراء النهر، وآخرهم نصرة الدين قِلِج أرسلان خاقان عثمان بن قِلِج طَمْغاج خان ابراهيم[٣] الذى قتله فى سنة ٦٠٩/١١١٢ — ١٣ السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ودخلت بلاد ما وراء النهر فى ملك الخوارزمشاهية[٤] .

(١) انظر ص ١١٣ — ١١٤ من هذا الكتاب .
(٢) ذكره ابن الأثير سهواً ، باسم أبى نصر بن أحمد .
(٣) تراجع ترجمة حياة هذين الملكين فى لباب الألباب الجزء الأول ص ٤٢ — ٤٦ .
(٤) ابن الأثير حوادث سنة ٦٠٤ .

ويظهر أن أول من كتب تاريخهم هو الإمام شرف الزمان مجد الدين محمد بن عدنان السُرْخَسكَتى (لباب الألباب ج ١ ص ١٧٩ — ١٨١) وهو خال نور الدين محمد عوفى صاحب اللباب وجوامع الحكايات . وقد ألف ابن عدنان كتابه باسم السلطان قلج طمغاج خان السابق على آخر ملوك الأسرة .

ويقول الحاج خليفة فى كشف الظنون : « تاريخ تركستان لمجد الدين محمد بن عدنان ألفه لطغماج (طمغاج) خان من ملوك ختاى (كذا) ذكر فيه اسم الترك وغرائب تركستان » . وقد نقل عنه عوفى فصلا فى كتابه جوامع الحكايات[1] الذى ألف حوالى سنة ١٢٣٢/٦٣٠ ، ويستفاد من نقله هذا أنه رأى الكتاب بالفعل يقول : « إن مجد الدين محمد بن عدنان رحمه الله قد وضع تاريخاً قدمه للسلطان إبراهيم بن طمغاج خان وقد استوفى فيه ذكر ملوك الترك . وجاء فى هذا الكتاب أن أحد ملوك تركستان واسمه بلج (كذا) قد صاهر أحد ملوك إيران واسمه حسويه (كذا — حسنويه ؟) . فلما أرسل ملك إيران صداق كريمة ملك الترك بعث بتحف وهدايا لا تعد ، ومن جملتها غلام زنجى وقد كان فى تركستان أعجوبة فإن الناس هناك لم يروا آدميا بصورته ولونه . وكان هذا الفتى يحضر مجالس السمر كلها وكان ذا قوة وشجاعة وذكاء . ولهذا فقد كان له تأثير عظيم على الملك حتى جعله من خاصته فعلت مكانته واشتدت صولته ، حتى انتهز الفرصة وهاجم الملك وقتله فجأة واستولى على ملكه ثم غلب على أكثر ممالك تركستان . ويسمونه قراخان أى الملك الأسود ، وهو اسم مشهور فى بلاد الترك وظهوره لهذا السبب » .

ولم يعثر على هذا الكتاب بعد[2] .

والمصادر التى يرجع إليها فى تاريخ هذه الطبقة هى :

(١) طبع منه حديثاً جزء فى طهران بعنوان « منتخب جوامع الحكايات ولوامع الروايات » ١٣٢٤ . والنص مأخوذ عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس Supplément Persan 906, f. 340 b.

(٢) ذكر القزوينى فى الملحوظة ٢ ص ١٨٦ أن هذا الكتاب غير كتاب « تاريخ خطاى » الموجود بمكتبة ليدن بهولاندة فإن هذا الكتاب الأخير هو رحلة قام بها تاجر اسمه سيد على أكبر ولقبه خطائى كتبها سنة ٩٢٢ باسم السلطان سليم خان العثمانى ومنه نسخة استنسخها شيفر Schefer فى المكتبة الأهلية بباريس .

أولا : تاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن خلدون ففيهما شذرات عن هذه الأسرة ، ولكن المعلومات التى بهما مشتتة ومضطربة .

ثانياً : تاريخ جهان آرا للقاضى أحمد الغفارى[١] ، فقد كتب فصلا جامعاً مفيداً عن هذه الجماعة ، ولو أن كتابته لم تأت بجديد إلا أنه جمع ماجاء فى الكتابين السابقين فى فصل واحد .

ثالثاً — مجمع التواريخ وهو كتاب جامع للتاريخ لا يعرف مصنفه . ومنه مجلدان فى المكتبة الأهلية بباريس[٢] ، وفى واحد منهما فصل جامع فى ذكر حكومة آل أفراسياب ، يقع فى سبع صفحات كبيرة .

رابعاً : الترجمة الإنجليزية لكتاب « طبقات ناصرى » التى قام بها راڤرتى (ص ٩٠٠ — ٩١١) ، ففيها شرح تاريخ هذه الطائفة جمعه المترجم من كتب متفرقة ، وقد اختلط فيه الغث والسمين والصحيح والسقيم

خامساً : مقال السر هنرى هورث فى الجمعية الأسيوية الملكية ، ذكر فيه أقوال مؤرخى العرب ونقل عن كتاب تركى « تذكرة بغراخان » . وهو خير ما كتب فى الموضوع[٣] .

سادساً : الشذرات المتفرقة فى « تاريخ اليمينى » و « تاريخ البيهقى » و « تاريخ بخارى » للنرشخى و « تاريخ السلجوقية » لعماد الدين الكاتب الإصفهانى ، و « تاريخ السلجوقية» لأبى بكر الراوندى ، «وجهانكشاى» الجوينى ، و «لباب الألباب» و « جوامع الحكايات » لعوفى ، وكتاب « چهار مقاله » هذا وغيرها . ذلك أن تاريخ آل خاقان مرتبط أشد الارتباط بتاريخ الغزنويين والسلاجقة والخوارزمية . فلا مفر لمن يريد أن يستقصى تاريخ الخاقانيين من أن يرجع إلى تاريخ هذه الأسر كلها .

سابعاً : قصائد الشعراء الذين مدحوهم ، مثل الرشيدى السمرقندى والمختارى الغزنوى

(١) المتحف البريطانى Or 141. f.132 a — 134 b.

(٢) Supplément Persan 1331, f. 132 b — 136 a.

(٣) Sir Henry Howorth : Afrasyabi Turks: Journal of the Royal Asiatic Society. 1898, pp. 467 — 502.

وسوزنى السمرقندى ورضى الدين النيسابورى وعمعق البخارى وشمس الطبسى وغيرهم .

ويلاحظ أن المراجع السابقة لم تذكر شيئاً عن قلج طمغاج خان الذى سبق آخر آل خاقان ، وإنما ذكره عوفى وحده فى «لباب الألباب» وكان هذا الخان محبا للعلم والعلماء وقد ألفت باسمه بعض الكتب منها « تاريخ ملوك تركستان » لمجد الدين محمد بن عدنان ومنها « انشاء سندباد » لبهاء الدين الظهيرى السمرقندى وقد تحدثنا عنه ، و « أعراض الرياسة فى أغراض السياسة » له أيضاً ، ومنه نسخة فى مكتبة ليدن[١] ، و « سمع الظهير فى جمع الظهير[٢] » له أيضاً . وقد خلد اسمه الشاعر الكبير رضى الدين النيسابورى .

(٢٨) السلطان خضر بن إبراهيم هو خضر خان بن طفغاج خان إبراهيم بن نصر أرسلان المعروف بإيلك بن على بن موسى بن ستق ، وقد خلف أخاه شمس الملك سنة ٤٧٤ ومات بعد قليل[٢] .

(٢٩) لم يذكر اسم هذا الموضع فى المصادر الجغرافية العربية ، ولكن جاء فى البرهان القاطع أنه قرية من محال طوس .

(٣٠) طبران مدينة فى تخوم قومس

(٣١) شهريار بن شروين بن رستم بن سرخاب بن قارون بن شهريار بن شروين ابن سرخاب بن مهرمردان بن سهراب . ويذكر خطأ فى مخطوطات « چهار مقاله » باسم شهرزاد .

ويقول ابن اسفنديار فى كتابه « تاريخ طبرستان[٣] » إن شهريار حكم مدة طويلة وقد عاصر شمس المعالى قابوس بن وشمكير وكذلك عاصر السلطان محمود الغزنوى . ولما كان تاريخ إتمام الشاهنامة سنة ٤٠٠ فإن وفاته حدثت بعد هذا التاريخ .

(٣٢) الإمام الفقيه أبو بكر محمد بن إسحق بن محمشاد الذى كان رئيس طائفة

(١) فهرست مكتبة ليدن ج ٣ ص ١٤ ؛ حاجى خليفة فى باب الألف ؛ ولباب الألباب ج ١ ص ٩١ .

(٢) لباب الألباب ج ١ ص ٩١ ؛ حاجى خليفة فى باب السين .

(٣) طبع هذا الكتاب فى مجموعة جب ، كما أعيد طبعه حديثا على نسخة أتم فى طهران بسعى واهتمام عباس إقبال ، ص ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ من المجلد الأول .

الـكرامية فى نيسابور فى عهـد السلطان محمود الغزنوى . وقد ذكرت ترجمته فى « تاريخ اليمينى » . والـكرامية فرقة إسلامية تقول بالتجسيم والتشبيه . ومَحمشاد كلمة تكثر فى أسماء أعلام الطائفة الكرامية . ويقال إنها تخفيف « محمد شاد » . ويؤيد هذا اسم « أحمد شاد » الذى يطلق على بعض الناس ومنهم شمس الدين أحمد شاد الغزنوى الذى عاصر السلطان محمد ابن محمود السلجوقى .

(٣٣) ملك الجبال لقب ملوك الغور عامة ولقب قطب الدين محمد بن عز الدين حسين خاصة ، وهو الذى سمه بهرامشاه الغزنوى ، فثأر له أخوه السلطان علاء الدين الغورى ، كما ثأر لأخيـه الآخر سيف الدين سورى وحرق غزنين سبعة أيام بلياليها ؛ وكان المصنف من خاصته

(٣٤) ورساد أو ورشاد اسم ولاية فى بلاد الغور كان يحكمها ملك الجبال قطب الدين محمد المذكور .

حواشى المقالة الثالثة

(١) أبو الريحان محمد بن أحمد البَيْرُونى الفيلسوف الرياضى المشهور . ولد سنة ٣٦٢/٩٧٢ وتوفى فى غزنة سنة ٤٤٠/١٠٤٨ فى السابعة والسبعين من عمره .

ولد فى ضواحى مدينة خوارزم ، ومن هنا سمى البَيْرُونى من بيرُون بمعنى الخارج . يقول السمعانى فى كتاب الأنساب ، وهو مؤلف بعد موت البيرونى بنحو مائة سنة : « البيرونى بفتح الباء وسكون الياء نسبة إلى خارج خوارزم فإن بها من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها ، يقال له فلان بيرونى ... والمشهور بهذه النسبة أبو الريحان المنجم البيرونى » .

والظاهر أن البيرونى أمضى أوائل عمره فى كنف ولاة خوارزم المأمونيين المشهورين بالخوارزمشاهية ، وكان هؤلاء يحبون العلماء وأهل الفضل ويشجعونهم ، فكان بلاطهم مجمعاً لهم .

ثم إن البيرونى قضى عدة سنوات فى جرجان فى بلاط شمس المعالى قابوس بن وشمگير الذى حكم جرجان وما حولها مرتين ، من سنة ٣٦٦/٩٧٦ حتى ٣٧١/٩٨١ ثم من سنة ٣٨٨/٩٩٨ حتى ٤٠٣/١٠١٢ ، وقد ألف البيرونى كتابه « الآثار الباقية » باسم هذا الأمير سنة ٣٩٠/٩٩٩ .

وفيما بين سنتى ٤٠٠/١٠٠٩ و ٤٠٧/١٠١٦ عاد البيرونى إلى بلده خوارزم وعاش مدة طويلة فى بلاط أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه ، وقد شاهد البيرونى ثورة الأمراء على هذا الوالى كما شاهد غارة محمود الغزنوى على بلاده انتقاما .

وألف البيرونى كتاباً خاصاً بخوارزم سماه « تاريخ خوارزم » ويقال إنه جمع فيه جميع الأخبار والآثار والقصص المتعلقة بوطنه وخاصة الوقائع التاريخية التى شاهدها بنفسه . والغالب أن يعتبر هذا الكتاب مفقوداً . ولكن أبا الفضل البيهقى أورد عدة فصول منه فى آخر كتابه « تاريخ المسعودى » .

و بعد أن فتح محمود الغزنوى خوارزم سار البيرونى مع بقية العلماء الذين كانوا فى البلاط المأمونى إلى غزنة ، وذلك فى ربيع عام ١٠١٧/٤٠٨ . ومنذ هذا التاريخ استقر البيرونى فى غزنة ، ولكنه كان يسافر إلى بلده من حين إلى حين . كما أنه صاحب السلطان محمود الغزنوى فى أغلب غزواته لبلاد الهند . وهناك صاحب العلماء والفلاسفة وتعلم اللغة السنسكريتية واتسعت ثقافته بما أفاد من الحكماء الهنود فى التاريخ والرياضة والجغرافية والعلوم الطبيعية .

وفى هذه الرحلات جمع علوم الهنود ومذاهبهم وعوائدهم وهى المواد التى ألف منها كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » . وقد طبع هذا الكتاب على نفقة حكومة الهند فى لندن سنة ١٨٨٧ ، باهتمام المستشرق ساخاو Sachau

و يتضح من كتاب البيرونى هذا أنه كان ملماً باللغة السنسكريتية و بقليل من العبرية والسريانية ، وأنه لم يكن يعرف اليونانية بل استقى كتاباته عنها من التراجم العربية أو السريانية . ثم إن مؤلفاته كانت بإحدى اللغتين العربية أو الفارسية .

وقد أخذ البيرونى كثيراً من معلوماته التى قيدها فى كتبه من أفواه العلماء لا من بطون الأسفار ، فالمعلومات الطريفة فى التاريخ وتقويم الزردشتيين وأهل خوارزم والصغد وسمرقند قد أخذها عما سمع من العلماء والحكماء وأهل المذاهب فى الأمم المختلفة . وقد شاع فى عهده دين زردشت وكانت بيوت النار قائمة فى مدن كثيرة — حيث سافر — ، ومن هنا جمع معلومات قيمة عنهم .

وقد عدد البيرونى كتبه التى ألفها حتى سنة ١٠٣٦/٤٢٧ حين أتم الخامسة والستين من عمره وذلك فى رسالة أوردها ساخاو فى مقدمته للآثار الباقية (ص ٤٠ — ٤٨) . وقد قسم برون Browne — فى تعليقاته على چهار مقاله (ص ١٢٨) هذه الكتب التى أربت على المائة إلى ثلاثة عشر قسما . ثم لاحظ أن حاجى خليفة قد ذكر خمسة عشر كتابا تنسب إلى البيرونى علاوة على الكتب السابقة . ولعله ألف هذه الكتب بعد الخامسة والستين من عمره . ولاحظ برون أن أغلبها ممكن إدخاله ضمن الكتب المذكورة فى رسالته .

و يشير البيرونى فى رسالته هذه إلى علماء ثلاثة ألفوا كتباً باسمه هم أبو نصر منصور بن

ابن العراق وأبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى وأبو على الحسن بن على الجيلى (صفحات ٤٧ و ٤٨ من مقدمة ساخاو) . على أن أشهر كتب البيرونى كتاباه : «الآثار الباقية» و«تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » ، وفى أولهما نقص فى بعض الفصول وخاصة فيما يتعلق بدين زردشت . وفى بيترسبورج نسخة خطية من الكتاب ، يمكن أن تعوض هذا النقص لأنها أكمل من النسخة التى نشرها ساخاو .

(٢) كتاب التفهيم فى صناعة التنجيم : كتاب فى مقدمات علوم الهيئة والهندسة والنجوم ، بطريق السؤال والجواب ، ألفه أبو الريحان البيرونى سنة ٤٢٠/١٠٢٩ أو سنة ٤٢٥/١٠٣٣ من أجل ريحانة بنت الحسن الخوارزمية ، وقد كتبه باللغتين العربية والفارسية ، غير أنه جعل أحدهما ترجمة للآخر . ويوجد من كليهما نسخ عديدة فى مكتبات أوربا (ريو Rieu ص ٤٥١) .

(٣) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الفقيه الأصولى الشافعى المتوفى سنة ٤٢٩/١٠٣٧ .

(٤) صدباب سجزى ، هو أحد مؤلفات أحمد بن عبد الجليل السجزى وسيأتى ترجمته

(٥) تفسير النيريزى : النيريزى هو أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزى ، كان إمام عصره فى العلوم الرياضية وخاصة علم الهيئة ، وكان معاصرا للمعتضد بالله العباسى (٢٧٩ — ٢٨٩ ومن ٨٩٢ — ٩٠١) . ومن جملة كتبه تفسير مجسطى بطليموس وهو المقصود بالذكر هنا . ونيريز بلد فى فارس ، تشتبه بتبريز كما يقول القفطى فى ترجمته .

(٦) أبو معشر البلخى : أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى من مشاهير منجمى القرن الثالث الهجرى . ابتدأ حياته كعالم من أصحاب الحديث ، وكان يسكن غرب بغداد . وقد خاصم يعقوب بن إسحق الكندى الفيلسوف المعروف وأثار عليه العامة ، وقد اتفق هذا مع جماعة من أصحابه ليحسنوا لأبى معشر تعلم الحساب والهندسة ، فأحبهما وانكب على دراستهما ولكنه لم يكمل له العلم بهما ورأى أن يتعلم علم النجوم ، فانقطع بذلك شره عن الكندى . ويقال إنه تعلمه وهو فى السابعة والأربعين . (أنظر الحاشية ١٠٢) .

وقد أمر خليفة بغداد المستعين بالله بضرب أبى معشر بالسوط لأنه يتنبأ بالأمور قبل

وقوعها ويحدث أن تقع فعلا ، فلما سئل أبو معشر عن سر ضربه بالسوط قال : أصبت فعوقبت .

وتوفى أبو معشر فى الثامن والعشرين من رمضان سنة ٢٧٢/٨٨٦ (٨ مارس) وكان قد جاوز المائة سنة . ويذكر له ابن النديم والقفطى ما يقرب من أربعين كتاباً ، ويوجد من كتبه حوالى الإثنى عشر كتاباً فى مكاتب أوربا (أنظر تاريخ علوم العرب لبروكلمن ج ١ ص ٢٢١ — ٢٢٢) .

(٧) أحمد عبد الجليل السجزى من مشاهير الرياضيين والمنجمين فى القرن الرابع ، وله تآليف كثيرة فى علم النجوم والهندسة والحساب والهيئة ، منها كتابه « الجامع الشاهى » وهو مجموعة من خمس عشرة رسالة فى النجوم والاختيارات وزايرجات الطالع ونحوها ، منه نسخة ممتازة فى المتحف البريطانى (انظر ذيل فهرست الكتب العربية ريو ص ٥٢٨) . يقول السجزى فى الورقة ٥٧ منها :

« وهذا جدول لمواضع الكواكب الثابتة فى الطول والعرض لسنة ثلاثين وثلاثمائة من يزجرد بن شهريار ... » . وسنة ٣٣٠ يزدجردية توافق سنة ٣٥١ هجرية . ويقول فى الورقة ٩٠ : «إنه يسوق السنين اليزدجردية حتى سنة ٣٥٨» أى حتى سنة ٣٨٠ هجرية . وعلى هذا يحدد زمن كتابه .

وقد عاش غالب حياته فى رعاية عضد الدولة الديلمى فى شيراز (٣٣٨ — ٣٧٢ ومن ٩٤٩ — ٩٨٢) وكتب كثيراً من مؤلفاته باسمه .

وفى المكتبة الأهلية بباريس (Bibliothèqe Nationale) مخطوط من أقيم مخطوطاتها يحوى إحدى وأربعين رسالة فى علم الحساب والهندسة والهيئة من تأليف علماء مختلفين من مشاهير الرياضيين ؛ وهذه المجموعة مكتوبة بخط أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزى ، كتبها فى السنوات : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ فى شيراز أيام عضد الدولة الديلمى . وهو ، ولو أنه لم يذكر اسمه فى كل الرسائل ، إلا أن الواضح أنه كتبها بنفسه ما عدا الأخيرة التى كتبها أحد مالكى هذه الرسائل فى سنة ٦٥٨/١٢٥٩ .

أما هو فكان يكتب اسمه والتاريخ فى آخر كل رسالة . فنجد فى آخر الورقة ١٨ قوله :

« تمت المقالة بحمد الله ومنّه ، وصلى الله على محمد وآله ، وكتبه أحمد بن محمد بن عبد الجليل بشيراز فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة » .

وفى آخر الورقة ٤٢ :

« تمت المقالة الثانية وتم تفسير المقالة العاشرة من كتاب أوقليدس نقل أبى عثمان الدمشقى والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم ، كتبه أحمد بن محمد بن عبد الجليل بشيراز فى شهر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة » .

وفى آخر الورقة ٧٥ :

« تم ما وجد بخط أبى الحسن ثابت بن قرة الصابى فى هذا المعنى ولله الحمد ولىّ العدل وواهب العقل كما هو له أهل ، وكتبه أحمد بن محمد بن عبد الجليل من نسخة نظيف بن عبد النصرانى المتطبب بشيراز » — (نظيف النفس أو نظيف القس الرومى من أطباء عضد الدولة الديلمى وترجمته فى تاريخ الحكماء القفطى ص ٣٣٧—٣٣٨ وفى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٣٨)

وفى آخر الورقة ١٢٢ :

« تمت المقالة فى مساحة المجسمات المكافئة لثابت بن قرة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله ، وكتبه أحمد بن محمد بن عبد الجليل بشيراز ليلة السبت لثمان بقين من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة »

وفى آخر الورقة ١٣٦ :

« تم كتاب إبراهيم بن سنان بن ثابت فى مساحة القطيع المكافىْ كتبه أحمد بن محمد ابن عبد الجليل بشيراز فى ماه أردى بهشت سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة يزدجردية ، ولله الحمد والمنّة » .

وسنة ٣٣٨ يزدجردية تطابق سنة ٣٥٩ هجرية .

وفى آخر الورقة ١٨٠ :

« تم كتاب أبى الحسن ثابت بن قرة فى الأعداد التى تلقب بالمتحابة وهو عشرة أشكال كتبه أحمد بن محمد بن عبد الجليل بشيراز من نسخة أبى الحسن المهندس أيده الله فى آخر خرداد ماه سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ليزدجرد » .

وفى آخر الورقة ١٨٧ :

« تم بحمد الله ومنّه وصلى الله على محمد وآله ، كتبه أحمد بن محمد بن عبد الجليل من نسخة سيدى أبى الحسن المهندس بإصلاحه بشيراز »

وقد فصلنا الكلام عن هذه التوقيعات لنبين أهمية هذه الرسائل وموضوعها .

ومجموع مؤلفات أحمد بن عبد الجليل السجزى الموجودة فى مكاتب أوربا تبلغ تسعة وعشرين مؤلفا ، منها خمس عشرة رسالة يتضمنها كتاب « جامع الشاهى » فى المتحف البريطانى . (انظر ريو فى ذيل كتالوج المخطوطات العربية ص ٥٢٨ — ٥٣٠ — Rieu, Supplement to the catalogue of the Arabic Manuscripts)

وثمان رسائل فى المكتبة الأهلية بباريس (ص ٤٣١ — ٤١٤ ,De Slane) Catalogue des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale

وله ست رسائل أخرى فى المكاتب المختلفة بأوربا . (انظر تاريخ علوم العرب لبروكلمن ج ١ ص ٢١٩) .

وعلاوة على هذه الرسائل التسع والعشرين فإن نظامى العروضى ينسب إليه ص ٥٤ كتاب « صد باب » ، كما ينسب إليه حاجى خليفة رسالة فى الاسطرلاب (كشف الظنون باب الراء) .

(٨) كوشيار الجيلى : هو كيا أبو الحسن كوشيار بن لبان بن باشهرى الجيلى (من جيلان) من مشاهير المنجمين وكبار الفلكيين فى عصره ، لا توجد ترجمة حياته فيما لدينا من كتب . ويستنتج من كتاباته أنه عاش فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى . وقد جاء فى كتاب « مجمل الأصول » (المتحف البريطانى Add. ٤٩٠ الورقة ٢٢ (b)) وهو من كتبه المعروفة : « وكان من ابتداء الأدوار إلى عند حلول الشمس ٢٠ درجة و ١٤ دقيقة من الحوت فى سنة ٣٢١ ليزدجرد انقضت . . » وسنة ٣٢١ يزدجردى تطابق ٣٤٢

هجری . و يقول فی موضع آخر من نفس الكتاب : « فأما مواضعها (الكواكب الثابتة) فهی لأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة يزدجردية . . » وهی تطابق سنة ۳۸۳ ﻫ
ومن هذا يتضح أنه عاش بين سنتی ۳٤۲ و ۳۸۳ هجرية ، ومن هذا يعرف عصره (۹۵۲ و ۹۹۳) .

وقد ذكره صاحب كشف الظنون تحت « زيج كوشيار » فی سنة ٤۵۹ وهو سهو واضح .

وله أربعة كتب فی مكاتب أوربا . (أنظر بروكلمن : تاريخ علوم العرب ج ۱ ص ۲۳۲ — ۲۲۲) .

(۹) مجمل الأصول لكوشيار : توجد منه نسخة ممتازة فی المتحف البريطانی (۷٤۹۰ — Add) . وقد ذكر حاجی خليفة « مجمل الأصول » و « مدخل فی علم النجوم » على أنهما كتابان ، والحقيقة أنهما كتاب واحد .

(۱۰) كارمهتر : اسم كتاب فی علم النجوم ألفه حسن بن الخصيب من حذاق المنجمين فی القرن الثانی الهجری ومن معاصری يحيى بن خالد البرمكی .

(انظر فهرست ابن النديم ص ۲۷٦ وتاريخ الحكماء للقفطی ص ۲٦۵) .

(۱۱) القانون المسعودی : من أجل وأنفس كتب أبی الريحان البيرونی فی علمی الهيئة والنجوم ، ألفه بين سنتی ٤۲۲ و ٤۲۷ (۱۰۳۰ و ۱۰۳٦) باسم السلطان مسعود الغزنوی
والكتاب ينقسم إلى إحدى عشرة مقالة ، كل مقالة مقسمة إلى أبواب . وفی المتحف البريطانی نسخة كبيرة الحجم وممتازة منه تشتمل على ۲٦۲ ورقة . وقد ذكر ريو Rieu فی ذيل المخطوطات العربية صفحات ۵۱۳ — ۵۱۹ فهرستاً كاملا لأبواب وفصول هذا الكتاب .

(۱۲) أبو سيف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عمران بن إسمعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدی كرب الكندی الحكيم المشهور الملقب بفيلسوف العرب .
وقد أشيع عنه أنه يهودی والحقيقة أنه عربی مسلم ، وكان أجداده أمراء فی الجاهلية وفی

الإسلام ، وتذكر كتب التاريخ كثيراً من مناقبهم ، وجده الأعلى أشعث بن قيس من الصحابة .وقد ارتد أيام أبى بكر ثم عاد إلى الإسلام ؛ وقد زوجه أبو بكر أخته أم فروة فولدت محمد بن الأشعث جد صاحب الترجمة . ومحمد بن الأشعث هذا من أمراء بنى أمية المشهورين ؛ وهو الذى أسر مسلم بن عقيل بن عم الحسين بن على عليه السلام فى الكوفة وسلمه إلى ابن زياد ، وابنه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خرج أيام الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ، وله فتنة معروفة ؛ ووالد صاحب الترجمة يعقوب بن إسحق بن الصباح كان أمير الكوفة من قبل المهدى والرشيد . ويقول القفطى فى تاريخ الحكماء عن صاحب الترجمة :

« المشتهر فى الملة الإسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية . . ولم يكن فى الإسلام من اشتهر عند الناس بمعاناة علوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غير يعقوب هذا » .

وقال صاحب الفهرست (ص ٢٧٧) :

« كان أبو معشر أولا من أصحاب الحديث ومنزله فى الجانب الغربى من بغداد بباب خراسان وكان يضاغن الكندى ويغرى به العامة ويشنّع عليه بعلوم الفلاسفة فدسّ له الكندى من حسّن له النظر فى علوم الحساب والهندسة فدخل فى ذلك فلم يكمل له فعدل إلى علم أحكام النجوم وانقطع شره عن الكندى بنظره فى هذا العلم لأنه من جنس علوم الكندى » وبقية الحكاية خرافة .

والكندى من أعظم الفلاسفة وأشهر الأطباء والرياضيين العرب ، وهو فى تبحره فى العلوم وكثرة تآليفه يضارع أرسطو وابن سينا . وقد صنف فى شتى العلوم من المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والموسيقى والنجوم والطب ما يقرب من سبعين ومائتين بين كتاب ورسالة ، وقد قسمها ابن النديم (ص ٢٥٥) إلى سبعة عشر نوعا . وله فى مكاتب أوربا ما يقرب من عشرين كتاباً ورسالة (بروكلمن ج ١ ص ٢٠٩ — ٢١٠) .

ويقول عنه الأستاذ مسنيون :

« إنه إمام أول مذهب فلسفى إسلامى فى بغداد وله أبحاث طريفة ، ثم إليه يرجع

الفضل بعد ذلك فى تحرير جملة من التراجم العربية لمصنفات يونانية فى الفلسفة[1] » .

والمرجح أن الكندى ولد حوالى سنة ١٨٥/٨٠١ ، كما ذهب ده بوير De Boër فى دائرة المعارف الإسلامية ، وأنه توفى فى أواخر سنة ٢٥٢/٨٦٦ كما يرجح المغفور له صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا (ص ٥١ من فيلسوف العرب والمعلم الثانى) .

راجع فى ترجمته : الفهرست ص ٢٥٥ — ٢٦١ ؛ وتاريخ الحكماء للقفطى ص ٣٦٦ ٣٧٨ ؛ وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢١٦ — ٢١٤ ؛ وتاريخ أبى الفرج المعروف بابن العبرى ص ٢٥٩ ثم الأبحاث التى ذكرت فى « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » .

(١٣) ملك الجبال ، يعنى قطب الدين محمد بن عز الدين حسين أول الملوك الغورية الذى قتله بالسم بهرامشاه الغزنوى .

(١٤) دشت خوزان : تطلق خوزان على عدة مواضع منها قرية فى نواحى پنجديه وهى المقصودة هنا .

(١٥) محمد خان المعروف بأرسلان خان بن سليمان بن داود بن بغراخان بن ابراهيم طفغاج خان بن إيلك خان نصر بن على بن موسى بن ستق من ملوك ما وراء النهر الخانية ولاّه السلطان سنجر سنة ٤٩٥/١١٠١ سلطنة بلاد ما وراء النهر بعد قتل قدرخان جبريل و بعد تسع وعشرين سنة ، سنة ٥٢٤/١١٢٩ أسره وخلعه . (ابن الأثير سنة ٥٠٧)

(١٦) هذا سهو ، فإن المؤرخين متفقون على أن نظام الملك قتل فى نهاوند .

(١٧) أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيامى (أو الخيام) النيسابورى من مشاهير الفلاسفة والرياضيين فى أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل السادس ، وقد ذاع صيته فى الشرق والغرب بفضل رباعياته التى كتبها فى أوقات فراغه شحذا للذهن وترويحا عن النفس ؛ وقد ترجم له أو ذكر بعض أخباره معظم كتاب التراجم الفارسية والعربية .

(١) Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la Mystique en pays de l'Islam, Paris, 1929.

وأقدم الكتب التى تحدثت عن الخيام كتاب چهار مقاله فإن مصنف هذا الكتاب كان معاصراً للخيام ، وقد كان معه فى مجلس من مجالس السرور فى سنة ٥٠٦/١١١٢ ، ثم إنه زار قبره فى سنة ٥٣٠/١١٣٥ .

ثم تردد اسم الخيام فى أشعار خاقانى شروانى المتوفى على الأرجح سنة ٥٩٥/١١٩٨ .

ومن بعده ذكره الشيخ نجم الدين أبوبكر الرازى المعروف بدايه فى كتاب مرصاد العباد الذى ألفه سنة ٦٢٠/١٢٢٣ . وقد نقل القزوينى نص هذا الكتاب عن الخيام من « المظفرية »[1] (٣٤١ — ٣٤٢) .

وأقدم الكتب التى تناولت ترجمة الخيام بعد مرصاد العباد كتاب نزهة الأرواح وروضة الأفراح فى تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى الذى ألف ما بين سنتى ٥٨٦ — ٦١١ (١١٩٠ — ١٢١٤) . وهذا الكتاب مكتوب باللغتين الفارسية والعربية ، وقد نقل القزوينى النص العربى عن المظفرية :

وهو هذا :

« عمر الخيامى النيسابورى الآباء والبلاد . وكان تلو أبى على فى أجزاء علوم الحكمة إلا أنه كان سيئ الخلق ضيق العطن ، وقد تأمل كتاباً بإصفهان سبع مرات وحفظه وعاد إلى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخة الأصل فلم يوجد بينهما كثير تفاوت ، وله ضنّة بالتصنيف والتعليم وله مختصر فى الطبيعيات ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف وكان عالما بالفقه واللغة والتواريخ . ودخل الخيام على الوزير عبد الرزاق وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالى وكانا يتكلمان فى اختلاف القراء فى آية فقال الوزير على الخبير سقطنا فسأل الخيام فذكر اختلاف القراء وعلل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجها واحداً ، فقال الغزالى كثر الله فى العلماء مثلك فإنى ما ظننت أن أحداً يحفظ ذلك من القراء فضلا

(١) « مجموعة » ألفها أحد عشر معلما من تلاميذ الأستاذ دكتور رزن بمناسبة مضى خمسة وعشرين عاما على تعليمه اللغة العربية فى جامعة بطرسبورج ، وفى سنة ١٨٩٧ طبعت هذه المجموعة وسميت « المظفرية » نسبة إلى دكتور أستاذهم ومعناه بالعربية « المظفر » . وقد كتب ولانتن ژوكوفسكى (Valentin Zhukovski) من كبار المستشرقين الروس وأحد تلاميذ دكتور رزن مقالة نفيسة عن الخيام والنص الذى ينقله القزوينى مذكور فى صفحات ٣٢٧ — ٣٢٩ من المظفرية .

عن واحد من الحكماء . وأما أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها...

ودخل الخيامى على السلطان سنجر وهو صبي وقد أصابه الجدرى فلما خرج سأله الوزير كيف رأيته وبأى شيء عالجته ، فقال عمر : الصبي مخوف فرفع خادم حبشي ذلك إلى السلطان . فلما برأ السلطان أبغضه وكان لا يحبه . وكان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك فى بخارى يعظمه غاية التعظيم ويجلسه معه على سريره . وحكى أنه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الإلهيات من الشفاء فلما وصل إلى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى وأوصى ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى العشاء الأخيرة سجد وكان يقول فى سجوده اللهم إنى عرفتك على مبلغ إمكانى فاغفرلى فإن معرفتى إياك وسيلتى إليك ومات رحمه الله . وله أشعار حسنة بالفارسية والعربية ومنها :

يدبر لى الدنيا بل السبعة العلى ... بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطرى
أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية ... عفافا وإفطارى بتقديس فاطرى
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت ... بطرق الهدى من فيضى المتقاطر

وقال :

إذا قنعت نفسى بميسور بُلغة ... يحصلها بالكد كفى وساعدى
أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يا زمانى موعدى ومساعدى(١)
متى دنت دنياك كانت مصيبة ... فوا عجباً من ذا القريب المباعد
إذا كان محصول الحياة منية ... فشتان حالا كل ساع وقاعد

وقال :

زجيت دهراً طويلا فى التماس أخ ... يرعى ودادى إذا ذو خلة خانا
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ ... وكم تبدلت بالإخوان إخوانا

---

(١) فى كتاب تاريخ القفطى جاءت هذه الأبيات هكذا :

أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازمانى موعدى أو مواعدى
أليس قضى الأفلاك فى دورها بأن ... تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبرا فى مقيلك إنما ... تخر ذراه بانقضاض القواعد

وقلت النفس لما عن مطلبها يالله لا تألنى ما عشت إنسانا[1]

ويلى الشهرزورى وفقا للترتيب الزمنى كتاب كامل التواريخ لابن الأثير الذى ألف سنة ٦٢٨ (١٢٣٠) وقد ذكر الخيام فى كلامه عن حوادث سنة ٤٢٧ (١٠٣٦) حيث قال :

« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت ، وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله ، منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم ، وخرج عليه من الأموال شىء عظيم ويقى الرصد دائرا إلى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته » .

ثم يذكر القزوينى روايات القاضى الأكرم جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى فى تاريخ الحكماء (٦٢٤ — ١٢٢٦/٦٤٦ — ١٢٤٨) ؛ وزكريا بن محمد بن محمود القزوينى فى آثار البلاد وأخبار العباد (١٢٧٥/٦٧٤) ؛ ورشيد الدين فضل الله فى جامع التواريخ (فارسى ١٣١٨/٧١٨) ، وخسرو ابرقوهى فى فردوس التواريخ (فارسى ١٤٠٥/٨٠٨) ؛ وأحمد بن نصر الله تتوى فى تاريخ ألفى (فارسى ١٥٩١/١٠٠٠) وهو الكتاب الذى ألفه باسم أكبرشاه الهندى والذى ضمنه الوقائع المهمة فى الألف سنة الأولى من تاريخ الإسلام .

وقبل أن ننتقل من ذكر أهم المصادر التى أشار إليها القزوينى فى حواشيه على عمر الخيام نذكر رأيه فى الرواية الشائعة عن صداقة الخيام ونظام الملك وحسن الصباح وهى الرواية التى يتحدث عنها القزوينى عندما يذكر نص رشيد الدين فى جامع التواريخ . يقول إن هذه الرواية مذكورة فى كثير من كتب التاريخ مثل جامع التواريخ وتاريخ گزيده وروضة الصفا وحبيب السير وتذكرة دولتشاه والكتاب المنسوب إلى نظام الملك والمسمى « وصاياى نظام الملك » وغيرها ، كما أنها مذكورة فى مقدمة ترجمة رباعيات الخيام إلى الإنجليزية . وهو يرى أن التواريخ الخاصة بميلاد هؤلاء الثلاثة ووفاتهم تجعل القول

(١) ينسب الثعالبى فى يتيمة الدهر هذه الأبيات لأبى سهل النيلى .

بصداقتهم أيام الطفولة بعيد الاحتمال . ذلك أن نظام الملك ولد سنة ١٠١٧/٤٠٨ ، وأما الخيام والصباح فتاريخ ميلادهما مجهول ولكن أولهما مات سنة ١١٢٣/٥١٧ وثانيهما سنة ١١٢٤/٥١٨ . فإذا كانت أعمارهم متقاربة حسب هذه الرواية ، فإن كلا من الخيام والصباح يكون قد عمر أكثر من مائة سنة ، وهذا القدر ولو أنه غير محال إلا أنه مستبعد .

* * *

وأغلب الكتاب الأور بيين يجعل وفاة الخيام فى سنة ١١٢٣/٥١٧ وأما بروكلمن فى كتابه تاريخ علوم العرب[1] فيحدد لهذه سنة ١١٢١/٥١٥ . وليس هناك ما يؤيد إحدى الروايتين تأييدا قاطعاً . ويظهر من كتاب چهار مقاله أن وفاة الخيام كانت بين سنتى ٥٠٨ و٥٣٠ ، لأن العروضى السمرقندى مؤلف الكتاب رأى الخيام فى سنة ٥٠٨ ، وزار قبره فى نيسابور سنة ٥٣٠[2] .

* * *

رسائل الخيام

والمصنفات التى تنسب إلى عمر الخيام هى :

رسالة فى الجبر والمقابلة . وقد نشرها مع ترجمتها الفرنسية Woepcke فى باريس سنة ١٨٥١ باسم L'Algèbre d'Omar Al-Khayyam

رسالة فى شرح ما أشكل من مصادرات كتاب اقليدس وهى مخطوطة فى مكتبة ليدن (بروكلمن ج ١ ص ٤٧١) .

الزيج الملكشاهى وكان الخيام أحد واضعيه .

مختصر فى الطبيعيات .

رسالة فى الوجود وهى بالفارسية وقد كتبها باسم فخر الملك بن مؤيد (لعله ابن نظام الملك) وهى محفوظة فى المتحف البريطانى ((٥١) Or. ٦٥٧٢) وعنوانها فى المخطوط المذكور هو : رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام فى كليات الوجود .

رسالة فى الكون والتأليف . وقد جاء ذكرها فى ترجمة الشهرزورى للخيام .

(١) الجزء الأول ص ٤٧١ : Geschichte der Arabischen Litteratur.

(٢) ص ٧٠ (الترجمة العربية)

رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما . وهى محفوظة فى مكتبة جوتا فى ألمانيا (نمرة ١١٥٨ ، بروكلمن ج ١ ص ٤٧١) .

رسالة عنوانها : لوازم الأمكنة فى الفصول وعلة اختلاف هواء البلاد والأقاليم .

وقد نسبت الرسالتان الأخيرتان إلى الخيام فى التاريخ الألفى .

***

رباعيات الخيام

وأما رباعيات الخيام التى اشتهر بها فى الشرق والغرب فقد طبعت مرات فى إيران والهند ، وقد لاحظ القزوينى (ص ٢٢١) أن كثيراً من هذه الرباعيات منسوب خطأ إلى الخيام ، فمنها ما هو لعبد الله الأنصارى وأبى سعيد أبى الخير وحافظ الشيرازى وغيرهم . وقد استطاع ژوكوفسكى Zhukovski فى المظفرية أن ينسب ما يقرب من اثنتين وثمانين رباعية إلى أصحابها الحقيقيين ؛ ولا شك أن الدراسة المستمرة قد تؤدى إلى تحقيق أبعد مدى[١] .

وقد ظهرت الرباعيات باللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والدنمركية، كما ترجمت مرات للعربية . وشهرة الخيام فى انجلترا وأمريكا تفوق شهرته فى بلاده ، وذلك بفضل ما أتيح لهذه الرباعيات من الترجمة الدقيقة التى صاغها الشاعر الإنجليزى فيتز جرالد Fetz Gerald ، فهى فى فصاحة ألفاظها و بلاغة معانيها تقارب النص الفارسى وقد انتشرت هذه الترجمة فى لندن سنة ١٨٥٩ ، ثم كثرت الترجمات وتعددت إلى حد أن أصبح من الصعب حصرها . وقد أصبحت « الأدبيات العمرية » طابعاً تمتاز به بعض الكتابات الأدبية . ولمن يريد أن يعرف بالتفصيل تراجم الرباعيات المختلفة ومقارنتها ببعضها أن يرجع إلى الرباعيات التى نشرها Nathan Haskell Dole فى لندن سنة ١٨٩٨ فى مجلدين مصورين .

وفى سنة ١٨٩٢ تأسست فى لندن جمعية اتخذت لها منتدى سمته «منتدى عمر الخيام» أسسه جماعة من الفضلاء والأدباء وأصحاب الجرائد الإنجليزية . وفى ١٨٩٣ غرست هذه الجماعة على قبر فيتز جرالد عودين من الورد الأحمر ، ثم وضعت على القبر لوحة جاء فيها :

---

(١) تحدث فى هذا الموضوع تفصيلا الأستاذان السيد محمد على فروغى والدكتور قاسم غنى فى بحث لهما عن الخيام طبع بطهران حديثا .

هذا الورد الأحمر قد زرع فى حديقة كيو Kew Garden وقد جئ ببذوره من مقبرة عمر الخيام فى نيسابور ، جاء به من هناك وليم سمپسن William Simpson ، وغرسه جماعة من المعجبين بفيتز جرالد من منتدى عمر الخيام فى ٧ اكتوبر سنة ١٨٩٣ .

(١٨) الإمام مظفر الاسفزارى أحد عظماء المنجمين ، وهو الذى كلفه السلطان ملكشاه ، مع جماعة من المنجمين و بينهم الخيام ، بعمل التقويم الجلالى المعروف بالرصد الملكشاهى . ويسميه ابن الأثير (حوادث سنة ٤٦٧) أبا المظفر الاسفزارى .

(١٩) « چون در سنهٔ ثلثين بنيساور رسيدم چهار سال بود تا آن بزرگ روى در نقاب خاك كشيده بود »

« فلما بلغت نيسابور سنة ثلاثين وخمسمائة ، وقد خلت أربع سنوات على إيداع هذا الرجل العظيم الثرى » .

يبدو اختلاف النسخ فى هذه الجملة مهما . ذلك أن نسخة برون Browne التى نقلت عن نسخة استنبول ، التى هى أصح وأقدم النسخ الأربع لكتاب چهار مقاله والتى نسخت فى مدينة هراة سنة ٨٣٥/١٤٣١ ، تنص على كلمة « أربع سنوات » كما نرى ؛ أما النسخ الثلاث الأخرى ، نسختا المتحف البريطانى بلندن والنسخة المطبوعة فى طهران ، فتنص على كلمة « بضع سنين » ، فإذا صحت رواية نسخة استنبول فإن وفاة عمر الخيام تقع فى ٥٢٦/١١٣١ لا فى ٥١٧/١١٢٣ أو ٥١٥/١١٢١ كما هو مشهور .

(٢٠) كورستان حيره : حيرة السكوفة محلة كبيرة ومشهورة خارج نيسابور على طريق مرو .

(٢١) يراد به صدر الدين أبو جعفر محمد بن فخر الملك أبى الفتح المظفر بن نظام الملك الطوسى . وقد قتل السلطان سنجر والده فخر الملك وكان وزيره وذلك فى سنة ٥٠٠/١١٠٦ ثم أسند الوزارة إلى صدر الدين وقتله سنة ٥١١/١١١٧ بيد أحد المماليك كما هو مذكور فى تاريخ السلجوقية لعماد الدين الإصفهانى (ص ٢٦٥ — ٢٦٧ من طبعة هوتسما) وفى ابن الأثير (حوادث سنة ٥١٣) .

(٢٢) هذا سهو فى الكتابة فإن صدقة بن مزيد لم يقصد الاستيلاء على بغداد ولم

يكن بينه و بين الخليفة المستظهر بالله وحشة ، إنما كان الخلاف بينه و بين السلطان محمد بن ملكشاه (حوادث ابن الأثير سنة ٥١٣) .

(٢٣) ذكر حمدالله المستوفى فى تاريخ گزيدة سنة ٥٤٤/١١٤٩ بدلا من ٥٤٧/١١٥٢-٣ وهو خطأ ظاهر .

(٢٤) السلطان علاء الدنيا والدين يعنى السلطان علاء الدين الغورى المعروف بجهانسوز

(٢٥) باب أوبة ، قرية من أعمال هراة وينسب إليها أوبهى .

(٢٦) شمس الدولة والدين محمد بن مسعود ثانى الملوك الشنسبانية فى باميان وهو ابن الملك فخر الدين مسعود .

(٢٧) يرنقش هريوه هو أحد كبار أمراء السلطان سنجر (الإصفهانى ص ٢٢٤ — ٢٧٦)

(٢٨) حسام الدولة والدين هو ابن آخر الملك فخر الدين مسعود .

(٢٩) المقصود بخداوند ملك معظم الملك فخر الدين مسعود أول الملوك الشنسبانية فى باميان .

حواشي المقالة الرابعة

(١) «مسائل حنين بن إسحق» : اسم هذا الكتاب «المسائل فى الطب للمعلمين» . ويوجد منه نسخ متعددة فى مكاتب أوربا .

أنظر فهرست ابن النديم ص ٢٩٤ ؛ وتاريخ الحكماء للقفطى ص ١٧٣ ؛ وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٩٧ ؛ وتاريخ علوم العرب لبروكلمن ج ١ ص ٢٠٥ ؛ وكشف الظنون باب الميم .

(٢) «مرشد محمد بن زكريا الرازى» : اسم هذا الكتاب « الفصول فى الطب » ويعرف باسم المرشد .

وقد ترجم للاتينية حوالى سنة ١٥٠٠ فى البندقية ، ثم طبع عدة مرات بعد ذلك . ولم يذكره حاجى خليفة .

أنظر فهرست ابن النديم ص ٣٠١ ؛ والقفطى ص ٢٧٥ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٢١ ؛ وبروكلمن ج ١ ص ٢٣٤ .

(٣) يقول ابن أبى أصيبعة فى ترجمة النيلى :

«هو أبو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلى ، مشهور بالفضل ، عالم بصناعة الطب ، جيد التصنيف ، متفنن فى العلوم الأدبية ، بارع النظم والنثر» ثم يذكر بعض أشعاره .

« وللنيلى من الكتب : اختصار كتاب المسائل لحنين ؛ وتلخيص شرح جالينوس لكتاب الفصول لبقراط مع نكت من شرح الرازى » .

ويذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر فيقول عنه وعن أخيه :

« أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلى هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور ومفاخرها ، فأبو عبد الرحمن من الأعيان الأفراد فى الفقه ، وأبو سهل من الأعيان الأفراد فى الطب ، وما منهما إلا أديب شاعر آخذ بأطراف الفضائل . »

ومن هذا يتبين أن النيلى من أهالى نيسابور وأنه كان معاصراً أو قريباً من الثعالبى ولكن لا ندرى إلى أى شىء تنسب كلمة النيلى .

(٤) «ذخيرة ثابت بن قرة» ، يشك القفطى (ص١٢٠) فى نسبة هذا الكتاب لثابت .

(٥) « كتاب المنصورى » أو « كتاب الطب المنصورى »، كتاب فى الطب يحتوى على عشر مقالات ، وتوجد منه نسخ كثيرة . وقد ألفه محمد بن زكريا الرازى باسم حاكم الرى منصور بن محمد بن إسحق بن أحمد بن أسد ، الذى كان والياً على الرى من قبل ابن عمه أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد ثانى ملوك السامانيين ، وقد لبث فى هذه الولاية ست سنين (٢٩٠ — ٢٩٦/٩٠٢ — ٩٠٨) ؛ ومنصور هذا هو الذى خرج على نصر ابن أحمد ثالث السامانية .

أنظر ياقوت فى معجم البلدان ج ٢ ص ٩٠١ ، وقد جاء فيه سهواً أن منصور هو ابن أخى أحمد بن اسماعيل السامانى بدلا من ابن عمه ؛ وأنظر حاجى خليفة تحت « كفاية المنصورى » ؛ وابن الأثير فى حوادث سنة ٣٠٢/٩١٤ .

ويقول القزوينى فى حواشيه ص ٢٣٢ :

« هذا هو القول الصحيح عن المنصور الذى ينسب إليه كتاب المنصورى ، والمؤرخون جميعاً — عدا ياقوت — لم يعرفوا من هو منصور هذا ؛ فابن خلكان فى ترجمة محمد بن زكريا الرازى يذكر قولين : أحدهما أن كتاب المنصورى كتب باسم منصور بن نوح ابن نصر سادس ملوك السامانيين ، وعلى هذا الرأى نظامى العروضى (ص ٧٩) ، وهو رأى بعيد عن الصواب لأن الرازى توفى سنة ٣١١/٩٢٣ أو ٣٢٠/٩٣٢ بينما كانت سلطنة منصور بن نوح من سنة ٣٥٠/٩٦١ إلى ٣٦٠/٩٧٠ ، وقول ابن خلكان بأن الكتاب وضع أيام طفولة منصور قول غير مقبول ، والقول الثانى هو أن الكتاب صنف باسم أبى صالح منصور بن إسحق ابن أحمد بن نوح ، وهو قول صحيح بشرط أن تستبدل كلمة نوح بكلمة أسد .

أما محمد بن إسحق النديم فى كتابه الفهرست (ص ٢٩٩ — ٣٠٠) ، والقفطى (ص ٢٧٢) ، وابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ٣١٠) فينسبون الكتاب إلى منصور بن إسماعيل ، وليس فى التاريخ ملك يعرف بهذا الاسم . ويذكره ابن أبى أصيبعة فى موضع آخر (ج ١ ص ٣١٣) باسم منصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء

النهر ، ولا يعرف فى التاريخ ملك بهذا الاسم أيضاً . ثم هو يذكره فى موضع ثالث (ج ١ ص ٣١٧) باسم منصور بن إسحق ابن إسماعيل بن أحمد ، ولو حذفنا كلمة اسماعيل من سلسلة النسب هذه لكان هو الشخص الذى عناه ياقوت . »

(٦) « أغراض الطب » كتاب فى علم الطب باللغة الفارسية ألفه زين الدين اسماعيل ابن حسن الحسينى الجرجانى لخصه عن كتابه « ذخيرهٔ خوارزمشاهى » حسب أمر مجد الدين أبى محمد الصاحب بن محمد البخارى وزير آتسز خوارزمشاه (سنة ٥٢١ — ٥٥١)

أنظر ابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ٣٢) ؛ وكشف الظنون باب الألف ، و Ethè فى فهرست India Office

(٧) «كتاب الحاوى» ، ويعرف باسم «الجامع الحاضر لصناعة الطب» هو أعظم وأهم مؤلفات محمد بن زكريا الرازى ، وقد كانت مسودات هذا الكتاب — بعد وفاة مؤلفه — عند ابن العميد وزير ركن الدولة الديلمى ، فرتبها مستعيناً ببعض تلاميذ الرازى . وتوجد من الكتاب نسخ كثيرة فى أوربا ، وقد ترجم إلى اللاتينية وطبع فى بروشيا بإطاليا سنة ١٤٨٦ ، ثم أعيد طبعه فى البندقية بين سنتى ١٥٠٩ ، ١٥٤٢ .

أنظر الفهرست ص ٣٠٠ ؛ وكامل الصناعة لعلى بن عباس المجوسى طبعة بولاق ص٥ ؛ والقفطى ص ٢٧٤ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣١٤ — ٣١٥ ؛ وكشف الظنون باء الحاء وبروكلمن ج ١ ص ٢٣٤ .

(٨) « كامل الصناعة الطبية» المعروف بالملكى ، كتاب مبسوط فى الطب باللغة العربية تأليف على بن العباس المجوسى الأهوازى الأرّجانى المتوفى سنة ٣٨٤/٩٩٤ ، وهو من أشهر أطباء عصره ، كان طبيباً خاصا لشاهنشاه عضد الدولة الديلمى ، وسبب تسمية الكتاب بالملكى يذكره المؤلف فى الديباجة حيث يقول : « إذ كان صنفته للملك الجليل عضد الدولة » ، والمتن العربى للكتاب طبع فى مصر (بولاق) ولاهور . وقد ترجم للاتينية وطبع فى سنة ١٤٩٢ فى البندقية كما طبع فى ليدن سنة ١٥٢٣ .

ويعرف مؤلفه فى العصور الوسطى فى أوربا باسم Haly Abbas ويحمل لقب المجوسى .

وقد طبع فى القاهرة فى جزءين سنة ١٢٩٤/١٨٧٧ ، وطبع فى لاهور على الحجر سنة ١٢٨٣/١٨٦٦ .

والجزء الأول منه يحتوى على الجانب النظرى ، والجزء الثانى يبحث عن الناحية العملية . وكل من الجزأين يحوى عشر مقالات ، وكل مقالة تنقسم إلى عدة فصول والمقالتان الأولى والثانية من الجزء الأول خاصتان بالتشريح وتحتويان على ثلاثة وخمسين فصلا ، وقد نشرها مع الترجمة الفرنسية فى ليدن سنة ١٩٠٣ الدكتور كوننج Koning فى كتاب عنوانه : ثلاث رسائل عربية فى التشريح (Trois Traités d'Anatomie Arabe) وقد نقل الدكتور لوسيان لوكلرك Lucien Leclerc القسم الافتتاحى من الجزء الأول فى كتابه تاريخ الطب العربى Histoire de la Médecine Arabe — ج ١ ص ٣٨٣ — ٣٨٨ .

وأما صاحب الكتاب فيلقب بالمجوسى ويرى القزوينى أنه كان مجوسيا وأن طبعة بولاق قد أظهرت كلمة مجوسى بتشديد الجيم لتنصرف الكلمة عن معناها. أما برون Browne (ص ١٤٥ من ترجمة چهار مقاله) فيرى أنه كان مسلماً وسمى بالمجوسى واستدل على ذلك بكلمتى على والعباس . وقد رد القزوينى على ذلك بأن أسماء إسلامية كثيرة تدخل فى أسماء كثير من النصارى واليهود والمجوس . ونحن إلى رأى برون Browne أميل ، فإن الظاهر من اسم الرجل يدل على أنه مسلم وأن والده مسلم ، وقد يكون أحد أجداده مجوسياً ولكنه أسلم .

(٩) « صد باب » ويعرف فى الطب باسم « كتاب المائة فى الطب » أو « المائة مقالة » ، ألفه أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى الجرجانى ؛ ولد فى جرجان وأتم دراسته فى بغداد . وهو من مشاهير أطباء القرن الرابع الهجرى وأحد أساتذة ابن سينا . وقد كان من العلماء الذين أحاطهم مأمون بن محمد خوارزمشاه وولده أبو العباس مأمون بن مأمون الذى قتل سنة ٤٠٧/١٠١٦ — ٧ بالعطف والرعاية .

ويذكر صديقه أبو الريحان البيرونى أسماء اثنتى عشرة رسالة تولاها أبو سهل باسمه ، منها مبادئ الهندسة ، ورسوم الحركات فى الأشياء ذوات الوضع ، والتوسط بين أرسطاطاليس

وجالينوس فى المحرك الأول ، ودلالة اللفظ على المعنى ، وسبب برد أيام العجوز ، وآداب صحبة الملوك وغيرها .. (الآثار الباقية ٤٨ — ٤٩ من الديباجة) .

وقد حدد وستنفلد Wüstenfeld سنة ٣٩٠/١٠٠٠ تاريخا لوفاة أبى سهل ، ولكن لا يُعرف على أى أساس وضع هذا التاريخ .

انظر نزهة الأرواح وروضة الأفراح فى تاريخ الحكماء لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى (المتحف البريطانى ورقة ١٧١ (١) نمرة Add. 32,365) ؛ والقفطى ص ٤٠٨ — ٤٠٩ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٢٧ — ٣٢٨ و ج ٢ ص ١٩ ؛ وكشف الظنون باب الميم ، ووستنفلد ص ٥٩ ؛ و بروكلمن ج ١ ص ٢٣٨ .

(١٠) « ذخيرة خوارزمشاهى » : كتاب مفصل باللغة الفارسية فى جميع فروع علم الطب ، ألفه زين الدين (شرف الدين) أبو إبراهيم إسمعيل بن حسن بن أحمد بن محمد الحسينى الجرجانى المتوفى بمرو سنة ٥٣١/١١٣٦ وهو يقول فى ديباجة كتابه أنه وضعه باسم قطب الدين محمد خوارزمشاه مؤسس الأسرة الخوارزمشاهية سنة ٥٠٤/١١١٠ . و يوجد نسخ كثيرة من هذا الكتاب ، ومن كتب المؤلف الأخرى ، فى مكتبات أوربا .

وقد ذكر ريو Rieu فى فهرست الكتب الفارسية (ص ٤٦٦ — ٤٦٨) ترجمة المؤلف وترتيب فصول وأبواب كتابه .

وقد لاحظ برون Browne (ص ١٥٨) أنه قد يكون أول مسلم يستعمل اللغة الفارسية فى المواضيع العلمية أو على الأقل هو أول من عرفنا كتبهم .

أنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٥٤ ؛ تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ص ١٣٧ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٣١ — ٣٢ وكشف الظنون باب الذال ، ووستنفلد ص ٩٥ ، و بروكلمن ج ١ ص ٤٨٧ ؛ وايتى Ethè ص ٩٥١ ؛ و برون فى فهرست مكتبة كمبريدج ص ٢١١.

(١١) «تحفة الملوك» : لم يجد القزوينى اسم هذا الكتاب فى كتب الرازى .

(١٢) «الكفاية» لابن مندويه الإصفهانى وهو أبو على أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، من مشاهير أطباء القرن الرابع الهجرى ، كان معاصراً لعضد الدولة الديلمى (٣٣٨ — ٣٧٢ ٩٤٩ — ٩٨٢) ، وكان من الأطباء الأربعة والعشرين الذين استدعاهم عضد الدولة للعمل

فى بيمارستان بغداد الذى شيده وجلب له أشهر الأطباء من جميع البلاد .

وكان ابن مندويه ، علاوة على نبوغه فى الطب ، أديباً وشاعراً ممتازاً ، وقد ذكر ابن أبى أصيبعة له ما يقرب من خمسين رسالة وكتاب ومنها كتاب « الكافى فى الطب » الذى أشار إليه نظامى العروضى باسم « الكفاية » .

ولا يعرف إذا كان قد بقى شىء من مؤلفاته .

راجع القفطى ص ٤٣٨ ، وابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٢١ — ٢٢ .

(١٣) « تدارك أنواع الخطأ فى التدبير الطبى » هو كتاب وضعه ابن سينا باسم الحسين أحمد بن محمد السهلى وزير على بن مأمون خوارزمشاه الذى ولى الملك سنة ٣٨٧/٩٩٧ وقد طبع هذا الكتاب فى سنة ١٣٠٥/١٨٨٧ باسم « دفع المضار الكلية عن الإنسانية بتدارك أنواع خطأ التدبير » ، على حاشية كتاب « منافع الأغذية ودفع مضارها » لمحمد ابن زكريا الرازى (بولاق — مصر) .

(١٤) « خُفّىْ علائى » كتاب مختصر فى الطب باللغة الفارسية ألفه زين الدين إسماعيل بن الحسن الحسينى الجرجانى (انظر الحاشية ١٠ من حواشى هذه المقالة) ؛ وهو يقول فى الديباجة أنه وضعه كمختصر لكتابه « ذخيرة خوارزمشاهى » بأمر من علاء الدولة آتسز خوارزمشاه ، وأنه سماه خُفىْ علائى ؛ وإذاً فقد تم تأليف الكتاب بعد سنة ٥٢١/١٢٢٧ التى ولى فيها آتسز .

وخُفّىْ من الخف ، والمؤلف يقول فى تعليل هذا الاسم إنه اختصره على جلدين من القطع الطويل حتى يمكن الاحتفاظ بهما دائماً فى الخفين . وعلائى نسبة إلى علاء الدولة وقد صرح المؤلف فى الديباجة بأنه لقب من ألقاب آتسز خوارزمشاه .

أنظر نسخة الكتاب فى المتحف البريطانى رقم ٥٦٠ و٢٣ .Add الورقة ٢١٩ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٣٢ ؛ وكشف الظنون فى باب الخاء ؛ وفهرست ريو Rieu ص ٤٧٥ .

(١٥) « يادگار » سيد بن إسمعيل الجرجانى . هو كتاب مختصر فى علم الطب ألفه زين الدين اسماعيل بن حسن صاحب خفى علائى . ومنه نسخة فى مكتبة تيپو سلطان .

أنظر ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٣٢ ؛ وكشف الظنون باب اليـاء ؛ وفهرست مكتبة تيپو سلطان تأليف ستيوارت Stewart ص ١٠٧ .

(١٦) المقصود ببُختيشوع واحد من اثنين : بختيشوع بن جورجس الجنديسابورى طبيب هرون الرشـيد ، الذى لا نعلم تاريخ وفاته ، ومن الممكن أن يكون قد أدرك عصر المأمون . أو حفيده بختيشوع بن جبريل بن جورجس المتوفى سنة ٨٦٩/٢٥٦ والذى كان من أطباء المأمون فى أواخر حياته ، وكان طبيباً للخلفاء الآخرين بعد موته لغاية المهدى . وكلمة بختيشوع من بخت (بوختن أو بحتن) بمعنى أن ينجى أو يخلص ، ويشوع هى الكلمة المسيحية المعروفة .

انظر ابن النديم ص ٢٩٦ ؛ والقفطى ص ١٠٠ — ١٠٤ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(١٧) النص الفارسى لهذه العبارة : وجان برميان بست .

(١٨) هذه الحـكاية مبنية على خطأ واضح فى الأسماء ، فإن سلطنة منصور كانت من سنة ٩٦١/٣٥٠ إلى ٩٧٦/٣٦٦ ووفاة الرازى فى سـنة ٩٢٣/٣١١ أو ٩٣٢/٣٢٠ . أنظر تعليق برون ص ٨٤ .

(١٩) أسرة المأمونيين ولاة خوارزم :

يظهر فى هذه القصة خلط بين أسماء الأمراء ، فآثر القزوينى أن يفصل القول فى تاريخ هذه الأسرة .

حكمت هذه الأسرة بلاد خوارزم ومن هنا سميت بالخوارزمشاهيين . وقد بدأوا حياتهم كولاة تابعين للسامانيين ، وفى الفترة بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية كانوا شبه مستقلين ؛ ثم عادوا حكاما تحت حماية الغزنويين .

ولا نعرف مؤسس هذه الأسرة على وجه التدقيق ، ولـكن اسمهم يرد فى التاريخ منذ سنة ٩٩٠/٣٨٠ . وها هى أسماؤهم كما جمعها القزوينى من بطون الأسفار :

١ — مأمون بن محمد بن خوارزمشاه : وقد ابتدأ حياته والياًعلى جرجانية (گرگانج)

وفى سنة ٣٨٥/٩٩٥ حارب أبا عبد الله خوارزمشاه ثم قتله واستولى على أملاكه . وفى سنة ٣٨٧/٩٩٧ توفى (ابن الأثير حوادث سنة ٣٨٥ ، ٣٨٧) .

٢ — على بن مأمون بن محمد خوارزمشاه : ولى العرش بعد أبيه سنة ٣٨٧/٩٩٧ ، وتزوج من أخت السلطان محمود ، ولا نعلم تاريخ وفاته . وفى عهده جاء ابن سينا إلى خوارزم فأكرم هذا الوالى وفادته . وقد وزر له أبو الحسين السهيلى ، وخلفه فى الوزارة أخوه أبو العباس .

٣ — أبو العباس مأمون بن مأمون بن محمد خوارزمشاه : وهو المقصود فى حكاية « چهار مقاله » . حكم خوارزم بعد وفاة أخيه . وهو من أفاضل الملوك الذين صادقوا أهل العلم والحكمة ، فكان ببلاطه مجمعاً لهم فألفوا كتباً كثيرة باسمه . وقد تزوج من أخت السلطان محمود كما فعل أخوه من قبل ، وكانت الصلة بينهما وطيدة قبل أن يسيء السلطان به الظن فيرسل إليه رسولا يأمره بأن تكون الخطبة باسمه . وقد اضطر أبو العباس لقبول طلب السلطان محمود الغزنوى ، ولكن الأمراء رفضوا طاعته وثاروا به فقتلوه سنة ٤٠٧ — ١٠١٦ ، وذلك بعد عودة رسول السلطان . وكان عمره حين قتل اثنتين وثلاثين سنة .

٤ — أبو الحارث محمد بن على بن مأمون بن محمد خوارزمشاه : وهو ابن أخ أبى العباس وقد نصبه الأمراء بعد قتل عمه . ولكن السلطان محمودا الغزنوى أرسل جيشاً بعد قليل مطالباً بدم زوج أخته أبى العباس ، وقد فتح الجيش الغزنوى مملكة خوارزم سنة ٤٠٨ — ١٠١٧ ، وأسر أفراد الأسرة المأمونية وحملهم معه إلى غزنة . وهكذا انقرضت هذه الأسرة .

وفى هذا الفتح يقول العنصرى فى مطلع قصيدة معروفة له :

چنين نمايد شمشير خسروان آثار   چنين كنند بزرگان چو كرد بايد كار

بتيغ شاه نگر نامهٔ گذشته مخوان   كه راست گوئى تر از نامه تيغ او بسيار

يقول :

هكذا يظهر السيفُ الملكى الآثار ، وهكذا يفعل العظماء إذا لزم القتال .

انظر سيف الملك ، ولا تقرأ كتب الأولين ، فإن سيفه أكثر إنباء من الكتب .

وقد ذكر هذه الواقعة بالتفصيل أبو الفضل البيهقى فى كتابه « تاريخ مسعودى » الذى استقى معلوماته من كتاب « مشاهير خوارزم » لأبى الريحان البيرونى ، وهو كتاب مفقود ، ويعلم منه أن البيرونى مكث فى بلاط أبى العباس خوارزمشاه سبع سنين (٤٠٠ — ٤٠٧ فيما يظهر) ١٠٠٩ — ١٠١٦ ، وكان من خاصة المقربين ، وقد حضر الفتنة وقَتْلَ الأمراء إياه .

وقد لاحظ القزوينى أن القاضى أحمد الغفارى فى « تاريخ جهان آرا » قد اعتمد غالباً على نص « تاريخ گزيده » فخلط بين أسرتى المأمونيين ولاة خوارزم مع أسرة الفريغونيين ولاة جوزجان من قبل السامانيين والغزنويين .

انظر « تاريخ بيهق » طبع طهران ص ٤٠٠ — ٤٠٧ ؛ وشرح تاريخ اليمينى ، طبع القاهرة ، ص ٢٥٨ ؛ وابن الأثير فى حوادث سنة ٤٠٧ .

(٢٠) أبو الحسين أحمد بن محمد السهيلى هو وزير على بن مأمون خوارزمشاه وأخيه أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه . من أفاضل الوزراء ، وكان صديق العلماء . وقد هاجر فى سنة ١٠١٣/٤٠٤ من خوارزم إلى بغداد خوفاً من خوارزمشاه أبى العباس ، فاتخذها موطناً له . وتوفى فى ١٠٢٧/٤١٨ فى مدينة سرمن رأى . وقد قال عنه ابن سينا فى ترجمة حياته التى رواها عنه تلميذه أبو عبيد عبد الواحد الجوزجانى :

« ودعتنى الضرورة إلى الارتحال عن بخارى والانتقال إلى كُرگانج ، وكان أبو الحسين السهيلى المحب لهذه العلوم بها وزيراً ، وقدمتُ إلى الأمير بها وهو على بن مأمون وأثبتوا لى مشاهرة دارّة بكفاية مثلى ... »

وقد جاء هذا النص فى ترجمة القفطى وابن أبى أصيبعة لابن سينا . وذكر ياقوت فى معجمه كلاماً مطولا عن هذا الوزير .

(٢١) أبو الخير الخمار هو الحسن بن سُوار بن بابا بن بهرام (أو بهنام فى رواية ابن أبى أصيبعة) المعروف بابن الخمار النصرانى الفيلسوف المنطقى الطبيب المشهور . ولد فى بغداد سنة ٩٤٢/٣٣١ وقرأ علوم الفلسفة والمنطق على يحيى بن عدى المنطقى المشهور وبلغ الغاية

القصوى فى هذين الفنين . و بعد أن أكمل علوم الحكمة والطب ذهب إلى خوارزم واتصل بخدمة مأمون بن محمد خوارزمشاه وعاش فى كنف الخوارزمشاهية إلى أن فتح السلطان محمود بلادهم سنة ٤٠٨ فحمله مع بقية العلماء إلى غزنة وكان عمره فى ذلك الوقت قد جاوز المائة ، فكان محمود يحسن معاملته إلى حد أن قالوا إنه قبل الأرض أمامه (ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٢٢) .

ومن صفات أبى الخير الخمار تواضعه الجم مع الفقراء وترفعه مع الأغنياء والعظماء . فكان إذا قصد زيارة أهل العلم أو الزهد سار على قدميه قائلا إن السير على قدميه كفارة عن زيارته الجبابرة وأهل الفسق ، وإذا ذهب لزيارة الملوك أو الأمراء ذهب فى أبهة كاملة وسار فى ركابه ثلاثمائة غلام تركى من الفرسان . وكان ذاهباً يوما لزيارة محمود فى غزنة ، فقفز به الحصان فألقاه من على ظهره فمرض ثم مات . والواضح أنه مات بعد سنة ٤٠٨/١٠١٧ . وقد قال وستنفلد إنه مات سنة ٣٨١ وهو سهو كبير . وكان معاصراً لأبى الفرج محمد بن إسحق النديم صاحب الفهرست .

و يذكر أبو الخير ضمن المترجمين من السريانية إلى العربية الذين نقلوا عن تلك اللغة علوم الحكمة ، وله فى الطب والفلسفة والمنطق ما يقرب من خمسة عشر مؤلفاً . ولا ندرى إذا كانت هذه الكتب قد ضاعت أم أنها لم يعثر عليها بعد .

انظر ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٢٣ حيث عدد أسماء كتبه ؛ والفهرست ص ٢٤٥ ، ٢٦٥ ؛ ونزهة الأرواح وروضة الأفراح لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى (نسخة المتحف البريطانى) ؛ والقفطى ص ١٦٤ .

(٢٢) أبو نصر العراق هو منصور بن على بن العراق مولى أمير المؤمنين ، من كبار الرياضيين فى القرن الرابع الهجرى ومن معاصرى البيرونى وقد كتب باسمه اثنى عشر كتاباً فى فنون الرياضة المختلفة .

يقول البيرونى فى بيان مؤلفاته فى مقدمة الآثار الباقية ص ١٧ :

« وما عمله غيرى باسمى هو بمنزلة الربائب فى الحجور والقلائد على النحور لا أميز بينها

و بين الأنهار (كذا) فيما تولاه باسمى أبو نصر منصور بن على بن العراق مولى أمير المؤمنين أنار الله برهانه :

كتابه فى السموات ،

وكتابه فى علة تنصيف التعديل عند أصحاب السند هند ،

وكتابه فى تصحيح كتاب ابراهيم بن سنان فى تصحيح اختلاف الكواكب العلوية ،

ورسالته فى براهين أعمال حَبَش بجدول التقويم ،

ورسالته فى تصحيح ما وقع لأبى جعفر الخازن من السهو فى زيج الصفائح ،

ورسالته فى مجازات دوائر السموات فى الاسطرلاب ،

ورسالته فى جدول الدقائق ،

ورسالته فى البراهين على عمل محمد بن الصباح فى امتحان الشمس ،

ورسالته فى الدوائر التى تحد الساعات الزمنية ،

ورسالته فى البرهان على عمل حبش فى مطالع السمت فى زيجه ،

ورسالته فى معرفة القسى الفلكية بطريق غير طريق النسبة المؤلفة ،

ورسالته فى حل شبهة عرضت فى الثالثة عشرة من كتاب الأصول .

وآل العراق ، كما يبدو من تضاعيف كتاب الآثار الباقية ، كانوا من نسل ملوك خوارزم القدماء ، قبل الإسلام ، ونسبهم ، على ما زعموا ، يتصل بكيخسرو ، وكان لهذه الأسرة ، حتى أيام السامانيين ، قدر من النفوذ والمكانة منذ العهد القديم ، وكانوا يتوارثون الملك فى خوارزم . والذى قبل الأخير منهم هو أبو سعيد احمد بن محمد بن العراق ، وهو الذى أصلح تقويم سنين وشهور أهل خوارزم ، وآخرهم هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العراق الذى يعبر عنه أبو الريحان بالشهيد . وقد قيل إنهم يشبهون كثيراً من الملوك وأبناء البيوت القديمة الذين أزال محمود الغزنوى عروشهم ومكانتهم بسيفه . انظر الآثار الباقية ص ٢٤١ حيث يتكلم عن مبدأ تاريخ أهل خوارزم ويشير إلى هذه الأسرة .

(٢٣) علفة شگرف فرمود : العَلَفَة بفتحتين ما يقدمه الملوك لاستقبال السفراء وما يلزمهم هم ومن معهم من الحاشية والدواب .

(٢٤) مهما يكن من أمر هذه القصة فإن ابن سينا فى كتابه القانون ج ٢ ص ٧١ — ٧٢ (طبعة بولاق) يقول : « ويكون نبضه (أى نبض العاشق) نبضاً مختلفاً بلا نظام البتة ، كنبض أصحاب الهموم ، ويتغير نبضه وحاله عند ذكر المعشوق خاصة وعند لقائه بغتة ، ويمكن من ذلك أن يستدل على المعشوق أنه من هو إذا لم يعترف به ، فإن معرفة معشوقه إحدى سبل علاجه ، والحيلة فى ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تعاد مراراً ، وتكون اليد على نبضه ، فإذا اختلف بذلك اختلافاً عظيماً وصار شبه المنقطع ثم عاود وجربت ذلك مراراً علمت أنه اسم المعشوق ، ثم يذكر كذلك السكك والمساكن والحرف والصناعات والنسب والبلدان ، وتضيف كلا منها إلى اسم المعشوق ، ويحفظ النبض حتى إذا كان يتغير عند ذكر شىء واحد مراراً جمعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والحلية والحرفة وعرفته فإنا قد جربنا هـذا واستخرجنا به ما كان فى الوقوف عليه منفعة . وقد رأينا من عاودته السلامة والقوة وعاد إلى لحمه وكان قد بلغ الذبول وجاوزه وقاسى الأمراض الصعبة المزمنة والحميات الطويلة بسبب ضعف القوة لشدة العشق لما أحس بوصل من معشوقه بعد مطل معاودة فى أقصر مدة قضينا به العجب ، واستدللنا على طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية » .

(٢٥) قال ابن سينا فى ترجمة حياته (القفطى ص ٤١٧ ؛ وابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٤) بعد أن انتقل من خوارزم إلى خراسان :

« ثم دعت الضرورة إلى الانتقال من جاجرم إلى خراسان ومنها إلى جرجان وكان قصدى الأمير قابوس فاتفق فى أثناء هذا القبض على قابوس وحبسه فى بعض القـلاع وموته هناك » .

فيتضح من هذا القول أن ابن سينا لم يخدم قابوس بل إن هذا قد حبس قبـل بلوغ ابن سينا جرجان وأنه قتل بعد هذا بقليل سنة ٤٠٣/١٠١٢ .

فهذه الحكاية غير صحيحة فيما يتعلق بملاقاة ابن سينا مع الأمير قابوس .

(٢٦) شاهنشاه علاء الدولة بن كاكويه هو الأمير علاء الدولة حسام الدين أبو جعفر محمد بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه صاحب إصفهان والملحقات . حكم من سـنة ٣٩٨ إلى ٤٣٣ (١٠٠٧ — ١٠٤١) حين توفى . أما والده دشمنزيار فهو خال سـيدة والدة مجد

الدولة بن فخر الدولة الديلمى ، والخال فى لغة الديالمة يسمى كاكو أوكاكوية ؛ ومن هنا اشتهر علاء الدولة بابن كاكوية . (ابن الأثير حوادث سنة ۳۹۸ ، ٤۳۳ ؛ وتاريخ جهان آرا نسخة المتحف البريطانى الورقة ٦٥ رقم ١٤١ .or)

ولمصنف چهار مقاله في هذه الفقرة هفوتان :

الأولى أنه يقول إن وزارة ابن سينا كانت فى الرى والواقع أنها كانت فى همدان .
والثانية أنه يقول إن ابن سينا كان وزيراً لعلاء الدولة والواقع أنه لم يزر له مطلقاً .

وقد اشتبه على المصنف علاء الدولة مع شمس الدولة بن فخر الدولة الديلمى أخى مجد الدولة المذكور ، لأن ابن سينا وزر مرتين لشمس الدولة ، ما بين سنتى ٤۰٥/۱۰۱٤ — ٤١٢/۱۰۲۱ . و بعد وفاة شمس الدولة وجلوس ابنه سماء الدولة على العرش ذهب الشيخ إلى إصفهان واتصل ببلاط علاء الدولة بن كاكوية وصار من خواصه المقربين وكتب باسمه كتباً كثيرة ، وظل فى خدمته إلى آخر عمره ولكنه لم يزر له :

انظر القفطى ص ٤١٩ — ٤٢٦ ، وابن أبى أصيبعة ج ۲ ص ٥ — ۹ .

(۲۷) بيارة فيقرا : ياره كلمة طبية تعرف بـ أَيَارَجْ وهو تركيب من الأدوية مسهل ومصلح .

وفيقرا كلمة يونانية معناها مر ، فيكون أيارج فيقرا هو الأيارج مع الصبر .

انظر ابن سينا فى القانون ج ۳ ص ۳٤۰ .

(۲۸) «المعالجة البقراطية» ، كتاب موجود فى مكتبة ديوان الهند بلندن (India Office) كما أنه موجود فى مكاتب أكسفورد وميونيخ وهو ينقسم إلى عشر مقالات واسم الكتاب فى آخر معظم المقالات « المعالجات البقراطية » ، ويذكر اسم المؤلف أيضاً فى آخر كل مقالة بأنه أبو الحسن أحمد بن محمد الطبرى ، وبهذا الاسم يذكره ابن أبى أصيبعة ويصرح بأنه كان فى أول الأمر طبيبا لأبى عبد الله البريدى (الذى كان واليا على الأهواز والذى وزر مرتين للراضى والمتقى العباسيين ، ويضرب به المثل فى الجور ويقل إنه يلى الحجاج بن يوسف فى ذلك) . ثم إن الطبرى هذا أصبح من أطباء ركن الدولة الديلمى (۳۲۱ — ۳٦٦/

٩٣٣—٩٧٦) وذلك بعد وفاة البريدى سنة ٩٤٣/٣٣٢ . ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٢١ ؛ ووستنفلد فى تاريخ الأطباء ص ٥٦ ، و بروكلن فى تاريخ علوم العرب ج ١ ص ٢٣٧ .

(٢٩) كيا الرئيس بهمنيار بن مرزبان الآذر بيجانى المجوسى ، من مشاهير تلاميذ الشيخ أبى على سينا . كانت وفاته فى حدود سنة ١٠٦٥/٤٥٨ . و يوجد فى مكاتب أور با رسائل من مؤلفاته . وقد طبعت له رسالتان فى ليبزج سنة ١٨٥١ هما : رسالة فى موضوع علم ما بعد الطبيعة ، ورسالة فى مراتب الموجودات .

وقد ذكر بروكلن أنه مات سنة ١٠٣٨/٤٣٠ ، خطأ ،

انظر ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ١٩ ، ١٠٣ ؛ و بروكلن ج ١ ص ٤٥٨ .

(٣٠) أبو منصور بن زيله الإصفهانى ، من مشاهير تلاميذ ابن سينا وقيل إنه كان يدين بمذهب زردشت ، وهو غير محقق . توفى سنة ١٠٤٨/٤٤٠ ، وفى المتحف البريطانى كتابان له هما :

السكافى فى الموسيقى .

وشرح قصة حىّ بن يقظان لأبى على بن سينا . ولم يذكره بروكلن فى كتابه .

انظر نزهة الأرواح للشهر زورى (نسخة المتحف البريطانى ورقة ١٧١) ، وكشف الظنون فى رساله حى بن يقظان .

(٣١) عبد الوحد الجوزجانى هو أبو عبيد عبد الواحد بن محمد الفقيه الجوزجانى (و يذكر خطأ بالجرجانى) من خواص وتلامذة الشيخ الرئيس أبى على سينا . اتصل به فى جرجان حوالى سنة ١٠١٢/٤٠٣ ويقول ابن سينا فى ترجمة حياته :

« ثم مضيت إلى دهستان ومرضت بها مرضا شديدا وعدت إلى جرجان واتصل بى أبو عبيد الجوزجانى . و يقول أبو عبيد فى ديباجة الشفا :

« و يمت بجرجان وسنه قريب من اثنتين وثلاثين سنة » . ولأن ولادة الشيخ كانت فى ٩٨٠/٣٧٠ فإن اتصال أبى عبيد به كان فى حدود سنة ١٠٩٢/٤٠٣ . وقد ظل متصلا به حوالى خمس وعشرين سنة إلى آخر عمر الشيخ (١٠٣٧/٤٢٨) . وكان يحث الشيخ على التأليف

والتصنيف ، وكان حظ ابن سينا من التأليف قد ضؤل لاشتغاله بالمسائل من الوزارة وغيرها فكان يكتب معظم كتاباته قبيل صلاة الصبح أو فى أوقات الفراغ عند ما يفرغ من الديوان ، أو أثناء السفر وقد أعان الجوزجانى شيخه فى كثير من مؤلفاته ومنها كتاب الشفا . كما نشط الجوزجانى بعد وفاة الرئيس فجمع ما تفرق من تصانيفه وتآليفه ودونها ، ولولا ما بذله فى هذا السبيل من الجهد لضاعت معظم كتب ابن سينا ، فقد كانت عادة الشيخ أن يعطى كتبه لمن يطلبها من غير أن يحفظ لنفسه صورة منها .

وكتاب « دانش نامۀ علائى » الذى كتبه ابن سينا بالفارسية والذى يحوى فصولا فى المنطق والحكمة الإلهية والطبيعية والرياضية والهيئة والموسيقى والارثماطيقى والذى وضعه الشيخ باسم علاء الدولة أبى جعفر كاكوية باللغة الفارسية ، لم يكن قد بقى منه بعد وفاة الشيخ غير الأجزاء الخاصة بالمنطق والإلهيات والطبيعيات وتلف الباقى . ولكن الجوزجانى — كما يقول فى ديباجة رياضيات دانش نامۀ علائى — قد ترجم الارثماطيقى عن أرثماطيقى كتاب الشفاء ترجمة واختصارا ، كما نقل فصول الهيئة والموسيقى عن رسالة أخرى لابن سينا باللغة العربية ، وهكذا رتب الكتاب وأكمله . وتوجد اليوم من هذا الكتاب النفيس نسخ كثيرة فى أوربا منها اثنتان فى المتحف البريطانى (١) .

ومن آثار أبى عبيد الجوزجاني رسالة فى ترجمة حياة أبى على بن سينا . والقسم الأول منها هو عين ماسمعه أبو عبيد من أستاذه . والقسم الثانى هو ما زاده أبو عبيد منذ بلغ جوزجان لخدمة أستاذه ابن سينا حتى وفاته . وهذه الرسالة موجودة بالمتحف البريطانى (٢) وقد نقلها ابن أبى أصيبعة بتمامها واختصرها القفطى وذلك فى ترجمتهما لابن سينا .

ومن مؤلفات أبى عبيد الجوزجانى ديباجة كتاب الشفا ، فكلها بقلمه . ولا تعرف سنة وفاته (٣) .

---

(١) Add. 16, 830, Add. 16, 659. ff. 258 b — 342 b. وقد نشره الأستاذ عباس إقبال .

(٢) Add. 16, 659, ff. 4 b — 7 b

(٣) تراجم « نزهة الأرواح وروضة الأفراح » للشهرزورى . مخطوط المتحف البريطانى Add. 23, 365, f. 172 . والقفطى ص ٤١٣ — ٤٢٦ . وابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٢ — ٩ . وريو Rieu فى فهرس النسخ الفارسية بالمتحف البريطانى ص ٤٣٣ .

(٣٢) وردت هذه الحكاية مع تعديل يسير فى كتابى القفطى وابن أبى أصيبعة وذلك فى ترجمة ثابت بن قرة . ويظهر أن فى رواية چهار مقاله إهمالا من النسخ وقد أكملها القزوينى بعبارات أوردها بين قوسين .

(٣٣) شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى (٣٩٦/١٠٠٦ — ٤٨١/١٠٨٨) هو الإمام أبو إسمعيل عبد الله بن أبى منصور محمد بن أبى معاذ على بن محمد بن أحمد بن على بن جعفر ابن منصور بن مَتّ الخزرجى الأنصارى الهروى ، ينتهى نسبه إلى أبى أيوب الأنصارى من مشاهير الصحابة . وهو من أجلة العلماء والمحدثين ومن أكابر الصوفية . كان حنبلى المذهب يميل إلى التجسيم والتشبيه ، وكان شديد التعصب لرأيه . وقد لقى من الفلاسفة وعلماء الكلام مشقة وعنفاً بسبب هذا التعصب حتى قصدوا هلاكه أكثر من مرة .

من ذلك ما رواه الذهبى أنه حين جاء الپ أرسلان مع نظام الملك إلى هراة اجتمع العلماء واتفقوا على إحراجه لإضعاف مكانته عند نظام الملك ، فسأله أحدهم عن سبب لعن لأشعرى — وكان نظام الملك أشعرى المذهب — فلم يجبه الشيخ . فأطرق نظام الملك قليلا ثم قال أجبه يا شيخ ، فقال : إنى لا أعرف الأشعرى ولكنى ألعن من لا يعتقد بوجود الله فى السماء .

ويروى الذهبى أيضاً أنه فى رحلة لألب أرسلان إلى هراة اتفق العلماء ووجوه المدينة على إغارة صدر السلطان على الأنصارى ، فلما اجتمعوا بالسلطان شكوا منه — وكانوا قد وضعوا صنما صغيراً من النحاس فى محرابه — وقالوا إن الشيخ يقول بالتجسيم وإن فى محرابه صنما يقول إن الله على صورته ، ثم قالوا : إن للسلطان أن يحضره إذا شاء . فغضب السلطان وأرسل من يحضر الصنم من قبلة الشيخ فأحضر. ثم إن السلطان أمر بأن يؤتى بالشيخ فجاء ووجد العلماء ووجوه المدينة جالسين ووجد صنما أمام السلطان الذى كان حانقا أشد الحنق . فسأله السلطان ما هذا ؟ فقال الشيخ هذا تمثال عُمل لعبة للأطفال . فقال السلطان غاضباً لست أسأل عن هذا فقال الشيخ عم تسألون يا مولاى . فأجابه إن هذه الجماعة تقول إنك تعبده وتقول إن الله على صورته . فقال الشيخ : سبحانك هذا بهتان عظيم . قالها بهيبة وقوة فأدرك السلطان أن الجماعة قد افترت عليه كذبا ، فاعتذر له وأعاده إلى بيته معززاً مكرما ، واعترف الجماعة بأنهم دبروا هذا الكيد للشيخ للخلاص منه ومما يلاقون من تعصبه ، فأمر السلطان بأن يشتروا أرواحهم بثمن غال فرضه عليهم عقابا ..

* * *

ويعرف الشيخ فى إيران بخواجه عبدالله الأنصارى ، وله بالفارسية أشعار ورباعيات غاية فى العذوبة ، وهو يسمى نفسه فى أشعاره : پيرأنصار أو پير هرى أوالأنصارى . ومن مؤلفاته « مناجات » . وكان يقرأ فى مجالسه كتاب « طبقات الصوفية » لعبد الرحمن السلمى ويزيد عليه بعض التراجم الأخرى ، وقد جمع أحد مريديه أماليه عن هذا الكتاب باللسان الهروى القديم . وفى القرن التاسع الهجرى نقل مولانا عبد الرحمن الجامى هذه الأمالى من اللهجة الهروية إلى اللغة الفارسية مضيفاً إليها تراجم جديدة وذلك فى كتابه المعروف بنفحات الأنس .

وقد صنف الأنصارى بالفارسية والعربية ومن كتبه :

ذم الكلام بالعربية فى المتحف البريطانى (Add. ٢٧٥٢٠)

منازل السائرين إلى الحق المبين وهو بالعربية أيضاً ومنه نسخ كثيرة فى مكتبات أوربا (ريو ص ٧٣٨) .

مناجاة[1] وزاد العافية وكلاهما بالفارسية .

أسرار وهو بالفارسية أيضاً وقد بقيت منه منتخبات (ريو ص ٧٧٤) .

رسالة أنوار التحقيق[2]

وقد نشر « إلهى نامه » مع ترجمة فرنسية الأب دى بوركى De Beaurcueil فى مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٤٧[3] .

(٣٤) الكوامخ جمع كامخ معرب كامه .

(٣٥) رواصير أو رواسير ، ما يطبخ من البقول فى الماء ويضاف إليه الزيت والترشى والأدوية الحارة . ولا نعرف أصل هذه الكلمة ومن أى لغة هى .

(٣٦) أنبجات جمع أنبجة معرب أنبه وهو الفاكهة الهندية المعروفة التى تمزج بالعسل وتطلق كلمة أنبجات اليوم على أى فاكهة تعمل مربى مع العسل بحيث أصبحت الكلمتان أنبجات ومربيات مترادفتين .

(٣٧) تقدمت ترجمة أبى الحسن على بن مسعود بن الحسين وشمس الدولة والدين وملك ملوك الجبال .

(١) طبعت فى برلين (كاويانى) سنة ١٩٢٤ .

(٢) طبعت فى شيراز سنة ١٣٠١ (أحمد كريم التبريزى) .

(٣) انظر الصفحة الأولى من بحثه حيث ذكر أسماء الرسائل التى يحويها المخطوط الذى أخذ عنه وعددها ثمان .

كشاف

١ – أسماء الرجال والجماعات

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

طغرل بن ارسلان السلجوقي : ٦ ، ١٠٠ ، ١٢٧ ، ١٣٥

(ع)

(١) سقط هذا الاسم سهواً من نهاية السطر الثالث ، صفحة ٧٣ .

(١) حكم من ٤٨٨ حتى ٤٩٤

(ن)

(و)

(هـ)

(ی)

كشاف

٢ – أسماء الأماكن

(١) هكذا لاحظ الأستاذ مينورسكى وهو يطالع بعض أجزاء الكتاب أثناء الطبع .

كشاف

٣ — الكتب

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(م)

(ن)

كتب افرنجية :

Browne : Chahar Maqala : ١١٧–١٦٥–١٦٦

Browne : Hand—list of Moh. Manuscripts, Cambridge : ١١٧–١٦٦

Browne : Literary History of Persia : ١٢٧

Brocklemann : Geschichte der Arabischen Litteratur :
١٤٩–١٥١–١٥٨–١٦٢–١٦٤–١٦٦–١٧٥

De Beaurceuil : الهى نامه : ١٧٨

Ethé : رودكى — Göttingen Nachrischten —: ١١٧

Ethé : Catalogue : ١٣٨–١٦٦

De Sacy :— Mémoires de l'Académie : ١٠٨

Journal of the Royal Asistic Society : ٩٨–١٤٣

Koning : Trois traités... : ١٦٥

Leclerc : Histoire de la Médecine.. : ١٦٥

Massignon : Receuil de textes indédits concernant l'histoire de la Mystique en pays de l'Islam : ١٥٤

Rieu : Catalogue.. : ١٥١

Rieu : « : ١٦٦–١٦٧–١٧٦

Le Strange : Lands of Eastern Caliphate : ١١٢–١١٣–١١٧

De Slane : Catalogue.. : ١٥١

Ency. de l'Islam : ١٥٤

Woepcke : l'Algébre de Khayyam : ١٥٨

أخطاء مطبعية

الخطأ	الصواب
ص ٢٣ س ١١ ابن الشابة	ابن النسّابه
ص ٢٥ س ٣٨ شطر	شُطر
ص ٢٨ هامش بى	بُى
ص ٤٩ س ٢ أمير الشعراء أستعينه	أمير الشعراء المعزى أستعينه
ص ٥١ س ٣ (نظام الدولة)	(نظام الملك)
ص ٥٢ س ٣ هامش كم كمبتين	كه كمبتين
ص ٧٣ س ٣ — ٤ صاحب الحل كدخداى	صاحب الحل عز الدين محمود حاجى كدخداى
ص ٧٥ س ١٤ الطيب	الطبيب
ص ٨١ س ١ السهلى	السهيلى
ص ٨٢ س ١ هامش اذ	از
ص ٩٦ س ٩ والإقامة	الإقامة
ص ١١٣ (٨) ف	(٨) اف
ص ١١٤ س ١٠ لوش	اوش
ص ١١٥ س ٢ هامش u les	Jules
ص ١١٧ س ٢ كتابة	كتابه
ص ١١٨ س ٢ الجوبيارى	الجويبارى
ص ١١٨ س ٢ هامش Horm	Horn
ص ١١٨ س ١٢ هامش كتاب على شهيد	كتاب الرد على شهيد
ص ١٢٠ س ١٦ أنهم	انهم
ص ١٢٣ س ١١ محمود	مسعود
ص ١٢٤ س ١٧ أبو الملاك	أبو الملوك
ص ١٢٩ س ٤ المتنبين	المتنبئ
ص ١٣٧ س ٢ هامش Elügel	Flügel
ص ١٤٧ س ١٤ والصفد	والصغد


Bibliotheca Alexandrina
06695398